المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

التَّمـاسك النَّصـي
في سورة الصَّافَّات

إعــداد الـطــالبة

ســارة بنت أحمد بن إبراهيم بوحيمـد

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص البلاغة والنقد/ قسم اللغة العربية

كلية الآداب-جامعة الملك فيصل

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

التَّمـاسك النَّصـي
في سورة الصَّافَّات

إعــداد الـطــالبة

ســارة بنت أحمد بن إبراهيم بوحيمـد

إشراف الأستاذ الدكتور

سليمان علي عبد الحق

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص البلاغة والنقد/ قسم اللغة العربية

كلية الآداب-جامعة الملك فيصل

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

اعتماد الرسالة

==========

بناء على قرار معالي مدير الجامعة رقم / 385/2/4 بتاريخ 1436/11/3هـ.

اجتمعت اللجنة العلمية في يوم الأربعاء الموافق 1436/11/19 هـ ، الموافق 2015/9/9م ، وكانت مشكلة من :

1- د. سليمان علي عبد الحق (مشرفاً ومقرراً).
2- أ.د. عبد الرحمن بن عثمان الهليل (مناقشاً خارجياً).
3- د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الخثلان (مناقشاً داخلياً) .

وناقشت الطالبة/ سارة بنت أحمد بوحيمد ، ورقمها الجامعي: 212503116

في موضوع : (التماسك النصي في سورة الصافات)

تخصص : الأدب والنقد – مسار البلاغة.

وقررت اللجنة قبول الرسالة والتوصية بمنح الدرجة العلمية.

أعضاء اللجنة :

الاسم :		التوقيع
4- د. سليمان علي عبد الحق	(مشرفاً ومقرراً).	
5- د. عبد الرحمن بن عثمان الهليل	(مناقشاً خارجياً).	
6- د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الخثلان	(مناقشاً داخلياً) .	

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،،،،،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

شُكرٌ وتقدِير

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله الذي هداني وأنار الطريق أمامي وأمدني بالعزم لإتمام هذا البحث ،وانطلاقًا من قوله تعالى : (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ..) [1]، واعترافًا بالفضل لأهله ، أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور / سليمان عبدالحق حفظه الله ، على ما خصني به من نصح ، وما بذله معي من جهد طيلة كتابة هذا البحث ، فقد منحني كثيرًا من وقته وجهده ، حيث كان حريصًا على إخراج هذه الرسالة في أحسن صورة وأبهى حُلّة ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأسأل الله أن يبارك له في علمه وعمله ، ويمده بوافر الصحة والعافية .

كما لايفوتني أن أتقدم بعظيم شكري لكافة أفراد أسرتي ، وأخص منهم والدي العزيزين على دعائهما الدائم لي ، فبارك الله لهما في عمرهما على خير وطاعة ، كما أشكر زوجي وشريك حياتي على تشجيعه لي على مواصلة العلم ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا أنسى أن أشكر كل من قدم لي مساعدة ، أو أسدى إليّ نصيحة ، أو سددني بفكرة ، أو أعارني كتابًا ، أوشجعني بكلمة.

مُلَخَص البَحث

تناولت هذه الدراسة موضوع (التماسك النصي في سورة الصافات) ، حيث سارت للكشف عن تقنيات ووسائل التماسك النصي في السورة .ويتسم البحث النصي بشيءمن الصعوبة ، نتيجة التداخل المعرفي ، بمعنى أن الباحث عند دراسته للنص ينبغي أن يكون على دراية واسعة بجملة من العلوم المختلفة ، حيث تشعبت المنابع التي استقى منها مفاهيمه وتصوراته.

أما إشكالية البحث ، فتتلخص في تساؤلات عدة : كيف يظهر التماسك في هذه السورة ؟ وما هي الوسائل والعلائق والآليات التي تسهم في اتساق هذا النص القرآني، وتجعله كلًّا واحدًا رغم اختلاف أوقات نزوله ؟ كيف استطاع العلماء العرب القدامى التحقق من تماسك النص القرآني ؟ وما هي الجهود الحديثة التي كان لها دور فاعل في تحقيق هذا التماسك؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات دارت سلفًا في أذهان العلماء العرب القدامى قبل المحدثين ، إذ وجدوا في النص القرآني فضاء غير منغلق على جيل أو فرد بعينه أو مذهب محدد ، بل إن النص القرآني يدعو المتلقي لتدبره وارتياد آفاقه والتأمل فيه .

كما تبرز أهمية اختيار هذا الموضوع ، من خلال خضوع هذه الدراسة إلى تحليل نص مقدس – هو القرآن الكريم– في ضوء منهج حديث، وتحقيق مساهمة واضحة في ميدان التطبيق لعلم اللغة النصي ، وكذلك محاولة الاقتراب من فهم القرآن الكريم وبيان إعجازه من خلال هذه الدراسة.

وقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى بابين يتقدمهما تمهيد ، وتلحقهما خاتمة . ضم التمهيد مفهوم النص ، والتماسك النصي في الدراسات العربية والمناهج النقدية الحديثة ، وتحديد معايير النصية ووسائلها

أما البابان فخُصِّصا للجانب التطبيقي ، حيث درس الأول التماسك الشكلي من خلال : التحليل السياقي للسورة ، ووسائل التماسك النحوية والصوتية ، وتمثلت النحوية في : الإحالة ، والحذف ، والشرط ، أما الصوتية فتمثلت في : الفاصلة القرآنية ، والتكرار .

وفي الباب الثاني ، درست الباحثة مظاهر التماسك الدلالي في السورة ، الذي احتوى على علم المناسبة وتوضيح أهم العلاقات الدلالية التي حققت للسورة انسجامها ، وموضوع الخطاب .

وبعد انتهاء البحث النظري و التطبيقي، أكدت الدراسة على أن للتماسك النصي حضورًا واجبًا في أي نص ، فكل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك مع الجملة السابقة أو اللاحقة بها ،كما أن وسائل التماسك الشكلية والدلالية تتضافر معًا لإظهار نصية النص القرآني.

Abstract

This study aims to illuminate the topic of (The Textual Cohesion in Surat As-Saffat). It was conducted to identify the techniques and approaches of the textual cohesion in Surat As-Saffat (Chapter ٣٧). The textual study is featured with its difficulty due to the interference between the different knowledge fields. On other words, the searcher needs a wide knowledge of different fields to study a text because this text has obtained its concepts and perceptions from variety fields of knowledge.

This study is motivated by several research questions: how the cohesion appears in the Qur'anicChapter(Surah)? What are the approaches, relations and techniques which contribute in the coherence of the Qur'anic Text and in making it an integrate part despite the differences in descent times? How did the early Arab linguists investigate the Qur'anic textual cohesion? And what are the modern, effective efforts to investigate this cohesion?

The early Arab linguists had considered and answered these questions before the modern linguists. They found that the Qur'anic text; in general, is a non-specific field; which is not meant to a certain generation, individual or religious doctrine. On the other hand, the Qur'anic text motivates the receiver to contemplate, cogitate and mediate on its horizons.

Moreover, the importance of choosing this topic is demonstrated in the analysis of a holy text; which is The Holy Qur'an, in accordance with the modern approaches. The study also significantly contributes to the applied field of the Text Linguistics. In addition, this study advances our understanding of the Holy Qur'an andexplaining the inimitability of the Qur'an.

The researcher divides this study into two chapters with an introduction and a conclusion. The introduction discusses the concept of a text, the textual cohesion in the Arabic studies and in the modern critical approaches, and the identification of the text standards and methods.

Furthermore, the two chapters are related to the applied aspect of the field. The first chapter examines the linguistic cohesion through: the contextual analysis of Surat As-Saffatand the syntactic and phonetic methods of cohesion. The syntactic methods include: the reference, elision and stipulation. However, the phonetic methods include: the Qur'anic separator and repetition.

In the second chapter, the researcher investigates the features of the pragmatic cohesion (or coherence) in Surat As-Saffat; which includes the discipline of inter-relationship of the verses and the surahs. This chapter clarifies the semantic relations which create the coherence between the verses and the topic of discourse.

In conclusion of the theoretical and applied study of the topic, it is found that the textual cohesion is a significant part of any text. Each sentence in Arabic holds features of connecting a sentence with both the preceding and succeeding sentences. Moreover, the linguistic cohesion and the pragmatic cohesion (or coherence) collaborates to demonstrate the textuality of the Qur'anic text.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١-٥
التمهيد: - مفهوم النص وأهميته. - التماسك النصي بين القدامى والمحدثين. - معايير النصية ووسائلها.	٦-٤٠
الباب الأول : التماسك الشكلي في سورة الصافات	٤١-١٠٧
الفصل الأول : التحليل السياقي	
المبحث الأول : التسمية وسبب النزول	٤٣-٤٤
المبحث الثاني : بنية السورة في كتب المفسرين	٤٥-٤٩
المبحث الثالث : السياقات الواردة في السورة	٥٠-٥٣
الفصل الثاني : التماسك النحوي	
المبحث الأول : الإحالة	٥٥-٧٢
المبحث الثاني : الحذف	٧٣-٧٧
المبحث الثالث : الشرط	٧٨-٨٢

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث : التماسك الصوتي	
المبحث الأول : الفاصلة القرآنية	٨٤-٩٦
المبحث الثاني : التكرار	٩٧-١٠٧
الباب الثاني : التماسك الدلالي	١٠٨-١٩٧
الفصل الأول : المناسبة	
توطئة	١١٠-١١١
المبحث الأول : التناسب على مستوى السورة	١١٢-١١٧
المبحث الثاني : التناسب على مستوى آيات السورة	١١٨-١٢٠
الفصل الثاني: العلاقات الدلالية	
توطئة	١٢٢
المبحث الأول : الإجمال والتفصيل	١٢٣-١٣٠
المبحث الثاني : الاستبدال	١٣١-١٣٥

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثالث : الفصل والوصل	١٣٦-١٤٧
المبحث الرابع : الإطلاق والتقييد	١٤٨-١٥١
الفصل الثالث : الخطاب	
المبحث الأول : تحديد موضوع الخطاب	١٥٣-١٥٧
المبحث الثاني : ترتيب الخطاب	١٥٨-١٧٤
الخاتمة	١٧٥-١٧٨
الملاحق والجداول	١٧٩-١٨٧
ثبت المصادر والمراجع	١٨٨-١٩٧

المُقدِّمة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ الفرقانَ على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على المختار رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

تناولت هذه الدراسة موضوع (التماسك النصي في سورة الصافات)، وهو من الاتجاهات المهمة في دراسة النص القرآني، حيث ينتسب إلى اتجاه متنامٍ عند الباحثين المحدثين في علم النص وهو (لسانيات النص)، و من خلال هذا الاتجاه يتم اكتشاف بنية النص الداخلية والوقوف على بلاغة تماسكه، وجماليات انسجام عناصره، وصولاً إلى المعاني الكلية فيه. ويتسم البحث النصي بشيء من الصعوبة، نتيجة التداخل المعرفي، بمعنى أن الباحث عند دراسته للنص والبحث فيه، ينبغي أن يكون على دراية واسعة بعلوم مختلفة، يتم من خلالها تصور النص ككل شامل متكامل مكوناً من أجزاء مترابطة وأنظمة متشابكة. كما أن هذا الاتجاه يعتمد على مجموعة من المصطلحات والوسائل التي تقوم عليها جملة من العلاقات الأسلوبية والنصية، و هي أساس هذه الدراسة.

وتمثلت رغبة الباحثة في دراسة (لسانيات النص)، من خلال النص القرآني، الذي يعد أوثق نص في اللغة العربية؛ للوصول إلى أن علوم اللغة العربية من بلاغة ونحو ونقد، وعلم تفسير وعلوم القرآن، قدمت جملة من الآليات النصية، تفوق ماقدمه علم النص المعاصر.

ولصعوبة الإلمام بما يحويه النص القرآني من السعة المعرفية في رسالة ماجستير؛ اقتصرت الباحثة على نص واحد من نصوصه، فوقع الاختيار على (سورة الصافات) لتكون مجالاً تطبيقياً للتماسك النصي، لما تمتلكه هذه السورة من بعد حجاجي، فمعظم آياتها نزلت في صورة الحجاج على المشركين في قضية العقيدة، والتوحيد، والمعاد، ووحدة دعوة الرسل. وتزخر السورة بنماذج من دعوة الرسل لأقوامهم، والتي من خلالها يتجلى الترابط النصي في القصص القرآني، كما تنوعت فيها مظاهر التماسك الشكلي والدلالي مما يتيح إبراز جوانب تماسك آياتها وتناسبها، وإحكام نظمها.

والباحثة في هذه الدراسة لا تحاول أن تثبت للنص القرآني تماسكه، فهذا أمر محسوم، بل تحاول الكشف عن تلك الوسائل التي أدت إلى تحقق ذلك التماسك الشكلي والدلالي.

أما الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع فهي عديدة، بعضها يتجه إلى التطبيق على النصوص الأدبية والنثرية، وبعضها الآخر يتجه إلى الدراسات التطبيقية للقرآن، ومن تلك الدراسات مايأتي:

- **التماسك النصي في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي (دراسة أسلوبية)**: وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة الحاج لخضر- باتنة في الجمهورية الجزائرية لعام ١٤٣١-١٤٣٢هـ/٢٠١٠-٢٠١١م، قدمتها الباحثة: كريمة صوالحية، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور:عبد السلام ضيف.
- **السبك النصي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سورة الأنعام**: وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية من الجامعة المستنصرية في جمهورية العراق لعام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م، قدمها الباحث: أحمد حيَّال، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور محمد عليوي الشمري.
- **التماسك النصي بين النظرية والتطبيق،سورة الأنعام أنموذجاً**: وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة اليرموك في الأردن لعام ٢٠٠٩م، قدمها الباحث: ناصرة محمود النواصرة، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور: ماجد ياسين جعافرة.
- **الترابط النصي في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني-دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص-**: وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود في الرياض لعام ١٤٣٠هـ، قدمتها الباحثة: عيدة مسبل العمري، وأشرف عليها الدكتور: محمد الزليطني.
- **التماسك النصي في سورة النساء**: وعي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة صنعاء في الجمهورية اليمنية لعام ٢٠٠٨م، للباحثة: وفاء الغرباني.
- **بنية النصية في سورة الكهف، مقاربة نصية للاتساق والسياق**: وهي دراسة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات من جامعة منتوري في الجمهورية الجزائرية لعام ٢٠٠٩/٢٠١٠م، قدمها الباحث: شعيب محمودي، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور يحي بعيطيش.
- **الإحالة ودورها في التماسك النصي رواية "في سبيل التاج"للمنفلوطي- أنموذجاً**: وهي دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي (تخصص لسانيات اللغة العربية) من جامعة الحاج لخضر-باتنة في الجمهورية الجزائرية لعام ٢٠٠٩/٢٠١٠م، قدمتها الباحثة: دنيا بن قسمي، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور: السعيد هادف.

إن ما يميز هذه الدراسة أنها تقف عند جميع مستويات التماسك النصي الشكلية والدلالية، فتدرس الظواهر بصورة شاملة، في سورة كاملة من سور القرآن الكريم الذي تتجلى فيه صور التماسك النصي على نحو واضح.

وقد قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى بابين يتقدمهما تمهيد، وتلحقهما خاتمة. ضم التمهيد مفهوم النص، والتماسك النصي في الدراسات العربية والمناهج النقدية الحديثة، وتحديد معايير النصية ووسائلها، للتعريف بالمصطلحات التي تدور في كنف علم النص، وتقوم عليها الدراسات النصية.

أما البابان فخُصِّصا للجانب التطبيقي، حيث درس الأول التماسك الشكلي، وضم ثلاثة فصول:

الفصل الأول، بعنوان: التحليل السياقي، وضم ثلاثة مباحث، الأول في التسمية وسبب نزول السورة، والثاني في بنية السورة عند المفسرين، والثالث في تحديد السياقات الواردة في السورة.

أما الفصل الثاني فجعلته الباحثة للتماسك النحوي، والذي يتحقق من خلال وسائل عديدة، اقتصرت هذه الدراسة على ثلاث منها، كان لها دور واضح في تماسك السورة ، وجاءت في ثلاثة مباحث، وهي: الإحالة، والحذف، والشرط.

أما الفصل الأخير من هذا الباب فعنوانه التماسك الصوتي، والذي يتحقق من خلال الكشف عن الروابط الصوتية في السورة، و تمثلت في مبحثين، هما: الفاصلة القرآنية، والتكرار.

وفي الباب الثاني درست الباحثة التماسك الدلالي في السورة، والذي ضم ثلاثة فصول، الأول: اختص بالمناسبة في السورة، وهو من خصائص النظم القرآني، وضم مبحثين، هما: التناسب على مستوى السورة، والتناسب على مستوى آيات السورة. أما الفصل الثاني فضمَّ العلاقات الدلالية التي حققت للسورة انسجامها، واختارت الباحثة من تلك العلاقات أربعاً، درستها في أربعة مباحث، هي: الإجمال والتفصيل، والاستبدال، والفصل والوصل، والإطلاق والتقييد؛ لأنها كانت الأبرز في توجيه دلالة السورة بما يحقق لها تماسكها. أما الفصل الثالث، فاختص بالخطاب، والذي ضم مبحثين، الأول: تحديد موضوع الخطاب، والآخر: ترتيب الخطاب.

وقد اعترضت الباحثة صعوبات عديدة، أهمها: قضية المصطلحات التي تدور في فلك لسانيات النص والخطاب، وما تحمله من اضطراب وغموض في الدلالة، وعدم إجماع العلماء على ترجمة المصطلح الواحد. كما أن ماقدمته اللسانيات النصية المعاصرة من وسائل تحقق للنص تماسكه الدلالي، وبخاصة فيما يتصل بموضوع الخطاب لا يمكن أن تطبق جميعها على النص القرآني.

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج النصَّاني الذي يدرس النص بوصفه كلّاً متكاملاً ووحدة لا تتجزأ،وأن أي فصل بين الوسائل التي تسهم في تماسك النص، إنما هو إجراء منهجي لضبط تلك الوسائل. وتتلخص إجراءات هذه الدراسة وفقاً لما يتطلبه المنهج في:

١- إحصاء الأدوات التي تسهم في تماسك النص، ثم تحليل نماذج منها.

٢- المقابلة بين المفاهيم النصية في النظرية اللغوية العربية، وبين ما استقر عند علماء لسانيات النص المحدثين.

وفي هذه الدراسة اعتمدت الباحثة على مصادر عديدة من التراث العربي، وجملة من المراجع الحديثة، سواء فيما يتعلق مباشرة بتحليل النص القرآني، كالتفسير، وعلوم القرآن، أو ما يتعلق بالنحو والبلاغة، ومنها: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ومفاتيح الغيب للرازي، والكشاف للزمخشري، في ظلال القرآن لسيد قطب، والإتقان للسيوطي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والكتاب لسيبويه، ولسانيات النص لمحمد خطابي، والنص والخطاب والإجراء لروبرت دي بو جراند، وعلم لغة النص النظرية والتطبيق لعزة شبل محمد، وغيرها.

وأخيراً لا أدعي لهذا البحث كمالاً، فالنقص من سمات البشر، وما فيه من جهد فهو جهد المقل، وحسبي أنني أخلصت النية وبذلت الجهد، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخفقت فمن سهو العقل وغفلة النفس. (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٦﴾وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٧﴾وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٨﴾يَفْقَهُوا قَوْلِي).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التَمْهِيد

- مفهوم النص وأهميته.

- التماسك النصي بين القدماء والمحدثين.

- معايير النصية ووسائلها

يعد التماسك النصي من أهم معايير النصية، التي خلالها نستطيع الحكم على نصية الكلام من عدمها، وهي المعايير التي حددها روبرت دي بوجراند[١]. وقد تعددت منابع هذا المصطلح وأصوله وتنوعت مفاهيمه وتصوراته ومناهجه، ولهذا يصعب الاتفاق على تعريف محدد، والاكتفاء به، بيد أن هذا المصطلح كان حاضراً في أذهان البلاغيين والنقاد وكذلك المفسرين القدامى، وإن لم يصل بهم الوعي إلى ما نجده عند المحدثين عندما عدّه بعضهم أساساً في التحليل النصي. ومن خلال هذه الدراسة نحاول أن نعرض بعض آراء القدامى المتفرقة في كتبهم، والتي أسهمت في تأصيل هذا المصطلح.

أولاً: مفهوم النص وأهميته

– النص في الدراسات العربية:

إذا كانت (لسانيات النص) من العلوم التي استقلت بوصفها نظرية على يد علماء الغرب، فإننا نجد جذورها واضحة في الذخائر العربية، وقد ظهرت كأجزاء من موضوعات أخرى متفرقة في بعض الميادين، كالبلاغة والنقد، واللغة، والنحو، والتفسير، وعلوم القرآن، لذلك فإن المساهمات العربية لا توجد على شكل نظريات متكاملة في مؤلفات متخصصة [٢].

وقبل الحديث عن جهود القدامى في حديثهم عن تماسك النص، سنعرض معنى النص في المعاجم العربية، ومن خلالها نحاول الارتكاز على تلك المعاني للوصول إلى مفهوم النص في كتب التراث العربي القديم، ونرصد جهود العرب في تحديد مفهوم النص أو ما يشير إليه.

١روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة محمد حسان، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م،ص ١٠٣– ١٠٧.

٢ خلود العموش: الخطاب القرآني (دراسة بين النص والسياق)، ط١: عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠٠٥م، ص٤١.

أ- الدلالة المعجمية:

إن عملية استقراء المعاجم العربية بحثاً عن معاني مادة (نصص) التي هي أصل اشتقاق المصطلح، ينتج عنها معانٍ عديدة، أبرزها أربعة هي:

١- **الرفع والإظهار**: قال صاحب اللسان: "النص: رفعك الشيء، ونص الحديث ينصه نصّاً فقد رفعه، وكل ما أُظْهِر فقد نُص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنص للحديث من الزهري، أي أَرْفَع له وأَسْنَد. يقال: نَصَّ الحديث إلى فلان، أي رفعه...، واشتق من هذا قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة، أي ما دلَّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام"[١].

٢- **الثبات**: إن أغلب دارسي النص من الباحثين العرب المعاصرين، قد جعل مفهوم النص في القول السابق قائماً على فكرة الرفع والإظهار، وأن النص "يطلق على ما به يظهر المعنى أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب"[٢].

ولكننا نلحظ بعد إنعام النظر في المعنى المعجمي السابق لمادة (نصص) أنها تفيد معنى آخر ارتبط بالرفع والإظهار؛ لأن "الوضوح والانكشاف هما الدلالة المطابقة للفظ نص، وهذا يتضمن أن الظاهر المنكشف ثابت، لا يمكن تغييره؛ إذ إن كل ما أُظهر عرفت له هيئة وصورة، لا يجوز أن يرى بخلافها كأن تعرض عليه الزيادة أو النقص، أو الإضافة أو التعديل"[٣].

ويتضح هذا الاستنتاج من خلال قول عمرو بن دينار: "ما رأيت رجلاً أنص للحديث من الأزهري؛ أي أرفع له وأسند"[٤]، أي يرفع الحديث ويسنده إليه دون تدخل، وقد أشار ابن منظور إلى معنى

---

١ ابن منظور: لسان العرب، ط: دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مادة (نصص)، ص٤٤٤١-٤٤٤٢.

٢ الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث ما يكون به الملفوظ نصّاً)، ط١: المركز الثقافي، الدار البيضاء، ١٩٩٣م، ص ١٢.

٣ عمر أبو خرمة: نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، ط١: عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص٢٥.

٤ ابن منظور: لسان العرب، مادة (نصص)، ص٤٤٤١.

الثبات صراحة في مادة (نصص)، إذ قال – نقلاً عن الليث–: "النصنصة إثبات البعير ركبته في الأرض وتحركه إذ همّ بالنهوض"[١].

٣– **التحريك**: دل عليه قول صاحب اللسان: "نَصْنَصْتُ الشيء حركته...،والنصنصة: تحرك البعير إذا نهض من الأرض"[٢].

وقال الزبيدي:"نصّ الشيء ينصه نصّاً: حركه...، ومنه فلان ينصُّ أنفه غضباً، أي يحركها"[٣].

٤– نهاية الشيء: يقول صاحب اللسان: "ونصَّ الرجل نصّاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. و نص كل شيء منتهاه...، قال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصَصْت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده.."[٤].

هذه المعاني وغيرها التي جاءت في المعاجم العربية، قال عنها **أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)**: "إنها أصل صحيح يدلُّ على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء"[٥]. ولا نجد في المعاجم العربية ذكراً لدلالة النص على الكتاب، أو الخطاب، وكل ماورد فيها أن النص جاء للدلالة على الرفع والظهور، وقد يكون مردُّ ذلك إلى أن الثقافة الإسلامية هي ثقافة شفوية، فمن المعلوم أن تدوين الأدب تأخر كثيراً، وإن كان القرآن من أوائل النصوص التي دونها العرب. أما أصحاب المعاجم الحديثة فلم يقفوا عند هذه المعاني، فمؤلفو المعجم الوسيط عرَّفوا النص بأنه:"صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"[٦]، ونجد خليل أحمد خليل سجّل مفهوماً محدداً للنص، فقال:"النص كلام مفهوم المعنى وهو

١ابن منظور: لسان العرب، مادة (نصص)، ص٤٤٤٢.

٢ نفسه، والصفحة نفسها.

٣ المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ط: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.، مادة (نصص)، ج١٨، ص١٧٩.

٤ ابن منظور:لسان العرب، مادة (نصص)، ص٤٤٤١.

٥ أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط: دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)، مادة (نصص)، ج٥، ص٣٥٦.

٦ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ص٩٢٦.

الكتابة الأصلية، المنسوجة على منوالها الفريد، وهو المدونة والكتاب في لغته الأولى غير المترجم، يقال قرأت فلاناً في نصه، أي في أصل الموضوع"(١).

ويمكننا الربط بين معنى النص في المعاجم العربية القديمة بأن النص يرفع إلى منشئه، وبين ما ورد في المعاجم الحديثة، باعتبار أن النص هو: الصيغة الأصلية لكلام منشئه. فانتقال دلالة الكلمة من معانيها المذكورة في المعاجم العربية إلى دلالته التي أشرنا إليها في المعاجم الحديثة حدث من خلال عملية مجازية، أي: "انتقال هذا المعنى المجازي إلى الاستعمال، وغياب الدلالات الأولى للكلمة أو تهميشها، وثبوت المعنى الحديث في المعجمات الحديثة. فهذه العملية على الراجح أنها حدثت في ميدان الدراسات القرآنية من تفسير وفقه، ولم تحدث في ميدان العلوم اللغوية من نحو وبلاغة"(٢).

ب- الدلالة الاصطلاحية:

إن انحصار استعمال مصطلح (النص) بالدلالات التي سُجلت في المعاجم العربية القديمة، لا يعني غياب مفهومه عن ذهن علماء العربية، فنجده قائماً في صدورهم، متصوراً في أذهانهم، مختلجاً في نفوسهم، متصلاً بخواطرهم، كائناً في فكرهم، رغم تفاوتهم في التعبير عن النص. وعليه فإن النص ظلَّ مفهوماً بارزاً في الدراسات العربية، ولاسيما الدراسات القرآنية والبلاغية، ويتضح هذا فيما يأتي:

١- مفهوم النص في الدراسات القرآنية:

أتصور أنه لا يكاد يوجد في التراث العربي ممارسة نصية تامة إلا مع القرآن الكريم، وأول مظاهر هذه الممارسة كان متعلقاً بالنص في حقيقته؛ لأن "ذاتية النص تجليها قراءةٌ للمكتوب، تجعل النص كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف"(٣)، فكانت تلك الممارسات مرتبطة بما يحمله النص من مظاهر الترابط التي تثبت

١ خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات اللغوية، ط: دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م، ص١٣٦-١٣٧.

٢ محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط١: المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج١، ص١٩١.

٣ منذر عياشي: النص ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٩٦-١٩٩٢،٩٧م، ص١٥٣.

إعجاز القرآن، وقد أدرك **الباقلاني (ت ٤٠٢هـ)** هذا الأمر، فقال: "قد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدٍّ واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى المرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍّ واحد لا يختلف "[١].

وأبرز من تناول هذين المظهرين بشيء من التفصيل هو الإمام الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن)، عندما جعل سر إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه، والنظم والتأليف لا يحصل إلا من خلال الترابط بين الألفاظ والانسجام في المعاني.

وإذا انتقلنا إلى القرن الثامن الهجري نجد **الزركشي (ت٧٩٤هـ)** الذي تميزت جهوده بالدقة في تحديد العلاقات من خلال عرضه لبعض صور المناسبة، فجعلها سبباً لارتباط الآيات وتلاؤم أجزائها، وفي هذا يقول: "المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها - والله أعلم – إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[٢].

أما **الإمام السيوطي (ت٩١١هـ)**، فقد تناول قضية التناسب في المعاني والمقاصد بين نصوص السور، ومن خلالها وضع القاعدة العامة التي على أساسها رتّب السور، حيث يقول: "إن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها"[٣].

---

١ الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف، مصر (د.ت)، ص٥٢.

٢ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٣٥.

٣السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٦٥.

كما عرض العلاقات التي من خلالها تتماسك الآيات، في النوع الثاني والستين من كتابه الإتقان في علوم القرآن تحت عنوان (في مناسبة الآيات والسور)، وهذه العلاقات تشابه إلى حدٍ ما بعض معايير التماسك النصي عند المحدثين، سواءً ما يتعلق بالتماسك الشكلي أو الدلالي، ولكن السيوطي كغيره من العلماء القدامى لم يحدد هذه العلاقات من خلال الجانب الشكلي والدلالي، بل جعل أساس تصنيفه لهذه العلاقات قائماً على محورين هما: التماسك بين الآيات، والتماسك بين السور، ووضع للتماسك بين الآيات علاقات عديدة، وهي: التماسك بين الجمل المعطوفة من خلال (التضاد وعلاقة الترتيب على عادة القرآن) [١]،أما التماسك بين الجمل غير المعطوفة، فيتحقق من خلال : (علاقة تنظير، وعلاقة مضادة، وعلاقة حسن التخلص[٢]...،وغيرها). وينتقل بعد ذلك في حديثه إلى التماسك بين السور، فجعل له علاقات عديدة، منها: علاقة تماسك بين فواتح السور وخواتمها، علاقة تماسك بين فاتحة السورة وخاتمة السورة التي قبلها، علاقة تماسك نحوي دلالي، علاقة تقابل، علاقة إجمال و تفصيل).

إن ما قدّمه السيوطي يدل على عبقريته، ووعيه بآليات النص القرآني، وهذا الجهد يقارب إلى حدٍ كبير جهود المحدثين في تناولهم للتماسك النصي، لكن السيوطي تناوله بشيء من الخصوصية حيث جعل هذه العلاقات خاصة بالنص القرآني، كما أنه لم يضع حدوداً لنوعية هذه العلاقات أهي شكلية أم دلالية كما نراها عند من تناول التماسك النصي في العصر الحديث.

وقد تعامل القدامى في دراستهم للقرآن الكريم على أنه نص[٣]، وتناولوا وسائل الترابط والتماسك في الآيات القرآنية بالبحث والتحليل ليس ليؤكدوا أن القرآن نصاً فقط، ولكن ليبرهنوا أن القرآن نصّاً معجزاً بتماسكه وترابطه.

---

١ يرصد السيوطي في هذه العلاقة طريقة قرآنية تطّرد في القرآن جميعه، وهي: أن القرآن إذا ذكر أحكاماً، ذكر بعدها وعداً ووعيداً،ليكون باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي. (السيوطي:الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ، ج٥، ص١٨٤١).

٢ وهو أن ينتقل مما بدأ به الكلام متدرجاً به إلى المقصود بسلاسة، بحيث لايشعر المتلقي بالانتقال من المعنى إلى الآخر لشدة الالتئام بينهما (السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية،ج٥، ص١٨٤٣).

٣ ويتضح ذلك من خلال المعنى اللغوي للنص، وما ذكره الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) عندما أشار إلى مفهوم النص اصطلاحاً في حديثه عن أوجه البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله تعالى، إذ يقول:"النص هو ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج

٢- مفهوم النص عند البلاغيين:

لم يغب مفهوم النص بدلالته المتعارف عليها في اللسانيات اليوم عن ذهن البلاغيين منذ فترة مبكرة، ولعل **بشراً بن المعتمر (ت٢١٠هـ)** أول من تناول في صحيفته ما يخص صناعة النص، والصورة التي يجب أن يكون عليها مضموناً وأسلوباً، فمنها مايعود على المنشئ المتأدب نفسه[١]،أما من حيث ما يخص مفهوم النص، فإن الصحيفة تناولت جوانب عديدة تدخل في صناعة النص، إذ وضع لنا بشر أسساً يهتدي بها الكاتب إلى إنشاء نص فيه من المقومات ما يجلب الانتباه، ويغذي العقول، و اهتم بالنص منذ لحظة ولادته، فتحدث عن أوقات الكتابة المناسبة داعياً إلى البعد عن التعقيد والتوعر، كما وضع أساس المعاني وعلاقتها بالألفاظ، وهذه العلاقة تحدد مفهوم النص عند بشر بن المعتمر، فقد جعل العلاقة تقوم على أربعة أسس، هي: الصحة، وإحراز المنفعة، والمناسبة الموضوعية، وحالة المتلقي عند سماع القول، ويتجلى هذا واضحاً في قوله: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"[٢].

تنبئ كل هذه العناصر مجتمعة عن عقل عربي تصوَّر تعريف النص دون أن يجعل له تعريفاً جامعاً مانعاً، حيث استطاع أن يرشد منشئ النص إلى الكيفية التي يكون عليها أسلوب النص ووحداته؛ فعندما وضع أساس المعاني في علاقتها بالألفاظ أشار إلى بعض معايير النصية عند دي بوجراند [٣]، كالمقبولية والمقامية[٤] في قوله:"وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال ". وفي دعوته إلى البعد عن التعقيد والتوعر، وضرورة الملاءمة بين اللفظ والمعنى، يؤكد على أن النص عملية إنتاجية تستقبله النفوس وتقوم بتحليله

مع التنزيل فيه إلى غيره. (**محمد إدريس الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت)، ص ٣٢**).

١ إبراهيم صدقة: النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي، ط١: عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م، ص١٦٢.

٢ الجاحظ:البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٧: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص١٣٥.

٣روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣-١٠٧.

٤ سنتناول هذين المعيارين بشيء من التفصيل في المبحث التالي.

للوصول إلى فهم مدلولاته، وأن التوعر والتعقيد يحول دون الوصول إلى هذه الغاية، وهذا المفهوم يقترب من (القصدية) عند دي بوجراند.

وتظهر محاولات **الجاحظ (ت٢٥٥هـ)** في تحديد مفهوم النص من خلال مفهوم البيان، حيث تجاوز شروط تفسير الخطاب إلى تحديد شروط إنتاج الخطاب، وينبغي أن نشير في هذا المقام إلى أن التمييز بين النص والخطاب كان غائباً عند الجاحظ، فعندما عرّف البيان بأنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان"[١]، فإننا نجد أن مفهوم البيان عنده قد جاء "متطوراً جداً من الناحية النظرية، ولعله يلتقي بمفهوم النص من الوجهة الدلالية، فكلاهما يدل على الظهور"[٢]. وعند النظر إلى مفهوم الجاحظ، نلاحظ أنه اتجه به إلى نحو النص، باعتباره وسيلة تنطلق من المتكلم وتنتهي بالمتلقي للوصول إلى هدف معين؛ وهو الفهم والإفهام، فعندما يرسم لنا صورة لطريقة التواصل وكيفية إنتاج النص وصياغته، فهو بذلك يراعي الجانب الدلالي واللغوي للنص، و لا يتوقف عند إنتاج النص، بل يضع في اعتباره قدرة المتكلم على إيصال مقصده وهدفه، وقدرته على إقناع المستمع وإفهامه، وهو بهذا يستجمع أغلب معايير النصية.

– النص في المناهج النقدية الحديثة:

أفرزت الاتجاهات اللسانية تعريفات عديدة لمصطلح (النص)، مما يجعلنا نقف أمام حصيلة كبيرة من التعريفات التي تقربنا من ملامحه، إذ تعددت التعريفات وتنوعت وتداخلت في كثير من الأحيان، فبعض التعريفات تعتمد على مكوناتها الجملية وتتابعها[٣]، وبعضهم يضيف إلى تلك الجمل الترابط[٤]، وبعضهم يعتمد على الإنتاجية

---

١ الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ٧٦.

٢ بشير إبرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٣، العدد ١، ٢٠٠٧م، ص١٠١.

٣نجد هذا الاتجاه عند سعد مصلوح، وهاليداي، ورقية حسن،.. وسنتناول هذه التعريفات بشيء من التفصيل في هذه الدراسة.

٤ نجد هذه الإضافة عند (**الأزهر الزناد: نسيج النص، ص١٢**).

الأدبية أو فعل الكتابة [١]، في حين يعتمد آخرون على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصّاً[٢].

وأشار (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) ، إلى أن كلمة (نص) تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة. ويظهر واضحاً هذا التركيز على أن النص يتضمن المكتوب والمنطوق، على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً[٣]. ولكننا لا نجد تمييزاً في هذا التعريف بين النص المكتوب والمنطوق، فالحد الفاصل كي يكون النص نصاً إنما يكون في تتابع الجمل في وحدة متكاملة[٤].

والنص عند(فاينرش Weinrich)، هو: "وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالجملة يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجملة السابقة عليها فهماً أفضل"[٥].

أما (رولان بارتRoland Barthes)، فقد اعتنى بتركيب النص، حيث عرّف النص في العرف العام بأنه "السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إليه سبيلاً "[٦]، كما يرى أن النص "جسم مدرَك بالحاسة البصرية، وهو يرتبط بالكتابة، أي برسم الحروف، ولو أنه يبقى تخطيطاً فهو إيحاء بالكلام وتشابك النسيج"[٧]، فجعل السمة الأساسية عنده للنص تتابع

---

١ وهذا ما نجده عند رولان بارت، وفي أوائل السبعينات توسع مفهوم النص عنده ليشمل فكرة الترابط، وسنتناول هذا التعريف بشيء من التفصيل.

٢ وهذا التعريف الأشمل والذي سنعتمد عليه في دراستنا وهو تعريف روبرت دي بوجراند.

٣ أحمد عفيفي:نحو اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط: مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٢.

٤ "وقد ميز كثيرون بين النص والخطاب بأن النص مكتوب والخطاب ملفوظ، وأن النص متتالية جملية في حين أن ما ليس نصّاً لا يتجاوز الجملة الواحدة وأن النص ذو ترتيب معين وتركيب خاص، وهذا هو الذي يسمح للنص بتحقيق نصيته ". **(وليد منير: النص القرآني من الجملة إلى العالم، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص٢٠)**.

٥ محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، ط٢: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة – مصر، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م، ص ٣٨.

٦ محمد خير البقاعي: دراسات في النص والتناصية، ط١: مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٨م، ص٢٦.

٧ نفسه، ص٢٦.

الجمل، وهذه الجمل تكون مكتوبة؛ "لأن الكتابة ضمانة للشيء المكتوب، وصيانته له، وذلك بإكسابه صفة (الاستمرارية)"[١].

وقد كان لبارت تعريف آخر توسع من خلاله في مفهوم النص وذلك في السبعينات حيث جعل النص "فعالية كتابية، ينضوي تحتها كل من المؤلف الباث، والقارئ المتلقي، وبنتيجة التواصل، والمشاركة بينهما، يكون (النص) جزءاً من كلام موضوع في منظور كلامي معين"[٢].

وإذا انتقلنا إلى الأزهر الزناد، نجده لم يفرق بين النص الملفوظ والمكتوب، فالنص عنده "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحد وهو مانطلق عليه مصطلح النص"[٣]. ويهتم التعريف هنا بالربط اهتماماً كبيراً، دون إشارة صريحة إلى الكتابة أو النطق.

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن كل تعريف يتبنى اتجاهاً واحداً ويسقط البقية، ولذلك ارتأينا أن نأخذ في الاعتبار رأي صلاح فضل الذي يقول فيه:"علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة؛ لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية، فالنص ليس مجرد لغة، وليس مجرد اتصال، وليس مجرد كتابة، وليس تتابعاً لجمل مترابطة يراعى فيه الظروف الخارجية أحداثاً وزماناً ومكاناً؛ إنه يتكون من كل ذلك وأكثر"[٤].

ولعل رأي صلاح فضل يقترب كثيراً من تعريف (جوليا كريستيفا Julia Kristiva)حيث ترى "أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول. بل هو موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية ؛ بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها "[٥].

١عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق –دراسة–، اتحاد كتاب العرب، دمشق،٢٠٠٠م ، ص١٧.

٢ نفسه، ص ١٨.

٣ الأزهر الزناد: نسيج النص، ص١٢.

٤ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: سلسة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، ص٢١١.

٥ نفسه، ص٢١٢.

ويعمد (جيليان براون وجورج يول gillian brown and george yule) إلى تعريف النص تعريفاً مجتزأً، ثم يراجعانه ليسيرا مع تيار من يقول بالتماسك النصي، فيقولان:"لقد اعتمدنا إلى الآن في كتابنا على تعريف أقرب مايكون إلى البساطة لما يشكل نصّاً، لقد عرفنا النص على أنه التسجيل الكلامي لحدث تواصلي، ولكن عدد من الكتاب سعوا إلى الإتيان بتفسير أكثر ضبطاً وأكثر تقنيناً، ويهتم هؤلاء الكتاب بمبادئ الترابط (الوصل والفصل) التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض"[١].

ونستطيع أن نضيف إلى ملامح النص ما أطلق عليه (روبرت دي بوجراندRobert De Beaugrande) المعايير النصية السبعة حيث أشار إلى مفهوم النص على أنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك[٢]، والالتحام[٣]، والقصد، والقبول، والإعلام، ورعاية الموقف، والتناص [٤].

وقد صنفها (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande) إلى معيارين تبدو لهما صلة وثيقة بالنص، وهما معيارا (السبك والالتحام)، واثنان نفسيان وهما، معيارا(رعاية الموقف والتناص)، وترك المعيارين المتصلين بمنتج النص ومتلقيه، وهما (القصدية والتقبلية) من دون تصنيف، وكذلك (الإعلامية) تركه لتقدير المتلقي والمنتج[٥].

و التعريف الأخير لدي بوجراند هو المعتمد في هذه الدراسة، والذي درست الباحثة من خلاله أهم معايير النصية وهما السبك والالتحام. حيث عمد دي بوجراند إلى تحديد المعايير في منهجية علمية يستطيع أي باحث في هذا المنهج النصَاني أن يصل إلى الحكم على نصية أي نص من خلال تلك المعايير، بخلاف بقية التعريفات التي تتجه اتجاهاً واحداً أو تجعل للنص مفهوماً شاملاً دون أن تضع للباحث طريقاً للوصول إلى إثبات نصية ذلك النص.

---

١ ج.ب.براون، وج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني، منير التريكي، ط: جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، ص ٢٢٧.

٢ ويقصد به التماسك الشكلي.

٣ الالتحام: هو مصطلح استعمله تمام حسان ووظفه في كتاب النص والخطاب والإجراء والذي يعني التماسك الدلالي.

٤ روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣-١٠٥.

٥ نفسه، ص١٠٦.

ثانياً: التماسك النصي بين القدامى والمحدثين

أ-التماسك النصي عند القدامى:

تعددت المصطلحات والمفاهيم التي وظفها القدامى في دراستهم للتماسك النصي، حيث كان النص الأدبي عند البلاغيين والنقاد، والنص القرآني عند البلاغيين والمفسرين، المادة النصية التي قامت عليها أغلب الدراسات النصية القديمة، ومن تلك المصطلحات التي عبروا بها عن التماسك: التلاحم، النظم، الانسجام، المشاكلة، تناسب الأجزاء، ومن خلال دراستنا تتضح الصورة في معالجة القدامى للنص باستخدام هذه المصطلحات.

ويعد **الجاحظ (ت٢٥٥هـ)** أول من أدلى بدلوه في قضية التماسك عندما عرّف الشعر بقوله:"وأجود الشعر مارأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[١]، فجعل الحكم على جودة الشعر يتوقف على تلاحم أجزائه وانسجام ألفاظه وترابطها، بل نجده في موضع آخر يصف الشعر الجيد بأن "أجزاء البيت فيه متفقة حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وكأن الكلمة بأسرها حرف واحد"[٢]، فجودة الشعر عنده تتمثل في تلاحم الأبيات المكونة للقصيدة، وتلاحم الألفاظ المكونة للبيت، وتلاحم الأصوات والحروف المكونة للفظ.

وعرض **الجاحظ** ما يدل على اهتمام العرب القدامى بعملية السبك، فقال: "ورأيت عامتهم –فقد طالت مشاهدتي لهم- لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة، والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد"[٣]، ونجده في موضع آخر من كتابه الحيوان يلح على قضية جودة السبك، يقول عن أبي نواس وعلاقته بالكلاب: "وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب، لأنه كان عالماً راوية، وكان قد لعب بالكلاب زماناً وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة"[٤]، وما يعنينا من هذا النص، وصف

---

١ الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، ج١، ص٦٧.

٢ نفسه، ج١، ص٦٧.

٣ نفسه، ج٤، ص٢٤.

٤ الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢: مكتبة مصفى اليابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ج٢، ص ٢٧.

الجاحظ شعر أبي نواس بأنه يتصف بجودة الطبع فلا تكلف فيه، وجودة السبك فهو مترابط الأجزاء. وقد عبر الجاحظ عن التماسك في أقواله هذه بالتلاحم والسبك.

إن هذه النصوص الواردة في كتب الجاحظ تشير إلى وعي الجاحظ ببعض تلك المعايير التي اشترط المحدثون وجودها في النص دون أن يصرح بذلك أو يجعلها معايير للنصية.

أما **عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ هـ)** فالنص عنده ما ارتبطت أجزاؤه بعضها مع بعضها الآخر وأمثل صورة عنده لهذا هو (النص القرآني)، فنظر إليه نظرة تماسكية نصية؛ لأن "القرآن كالكلمة الواحدة لشدة تماسك آياته وسوره، فتتماسك الآية فيه مع الآية، والآية مع السورة، والسورة مع السورة، على الرغم من اختلاف السور فمنها المكية التي ترتكز على حقيقة الألوهية والعبودية، ومنها المدنية التي موضوعها العبادات والتشريعات، فهذه الموضوعات رغم اختلاف أسلوبها وتفاوت فترات نزولها، فإنها تتسم بالتماسك الموضوعي أو الوحدة الموضوعية؛ لأنها تتناول موضوعاً عامّاً موحدّاً، وهو إفراد الله وتوحيده بالعبادة"[١].

وحاول **عبد القاهر الجرجاني** أن يعلل السبب الذي أعجز العرب من النص القرآني بقوله: "تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً"[٢]، وفي موضع آخر نجده يصف المعاني وترابطها في الجملة بصورة تشير بشكل واضح إلى معنى التماسك ولعلها أوضح من مقاربتها في المناهج النقدية الحديثة، يقول: "واعلم أن مما هو أصل أن يدقق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين... واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم

---

١ صبحي الفقي: علم اللغة النصي (دراسة تطبيقية على السور المكية)، ط١: دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٠م، ج١، ص١٢٥-١٢٦.

٢ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)،ص ١٣٧-١٤٠.

إذا تدبرته، أنْ لم يحتج واضعه إلى فكر وروَّيةٍ حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك، لا يبغي أكثر من أن يمنعها التفرق.."[١].

ويتضح من خلال هذين النصين، أن **عبد القاهر الجرجاني** أشار إلى قضايا تتعلق بالتحليل النصي، أولها النظرة الكلية للنص، وثانيها ذكره لأهم المصطلحات التي تندرج في لسانيات النص، مثل التماسك المرتبط بالجوانب الدلالية المتعلقة بما يحيط بالنص والإحالات الخارجية ومصطلح الالتئام الذي يقابل التماسك النصي[٢].

إن تلك الإشارات في حديث **عبد القاهر الجرجاني** عن مفهوم النظم، تقترب من المصطلحات المذكورة في الدراسات اللسانية المعاصرة، وما يخص التماسك النصي، يقول: "وأما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حساب ترتيب معانيها في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيراً للنسيج والتأليف، والصياغة والبناء، والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى تكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"[٣].

وقد جعل **عبد القاهر الجرجاني** النظم يتحقق من خلال ستة عناصر، وهي: النسيج، والتأليف، والصياغة، والبناء، والوشي، والتحبير، ومن خلال هذه العناصر تتحقق بلاغة الخطاب أوالنص ممثلة في السبك والحبك، كما يسمى في الدراسات اللسانية المعاصرة؛ لأن هذا الانتظام في الألفاظ إنما يكون بتوافق مع معانيها وما يقصده المتكلم "فليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[٤]. على أن **عبد القاهر الجرجاني** في موضع آخر يورد قولاً دقيقاً قائماً على الثنائية التي تتحقق من خلالها بلاغة الخطاب أو النص إذ يبدأ بالنظم وينتهي بالتحبير، يقول: "على أن هاهنا نظماً وترتيباً وتأليفاً وتركيباً وصياغة وتصويراً ونسجاً وتحبيراً، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة

---

١ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص ٩٣،٩٦.

٢ صبحي الفقي: علم اللغة النصي، ج١، ص ١٢٦.

٣ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص ٤٩.

٤ نفسه، ص ٤٩-٥٠.

فيه"[١]. يشير الجرجاني من طرف خفي إلى قضية تماسك النص، من خلال هذه الثنائيات التي تحدد مستويات بناء النص (النظم، الترتيب)، (التأليف،التركيب)، (الصياغة،التصوير)، (النسج،التحبير)،كما أن فكرة التماسك النصي كانت واضحة في ذهنه وضوحاً مميزاً عندما يشبه نظم الكلام بقطع من الذهب المذاب حتى يصير قطعة واحدة [٢]، وهذا هو شأن النص عنده عندما يمر بهذه الثنائيات مبتدئاً بالنظم ومنتهياً بالتحبير[٣].

ولم يقف **عبد القاهر الجرجاني** عند هذا الحد، بل نجده يفصل في الوسائل والطرق التي يتم بها تماسك النص وانسجامه، كما هو واضح في الفصل والوصل التي يتمثل فيها التماسك الشكلي، والتماسك الدلالي وصولاً إلى تماسك النص، وقد تناول بالشرح والتمثيل بعض أدوات العطف لما لها من دور واضح في ترابط النص، وفي هذا يقول: "فأمر العطف إذن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضاً على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك "[٤].

وإذا كان **عبد القاهر الجرجاني** اهتم بارتباط الجمل بعضها ببعض بواسطة الأدوات كالواو، فإنه اهتم أيضاً بالعلاقة الخفية القائمة بين الجمل المشكلة للنص أوالخطاب، وهي علاقة لا تعتمد على رابط شكلي ظاهر سطحياً[٥]، وقد مثل لها بأمثلة من القرآن ولضيق المقام نكتفي بمثال واحد.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾، "لم يأتِ معطوفاً نحو (وكأن في أذنيه وقراً): لأن المقصود من التشبيه (بمن في أذنيه وقر) هو بعينه المقصود من التشبيه (بمن لم يسمع) إلا أن الثاني أبلغ و آكد في الذي أريد؛ وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً أن يَنفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات، فائدة معه، ويكون لها تأثير فيه، وأن يُجعل حاله إذا تليت عليه كحاله إذا لم تُتْلَ، ولا شبهة في أن التشبيه بمن في أذنيه وقر أبلغ وآكد في جعله كذلك، من حيث كان من لا يصح منه

١عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ص ٣٤.

٢انظر: نفسه، ص٤١٢-٤١٣.

٣ جاء في لسان العرب مادة (حبر)، تحبير الخط والشعر وغيرهما: تحسينه.

٤ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص ٢٤٥.

٥ محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط١: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م، ص١٠٧.

السمع وإن أراد ذلك، أبعد من أن يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة من الذي يصح منه السمع"[١]، وبهذا يتضح "أن تأكيد جملة لأخرى وسيلة هامة[٢] من وسائل تماسك النص / الخطاب، رغم أن كيفية الاتصال معنوية غير معتمدة على رابط شكلي"[٣].

لم تكن نظرية النظم بعيدة عن الأفكار اللسانية المعاصرة وبالأخص عن مصطلحي (التماسك) و (النص) لأن لهما غاية واحدة هي دراسة النص في جملته وكيفية تحقق التماسك والانسجام والتناسق فيه، فالجرجاني كان على بعد قريب من النصية المعروفة اليوم.

وإذا انتقلنا إلى **أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)**، نجده يجعل السبك مرادفاً للتماسك، فيقول:"أما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره....، ولهذا قيل:خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[٤]، إن هذا التصريح بمصطلح السبك وإن كان يتسم بالعمومية ولكنه يدل على إدراك (أسامة بن منقذ) لهذه المصطلحات وأهميتها في تماسك النص.

كما استعمل **ابن القيم (ت٧٥١هـ)** السبك بمعنى تماسك النص، يقول في كتابه الفوائد المشوق: "السبك هو تعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره "[٥].

وأكد **الآمدي (ت ٣٧٠هـ)** على ضرورة التوفيق بين لطف المعنى وجودة السبك وحسن اللفظ، حيث يقول:"وإذا جاء لطيف المعاني في غير ملاءمة، ولا سبك جيد، و لفظ حسن، كان ذلك مثل الطراز الجديد على

---

١ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص٢٢٨-٢٢٩.

٢ والأفصح مهمة.

٣ محمد خطابي: لسانيات النص، ص ١٠٧.

٤ أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ت)، ص١٦٣.

٥ ابن القيم: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت)، ص٣٤٢.

الثوب الخلق أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه"[١]، إن هذه الملحوظات المتفرقة في كتب القدامى تدل على وعيهم بأهمية تلك العناصر في الإحاطة ببنية النص وترابطها.

أما **حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)**، فأفاض البحث في الوسائل والعلاقات والكيفيات التي يتماسك بها النص، ولم تظهر عند غيره كما ظهرت في إنتاجه، واستخدم مصطلحات عديدة تقترب اقتراباً واضحاً من مفهوم التماسك؛ كالتناسب والاقتران والالتئام، و طرح نظرية مهمة لفهم النص شكلاً ومضموناً وهي (التماسك النصي)، حيث تحدث في المنهج الثالث من كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، عن تماسك الفصول وترتيبها ووصل بعضها ببعض وتحسين هيآتها[٢]، وقد استفتح هذا المنهج بنص قدم فيه رؤيته المتفردة إلى النص الشعري، يقول حازم في هذا الصدد: "اعلم أن الأبيات بالنسبة إلى الشعر المنظوم نظائر الحروف المقطعة من الكلام المؤلف، والفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلف من الحروف، والقصائد المؤلفة منها إذا رتبت على ما يجب ووضع بعضها من بعض على ما ينبغي كما أن ذلك في الكلمة المفردة كذلك، وكذلك يحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان إذا كان تأليفها منها على ما يجب، وكما أن الكلمة لها اعتباران: اعتبار راجع إلى مادتها وذاتها، واعتبار بالنسبة إلى المعنى الذي تدل عليه، كذلك الفصول تعتبر في أنفسها وما يتعلق بهيآتها ووضعها، وتعتبر بحسب الجهات التي تضمنت الفصول الأوصاف المتعلقة بها"[٣]. ويتضح مما سبق أن الكلام عنده يقوم على اعتبارين (المادة والهيئة) و (المعنى والغرض)، فلا يتحقق ائتلاف الكلام إلا إذا كان منشئ النص يأخذ في اعتباره حسن تأليف المبنى وتحقيقها للمعنى.

ب– التماسك النصي في المناهج النقدية الحديثة:

حظي التماسك النصي باهتمام كبير من طرف علماء لسانيات النص، لدرجة اعتباره لدى بعضهم أنه كل شيء في التحليل النصي؛ إذ بواسطته نميز بين النص وغير النص كما رأى ذلك (هاليداي و رقية حسن Ruqaiya

١ الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق أحمد صقر، ط٤: دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج١، ص٤٢٥.

٢ المقصود بالفصل عنده "بيتان، في غالب الأحيان، إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين"**محمد خطابي: لسانيات النص، ص ١٥٠.**

٣ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد ابن الخوجة، ط: دار الغرب الإسلامي، (د.ت)، ص٢٨٧.

HasanHallidayand)، اللذان اعتبرا روابط التماسك بين الجمل هي المصدر الوحيد للنصية [١]، وهذه النصية لا تتحقق لأي مقطع لغوي إلا إذا توفرت في هذا الأخير خصائص معينة تجعله كلّاً موحداً وتميزه على ما هو نص وعلى ما ليس نصّاً [٢]. وحين نبحث عن تعريف للتماسك نجد أن)هاليداي و رقية حسن

Ruqaiya HasanHallidayand) يريان أن التماسك النصي هو: "وجود علاقة بين أجزاء أو جمل النص أو فقراته لفظية أو معنوية وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص"[٣]، ونستطيع تحديد هذه العلاقات من خلال جملة من المعايير التي تحقق للنص نصيته.

وقد اختلط مفهوم التماسك النصي بتلك المعايير عند علماء النص، وظهرت إشكالية تحديد المصطلح، والتي نتج عنها تعدد المسميات الخاصة بمعايير ووسائل التماسك النصي،ومن أبرز أسباب هذا التعدد هو الاختلاف في الترجمة. فمصطلح (Cohesion) ترجمه (محمد خطابي) بالاتساق[٤]، و(سعدمصلوح) بالسبك[٥].

أما مصطلح (Coherence) فقد ترجمه (سعد مصلوح) بالحبك [٦]، (وتمام حسان)بالالتحام[٧]، واستعمل مفهومه (محمد خطابي) بلفظ الانسجام [١]، ومحمد مفتاح "بالتشاكل"[٢].

---

١ صبحي الفقي: علم اللغة النصي،ج١، ص٩٣.

٢ نفسه، ج١، ص٩٩.

٣أحمد عفيفي: نحو النص، ص٩٨، نقلاً من:

(Halliday and Ruqaiya Hasan:Cohesion in English)

٤ يتبنى محمد خطابي رأي (هاليداي و رقية حسن)، بأن "الاتساق مفهوم دلالي، يحيل إلى العلاقات المعنوية داخل النص، والتي تحدد كنص"ولكنه يضيف لها رأياً آخر حيث يرى "أن الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضاً في مستويات أخرى كالنحو والمعجم"**محمد خطابي:لسانيات النص، ص ١١-١٦**. وهذا التعريف للاتساق يجعلنا نقف أمام علاقات لا محدودة في النص تدخل ضمن الاتساق، سواءً كانت دلالية أو شكلية.

٥ سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ط١: لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م، ص٢٢٦.

٦ نفسه، ص٢٢٨.

٧ صبحي الفقي: علم اللغة النصي، ج١، ص٩٥.

وقبل الحديث عن هذين المستويين بشيء من الاستفاضة، سنعمد إلى التعريف بمعايير النصية عامة ووسائلها كما حددها)روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande)، والتي من خلالها يتحقق التماسك النصي، مستشهدين بما ورد عند القدامى من هذه المصطلحات أو مافي معناه.

١ الانسجام عند محمد خطابي ليس إلا مظهراً من مظاهر خطابية أخرى في المستوى الدلالي وهي : الترابط – الانسجام –البنيات الكلية. (**محمد خطابي: لسانيات النص، ص ٢٨**).

٢ إن تحديد السبك مقابلاً لمصطلح (Cohesion)، والحبك مقابلاً لمصطلح (Coherence) لأنهما أقرب شيء إلى المفهوم المراد، وأكثر شيوعاً في أدبيات النقد الأدبي، كما أنهما مقابلان عربيان يتسمان بالإفصاح والإبانة والتساوق. (**سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص٢٧١**).

ثالثاً: معايير النصية ووسائلها

يعد اللغوي الأمريكي (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande)، من أوائل علماء لغة النص الذين حاولوا أن يحددوا معايير النصية، لتأتي شاملة لكل تعريفات النص على اختلافها، وقد ضمنها في كتابه: (النص والخطاب والإجراء) الذي نشر في عام ١٩٨٠م[١]،ثم عاد (روبرت دي بوجراندRobert De Beaugrande) ليقدم هذه المعايير مع زميله (ولفغانغ دريسلرWolfgang Dresler) ، في كتابهما (مدخل على علم لغة النص)، الذي نشر عام ١٩٨١م[٢]، وعلى هذا الاعتبار، فإن بعض الباحثين نسبوا هذه المعايير إليهما معاً، ومنهم – سعد مصلوح–[٣]، ولكن بعض الباحثين يرون أن تنسب هذه المعايير لـ (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande) فقط، وهذا هو رأي الدكتور أحمد عفيفي[٤].

أ– مايتصل بالنص في ذاته

١–السبك(Cohesion):

- **مفهوم السبك عند القدامى:**

كان لعلماء العربية إسهامات عديدة، تناولت مستويات الدرس اللساني، الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية، إلا أن هذه الإسهامات جاء متفرقة في معظم المصادر العربية، ولم تأتِ شاملة ومنظمة كما نجدها عند المحدثين، ولكن هذه الإسهامات تنبئ عن وعي عربي عميق من علمائنا الأجلاء، وإدراك واضح لبعض العلاقات التي تكون بين الجمل بعضها مع بعض.

١روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ٦١،٥.

٢ إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد: مدخل إلى علم النص،ط١: مطبعة دار الكاتب، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، ص٢١.

٣ سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص ٢٢٥.

٤ يقول أحمد عفيفي في ذلك:"وقد درج بعض الباحثون على نسبة هذه المعايير السبعة إلى دي بوجراند ودريسلر معاً...، وأر ى أن تنسب هذه المعايير لروبرت دي بوجراند فقط حيث إن كتابه (النص والخطاب والإجراء) سابق لكتابه مع دريسلر". (**أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص٧٥ الهامش**).

وقد عبر **عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)** عن مصطلح السبك من خلال الإشارة إلى بعض وسائله، ففي سياق حديثه عن (الفصاحة) يقول:"وهل تجد أحدهم يقول: (هذه اللفظة فصيحة؟)، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم و حسن معناها لمعاني جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ وهل قالوا: (لفظة متمكنة ومقبولة)، وفي خلافه (قلقة ونابية ومستكرهة)، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها،وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها؟"[١]. فقد جعل عبد القاهر الجرجاني أساس الفصاحة هو تلاؤم المعاني واتفاقها مع المباني في نظم الكلام – أي في سبكه-.

ونجد **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه (دلائل الإعجاز) يتعرض لمصطلح (التضام) و(النسج) يقول في سياق تفريقه بين نظم الكلم ونظم الحروف يقول: "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض،وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف ما جاء واتفق؛ ولذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والوشي والتحبير وما أشبه ذلك؛ مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلٍّ حيث وضع، علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"[٢]، فقد كان مدركاً لأهمية المعنى النفسي الذي يقصده المتكلم في تلاحم الألفاظ والتعبير عن دلالتها. وقد اشتمل (دلائل الإعجاز) على إشارات قيمة لمباحث تدخل ضمن عناصر السبك عند المحدثين مثل: (الحذف والإضمار، التقديم والتأخير).

كما تحدث المفسرون عن وجوه الإعجاز في البلاغة القرآنية، يقول **الإمام السيوطي (ت٩١١هـ)** عن المناسبة بين الآيات موضحاً فائدتها في تعلق الآي بعضه ببعض: "المناسبة في اللغة هي المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو

---

١ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص ٤٤-٤٥.

٢نفسه، ص٤٩.

التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه. وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلازم الأجزاء"[١].

"وهذا النص يدلل على إدراك السيوطي لمفهوم السبك بقسميه: النحوي المتمثل في ترابط الجمل وتعلق بعضها ببعض. والمعجمي الممثل له بعلاقات، من مثل: (النظير والتضاد)، كما أشار إلى علاقات الحبك التي منها (العلّية والسببية)؛ مبيناً أثر ذلك كله في تماسك النص"[٢].

من خلال ما سبق، تبين للباحثة أن القدامى العرب كانت لهم اجتهادات تدل على إدراكهم ووعيهم التام بضرورة الترابط والتلاؤم بين الجمل بعضها ببعض، وأثر ذلك في صحة المعنى و سلامته، وإن كانت هذه الاجتهادات لم تعبر صراحة عن التماسك و معاييره ، ولكننا مع كل هذا لا نستطيع أن ننكر أهمية هذه الملحوظات، حيث إنها تعد أساساً لعلماء لسانيات النص المحدثين في دراستهم للتماسك النصي.

- **مفهوم السبك عند المحدثين:**

يتصل هذا المعيار بالبنية السطحية الشكلية عند أغلب الباحثين؛ لاشتماله "على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص، كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة"[٣]، حيث يترتب على "صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي"[٤]، والترابط الرصفي "أقرب إلى ظاهر النص،حيث يرتبط بالدلالة النحوية التي تعنى بكيفية انتفاع المتلقي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما"[٥].

---

١ السيوطي:الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ج٥، ص١٨٤٠.

٢ نادية النجار: علم لغة النص والأسلوب، ط١: مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٣م، ص٣٠.

٣ وقد ذكر علي خليل و إلهام أبو غزالة هذا التعريف لمصطلح (التضام) وكما ذكرنا في الصفحة ٢٥ من هذه الدراسة، أن تعدد المصطلحات كان سببه الاختلاف في الترجمة. (**إلهام أبو غزالة، علي خليل: مدخل إلى علم النص، ص١١**).

٤روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣.

٥ أحمد عفيفي: نحو اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص١٠٣.

إن هذا التعريف قد ذكره(روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande)في كتابه (النص والخطاب والإجراء)، أما (سعد مصلوح) فقد حدد السبك بأنه يختص بـ"الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص: الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصّاً إلا إذا تحققت لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته، ويجمع هذه الوسائل مصطلح هو الاعتماد النحوي "[١]،وقد بين (سعد مصلوح) الدرجات التي يتحقق فيها الاعتماد النحوي بقوله: "ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي:

١- الاعتماد في الجملة.

٢- الاعتماد فيما بين الجمل.

٣- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.

٤- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.

٥- الاعتماد في جملة النص"[٢].

وقد سماه – محمد خطابي – بالاتساق ولكنه نظر إليه نظرة لا تختلف عن الباقين وإن اختلف الاسم، يقول في هذا الشأن: "الاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص/الخطاب، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته"[٣].

- **آراء حول تقسيم وسائل السبك:**

بعد الحديث عن مفهوم السبك نشير إلى أهم الوسائل التي تحققه، وأقوال العلماء في ذلك مختلفة، لكننا نجد بعض التقارب بينهم في تحديدها.

---

١ سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص٢٢٧.

٢ نفسه، ص٢٢٧-٢٢٨.

٣ محمد خطابي: لسانيات النص، ص٥.

وأبرز من تحدث عن تلك الوسائل(هاليداي ورقية حسن Halliday and RuqaiyaHasan)، وصنفوها إلى خمس وسائل تربط بين الجمل وتساهم في تماسك النص وهي:

- المرجعية أو الإحالة وتتضمن ضمائر الإحالة الشخصية (أنا- أنت- نحن)، والإشارة (هذا – هؤلاء –أولئك) والمقارنة (أفضل، أكبر...).
- الاستبدال: ويتضمن الاستبدال الاسمي والفعلي والعباري.
- الحذف: ويشمل الحذف الاسمي والفعلي والعباري.
- الوصل أو العطف: ويضم الوصل الإضافي والاستدراكي والسببي والزمني.
- التماسك المعجمي: ويشمل أشكال التكرار والتضام.

وقد أشار (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan)إلى أنه بالإضافة إلى هذه الوسائل توجد وسائل أخرى شكلية تساهم في تماسك النص مثل: التوازي التركيبي، الوزن /البحر، الإيقاع / القافية "[١].

أما (دي بوجراند ودريسلرDe Beaugrande& Dresler)، فقد جعلا وسائل السبك تتمثل فيما يأتي[٢]:

- التكرار: وهو الإعادة المباشرة للكلمات نفسها.
- التكرار الجزئي: ويقصد به استعمال المكونات الأساسية للكلمة مع نقلها إلى فئة كلمة أخرى.
- التوازي: ويقصد به تكرار نفس البنية التركيبية لكنها تملأ بعناصر جديدة.
- إعادة الصياغة: وتعني تكرار نفس المحتوى بتعبيرات مختلفة.
- الصيغ الكنائية: وهي استبدال عناصر تحمل مضموناً معيناً بعناصر أخرى لا تحمل مضموناً مستقلاً مثل الضمائر وأسماء الإشارة.
- الحذف: ويعني حذف بعض العناصر في البنية السطحية مثل الفعل أوالفاعل أو الموصوف أو المفعول...إلخ.

١عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط٢: مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩هـ، ص١٠١.

٢روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٢٩٩ ومابعدها / عزة شبل محمد: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ص ١٠٢.

- الربط وله أربعة أنماط هي:

الوصل – الفصل – التعارض – التبعية.

وقد ذكر)هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan)في كتابهما (Cohesion in English)، أن جزءاً من السبك يتحقق عبر النحو، وجزءاً آخر عبر المفردات، وعليه فقد أشارا إلى أن السبك ينقسم إلى مستويين هما:

المستوى النحوي، والمستوى المعجمي [١]، وأضاف بعض الباحثين مستوى ثالث هو المستوى الصوتي، الذي أفاده من توقف)روبرت دي بوجراندRobert De Beaugrande) أمام مصطلح (التنغيم)الذي عده من المحاور الرئيسة لمصطلح السبك [٢].

وقد عرض لنا (محمد خطابي) من خلال الإشارة إلى عناصر مستوى السبك النحوي التي تكلم عنها)هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan)، حيث إنها تنقسم إلى [٣]:

- الإحالة.
- الاستبدال.
- الحذف.
- الوصل.

أما عناصر مستوى السبك المعجمي فتنقسم إلى:

- التكرار.
- التضام أو المصاحبة المعجمية.

---

١ جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٧٧.

٢ حسام فرج: نظرية علم النص، ط٢: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٨٣،١١٦.

٣ محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٦-٢٥.

واعتمدت الباحثة في تقسيمها لوسائل السبك على منهجية تتلاءم مع متطلبات دراسة النص القرآني، فجعلت السبك مرادفاً لمظاهر التماسك الشكلي، مستفيدةً من جميع الوسائل التي تحقق للنص ذلك التماسك.

٢-الحبك(Coherence):

- **مفهوم الحبك عند القدامى:**

كانت فكرة (الحبك النصي) واضحة في أذهان القدامى، وإن لم يصطلحوا عليها، وقد عبروا عن هذا المصطلح أو ما يتصل به من خلال مصطلحات عديدة، نحو: الاتصال، الامتزاج، التلاحم، الالتحام، الاتساق، الائتلاف، الاقتران، الارتباط، الملائمة، التناسب، ولعل الالتحام أقرب هذه المفاهيم لمعنى الحبك في المعاجم العربية [١]، أما الاتساق والتناسب فهو أقرب إلى الدلالة على اختصاص هذا المصطلح على الدلالة المعنوية من الشكلية.

ومن خلال هذا العرض الموجز، تتضح أهم إشارات القدامى التي تثبت إدراكهم ووعيهم لمصطلح (الحبك)، وإن تعددت أسماؤه.

ومما ورد في هذا الشأن مارواه **الجاحظ (ت٢٥٥هـ)** عن (عمر بن لجأ التيميّ) أنه قال لأحد الشعراء: "أنا أشعر منك ! قال: وبم ذاك؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"[٢]، إن علاقة النسب التي جاء بها (ابن لجأ) إشارة إلى قوة الترابط الدلالي بين الأبيات، فهو حريص على أن يصل بالأبيات إلى حد التآخي ولا يقبل بمرتبة دونها وهي:البيت وابن عمه. وهو بهذه العبارة يشير من طرف خفي إلى ضرورة التناسب بين الأبيات للوصول إلى الشاعرية.

---

١ جاء في معجم لسان العرب لابن منظور مادة (حبك) الحبك: يعني الشد، والاحتباك: شد الإزار وإحكامه.

٢ الجاحظ: البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج١، ص٢٠٦.

ونجد هذه الإشارة عند **أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)**، إذ يقول: ينبغي أن تجعل كلامك مشتبهاً أوله بآخره، ومطابقاً هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها"(١).

وفي هذا الشأن يقول **ابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ)**: "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم معانيها ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه، ويتفقد كل مصراع: هل يشاكل ما قبله؛ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا ينتبه إلى ذلك إلا من دقة نظر ولطف فهم"(٢)،"فانتظام المعاني واتصال الكلام في إشارة ابن طباطبا السابقة أمورٌ ينبغي لها أن تفهم في ضوء مبدأ الاستمرارية المعنوية التي توفر للخطاب حبكاً طويلاً هو نواة أبنيته الصغرى، كما توفر له حبكاً كليّاً، هو نواة بنيته الكبرى، اتصال الكلام وانتظام المعاني يؤديان بالضرورة إلى المشاكلة بين أجزاء القول لما كانت المشاكلة مما يحوج دقة نظر ولطف فهم"(٣).

أما **عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)**، فقد عبّر عن الحبك بقوله: "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة؛ وذلك أنك إذا قلت: ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد؛ لا عدة معانٍ كما يتوهمه الناس؛ وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم كلها لتفيده أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو(ضرب) وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق....وإذا كان كذلك بان منه وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معانٍ"(٤).

---

١ أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١: دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ص١٤١-١٤٢.

٢ ابن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، ط٢: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٢٩.

٣ محمد العبد: بحث حبك النص (منظورات من التراث العربي)، مجلة فصول، العدد ٥٩، ٢٠٠٢م، ص ٥٩ -٦٠.

٤ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص ٤١٢-٤١٣.

"وهذا يدل على أن بنية النص في تصور **عبد القاهر الجرجاني** تصل إلى مرتبة (الصهر) الذي هو أعلى درجات (التشكيل)"[١]. كما توسّع **حازم القرطاجني (٦٨٤هـ)** في حديثه عن الوسائل التي يتماسك بها النص [٢].

أما المفسرون فقد كانت جهودهم واضحة في تحليل النص القرآني كلٌّ على طريقته، وكان هدفهم الكشف عما في القرآن الكريم من حبك، حيث وقفوا على مظاهر الحبك الدلالي في القرآن. وأبرز من بحث في ذلك هو **الإمام السيوطي (ت٩١١هـ)**، فتحدث عن أغلب ركائز الحبك الدلالي عند المحدثين، ومن ذلك [٣]:

١- التفصيل بعد الإجمال [٤].

٢- المناسبة بين السور: وقد ذكر للمناسبة أنواع عديدة منها:

- بيان مناسبات ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة منها.
- بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها.
- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وذلك براعة الاستهلال.
- مناسبة أوائل السور لآخرها.
- بيان فواصل الآي، ومناسبتها للآي التي ختمت بها.
- مناسبة أسماء السور لها.

- **مفهوم الحبك عند المحدثين:**

يعد مصطلح (Coherence)من المصطلحات التي تباينت آراء الدراسين في شأن ترجمته[٥].وبغض النظر عن هذا التباين نقول إن الحبك من العناصر الأساسية التي أشار إليها (فان دايكVan dijk)في دراسته للعلاقة بين النص والسياق، فهو أساسٌ من أسس الدرس النصي، ومن ثم فمصطلح (Coherence)"يعني العلاقات التي

١ نادية النجار: علم النص والأسلوب، ص٦٤-٦٥.

٢ أشرت إلى هذه العلاقات في ص٢٣ من هذه الدراسة.

٣ السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ص٥٤.

٤ فصلت الحديث في أقوال السيوطي في الصفحات السابقة. انظر: ص١١-١٢.

٥ تناولت هذه الاختلافات في الترجمة في ص٢٤-٢٥ من هذه الدراسة.

تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص، هذه الروابط تعتمد على المتحدثين (السياق المحيط بهم)"[١]، و يقوم هذا المعيار عند (روبرت دي بوجراندRobert De Beaugrande)، على الترابط الفكري أو المفهومي الذي تحققه البنية العميقة للنص.ويحدد (سعد مصلوح) الحبك في قوله: "و أما الحبك فيختص بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[٢]، "أي أنه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف السبك الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص"[٣]. وبناءً على هذا، فإن الحبك أعم وأعمق من السبك؛ لأن الحبك يتطلب "من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده"[٤]، في حين أن السبك يجعل المتلقي ينصرف إلى البحث عن الوسائل اللغوية الشكلية الظاهرة على سطح النص، والتي أسهمت في تماسكه.

- **آراء حول تقسيم وسائل الحبك:**

لقد أولى علماء لسانيات النص الحبك عناية قصوى، ونظراً لتعدد وتنوع العلوم التي تجعل من النص محور دراسة لها، اختلفت الاتجاهات النظرية لهذه العلوم، فكل منها ينظر للنص وفق منظوره الذاتي ووجهته الخاصة، ولهذا تعددت عمليات الحبك الدلالي وآلياته تبعاً لتباين آراء علماء النص، وسنذكر آراء بعض العلماء حول تقسيم وسائل الحبك، ومنها:

عرض (محمد خطابي) مظاهر الانسجام عند (فان دايكVan dijk) متمثلة في:

- **ترتيب الخطاب**: وهو الترتيب العادي للوقائع في خطاب معين، وتترتب هذه الوقائع بصورة عادية وتحكمها مبادئ مختلفة، من بينها معرفتنا بالعالم، وبيّن (فان دايك Van dijk)أن هناك علاقات تحكم هذا الترتيب، وهي:

---

١ صبحي الفقي: علم اللغة النصي، ج١، ص٩٤.

٢ سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص٢٢٨.

٣ صبحي الفقي:علم اللغة النصي، ج١، ص٩٥.

٤ محمد خطابي: لسانيات النص، ص٥.

- العام والخاص
- الكل والجزء
- المجموعة – المجموعة الفرعية – العنصر.
- المتضمِّن – المتضمن.
- الكبير- الصغير.
- الخارج – الداخل.
- المالك – المملوك[١].

-موضوع الخطاب / البنية الكلية:

يعد موضوع الخطاب بنية دلالية، إذ بواسطتها نحكم على انسجام النص من عدمه، فهو أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب[٢].

أما (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande)، فيرى أن الحبك يتحقق عبر آليات هي:

- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.
- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم [٣].

واعتمدت الباحثة في تقسيمها لوسائل الحبك على منهجية تتلاءم مع متطلبات دراسة النص القرآني، فجعلت الحبك مرادفاً لمظاهر التماسك الدلالي، مستفيدةً من جميع الوسائل التي تحقق للنص ذلك التماسك.

---

١ محمد خطابي: لسانيات النص ، ص٣٨.

٢ نفسه، ص٣٨-٣٩.

٣روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

ب– ما يتصل بمستعملي النص:

١– القصدية (Intentionality):

إن معياري السبك والحبك يتصلان بالنص، ويتجهان نحو العمليات المرتبطة به، بيد أن هذا النص يتطلب في أثناء دراسته، البحث في أحوال مستعملي النص، وهذا ما نجده في المعيار الثالث من تلك المعايير النصية عامة، وهو (القصدية)، وموضوع هذا المعيار يتركز في تحقيق مقاصد منتج النص، "ويتضمن موقف منشئ النص، من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصّاً أو خطاباً يتمتع بالسبك والحبك، وأن مثل هذا النص يعد وسيلة من وسائل خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها"(١).

ونقل بعض الباحثين عن (دي بوجراند ودريسلر De Beaugrande& Dresler) أن "القصدية تعني قصد منتج النص من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون قصداً مسبوكاً محبوكاً.وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"(٢).

إن هذا التعريف للقصدية يجعل المرسل يوجه السبك والحبك نحو هدف محدد وهو التأثير في متلقٍ مخصوص وفي ظروف معينة.

٢– التقبلية(Acceptability):

وهذا هو المعيار الرابع من معايير النصية، و"يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام"(٣).

ونقلاً عن كتاب (مقدمة في علم اللغة النصي) لـ(دي بوجراند ودريسلر De & Dresler Beaugrande) أن المراد بالتقبلية: "تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضامّاً متقارناً ذا نفع للمستقبل أو ذا صلة به"(١).

١روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

٢ عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ٢٨.

٣روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤.

وينبغي أن نشير إلى أمر مهم يتعلق بـ(القصدية والتقبلية) أشار إليه (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande) منفرداً في كتابه (النص والخطاب والإجراء)، ومشتركاً مع زميله (دريسلر Dresler) في كتابهما (مقدمة في علم اللغة النصي) وهو التغاضي أو التساهل[٢]، ويعني التغاضي أو التساهل أن منتج النص يتساهل في تحقيق معايير السبك والحبك، فيقع مستقبل النص في بعض الصعوبات نتيجة لهذا الخلل في النص، ومن هنا يتحدد موقف المستقبل للنص إما أنه يتساهل إزاء موضع الخلل، أو أنه يزود النص بمادة ما لتلافي هذا الخلل، كي تتحقق الغاية من هذا الاتصال بين المنتج والمتلقي.

ولكن ينبغى أن يكون هذا التساهل في تحقيق السبك والحبك يقف عند حد معين، فيراعي منتج النص نوعية المتلقي وقدرته على فهم النص ومدى تحقق التواصل من خلال النص بين المنتج والمتلقي، وإن حدث فيه تساهل من جانبي السبك والحبك.

وثمت سؤال مفاده: هل يؤدي فقدان النص للسبك والحبك إلى فقدان التقبلية؟

يرى (دي بوجراند ودريسلر De Beaugrande& Dresler)"أن قناعة مستقبلي النص ستكون أكثر قوة عند قيامهم بتزويد محتواه بأنفسهم"[٣]، ويعلق (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande) على هذا التساؤل بأن "انتهاك الأعراف اللغوية (السبك)إذا ما دعت إليه الحاجة، أو احتواء النص على خلل في الربط المعنوي(الحبك)، لايؤدي إلى فقدان النص للتقبلية، مادام الخلل يقع في نطاق الأحداث القصدية عند منتج النص و التي تتجه إلى هدف"[٤].

---

١ إلهام أبو غزالة، علي خليل: مدخل إلى علم النص، ص١٢. والمقصود بـ"متضامّاً متقارناً": مسبوكاً محبوكاً.

٢روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣-١٠٤/ إلهام أبو غزالة، علي خليل: مدخل إلى علم النص، ص ٣٠-٣١.

٣ إلهام أبو غزالة، علي خليل: مدخل إلى علم النص، ص ٣٢.

٤ حسام أحمد فرج: نظرية علم النص، ص٥٣.

ولكن في حقيقة الأمر ترى الباحثة أن فقدان النص للسبك والحبك يحدث خللًا في فهم النص، وبالتالي تجعل مستقبل النص يقع في بعض الصعوبات من أجل تحديد قدرته على تقبل النص من عدمه، ولهذا فإن فقدان النص للسبك والحبك يؤدي إلى فقدان التقبلية.

ج– مايتصل بالسياق الخارجي:

١– الإعلامية(Informativity):

هي المعيار الخامس من معايير النصية، وقد ترجمها أحمد عفيفي إلى (الإخبارية)[١]، وتعني عند (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande): "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم ، في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابل البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل، تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع"[٢]، وقد حدد علم لغة النص، أن الإعلامية تشتمل على عامل الجدة ، أي بقدر جدة المعلومات وعدم توقعها يتحدد مستوى الإعلامية، فيرى (روبرت دي بوجراند Robert De Beaugrande)، أن "المدى الذي تكون فيه المعلومات أو العناصر، داخل النص معتادة في معناها، وفي أسلوب التعبير عنها، وطريقة عرضها، فهي عندئذٍ تمثل كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتادة فتمثل كفاءة إعلامية عالية الدرجة"[٣]، ومن خلال ما سبق، تبيّن للباحثة أن علماء النص حددوا لمصطلح (الإعلامية) مفهومين، هما:

١- الإعلامية بالمعنى العام، تدل على أن أي نص يجب أن يقدم خبراً ما، فالنصوص كلها تشترك في هذه الوظيفة.

٢- الإعلامية بمعنى الجدة وعدم التوقع، وتدل على ما يجده المتلقي في النص، من جدة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية.

---

١ أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص٨٦.

٢روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٥.

٣ حسام أحمد فرج: نظرية علم النص، ص٦٦.

ويتضح لنا من خلال هذين المفهومين لمصطلح (الإعلامية)، أن المفهوم الأول يتوقف عند حد الإخبارية أو الدعاية،فهذا النص يخبر بأمر ما ويعلنه سواءً كانت الفكرة متعلقة بشخص، أو بفكرة معينة، أما المفهوم الثاني فيتجاوز الإخبار إلى الإبداع والجدة في موضوعات النص، حسب حال المتلقي تجاه هذه الموضوعات.

٢- المقامية(Situationality):

أو رعاية الموقف كما سماها دي بوجراند، وترتبط بالموقف أو المقام الذي أنشئ فيه النص، ويرى أنها "تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف، وأن يغيره"[١].

١روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤.

الباب الأول

التماسك الشكلي في سورة الصافات

الفصل الأول: التحليل السياقي

المبحث الأول: التسمية وسبب النزول

المبحث الثاني: بنية السورة من خلال كتب المفسرين

المبحث الثالث: السياقات الواردة في السورة

المبحث الأول: التسمية وسبب النزول

١ – التسمية:

اسمها المشهور، والمتفق عليه في كتب التفسير والمصاحف كلها "الصافات"، ووجه تسميتها بالصافات ، "من باب تسمية الشيء باسم بعضه، على حكم عادته سبحانه في كتابه الكريم ولافتتاحها بالقسم بالصافات "[١]، ولم يثبت شيء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في تسميتها بغير الصافات إلا ما ذكره البقاعي في مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، فيقول: "وتسمى الزينة، لقوله تعالى فيها: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ)"[٢]، كما نقل السيوطي عن الجعبري تسميتها بسورة "الذبيح"غير أنه يحتاج إلى مستند من الأثر [٣].

٢ – مرحلة النزول:

سورة الصافات مكية بإجماع المفسرين[٤]. وهي السادسة والخمسون في تعداد السور المكية، والسابعة والثلاثون حسب تسلسل المصحف العثماني، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان[٥].

٣ – عدد آياتها:

عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصري وأبي جعفر القارئ ، أما عند الباقي فهي مائة وثمانون وآيتان، والاختلاف واقع في آيتين، الأولى (وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾) لم يعدها البصري وعدها الباقون آية،

---

١ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، ط١: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ /٢٠١٠م، م٦، ص ٣٣٩.

٢ البقاعي: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين، ط١: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ج٢، ص ٤٠٨.

٣ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص ٣٣٩.

٤ الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مراجعة يوسف الغوش، ط٤: دار المعرفة، بيروت –لبنان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص١٢٣٤ / الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، (د.ت)، ج٢٣،ص٦٤ / ابن عاشور: التحرير والتنوير، ط: دار الكتب التونسية، (د.ت)، ج ٢٣، ص ٨١ / البقاعي:نظم الدرر في تناسب السور، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج١٦، ص١٨٦.

٥ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ٨١ / البقاعي:نظم الدرر في تناسب السور، ج١٦، ص١٨٦.

أما الموضع الثاني فهو في قوله تعالى: (وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾) لم يعدها أبو جعفر آية وعدها الباقون آية[١].

٤- سبب النزول:

تعددت أسباب النزول في سورة الصافات ولم تجد الباحثة في كتب التفسير سبب نزول لهذه السورة في مجملها.

٥- فضائل السورة:

جاء في باب الرخصة للإمام في التطويل من سنن النسائي، عن عبد الله بن عمر: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات"[٢] .

وأخرج ابن أبي داوود في فضائل السورة، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ سورة يس، والصافات يوم الجمعة، ثم سأل الله أعطاه سؤله". وأخرج أبو نعيم في الدلائل، والسلفي في الطيوريات عن ابن عباس: "أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لما سأله ملوك حضرموت عند قدومهم إليه أن يقرأ عليهم شيئاً مما أنزل الله قرأ (والصافات صفاً)، حتى بلغ (رب المشارق)، أي: سورة الصافات"[٣].

كما وردت أحاديث في فضل آيات معينة من سورة الصافات، فقد روى ابن أبي حاتم،فقال: حدثنا عمار بن خالد الواسطي، حدثنا شبابة، عن يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليقل في آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾) "[٤].

١ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨١ / البقاعي: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص٤٠٨ / أبو عمرو الداني الأندلسي: البيان في عد آي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط١: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م، ص٢١٢.

٢أخرجه النسائي في سننه، كتاب الإمامة، باب الرخصة للإمام في التطويل (٩٣/٢) برقم: ٨٢٦.

٣ الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص١٢٣٤.

٤ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، ط٢: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ج٧، ص٤٧.

المبحث الثاني: بنية السورة من خلال كتب المفسرين

سورة الصافات من السور المكية التي تُعنى بتوجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة وتثبيتها في النفوس، لذا نجد أن المفسرين في كتبهم أشاروا إلى هذا المحور الرئيس للسورة، وجعلوه المصب الذي تصب فيه معطيات السورة كلها، وعدوه البنية الكلية الذي انطلقت منه البنى الجزئية التي تتناولها السورة. ومن خلال هذه الدراسة نستعرض جملة من آراء المفسرين في تحديد بنية سورة الصافات.

أ- بنية السورة عند سيد قطب في ظلال القرآن[١]:

يركز سيد قطب –عليه رحمة الله- على محورين في تفسيره للسورة:

الأول: وهو المحور الموضوعي في السورة المرتبط بالأمور العقدية، حيث يرى أن السورة تستهدف بناء العقيدة في النفوس وتخليصها من شوائب الشرك، ولكن من خلال معالجتها لصورة خاصة من صور الشرك، وهي الزعم بأن هناك قرابة بين الله عزوجل وبين الجن، وتستطرد في وصف تلك الصورة ، والزعم بأنه من التزاوج بين الله والجن ولدت الملائكة، وأن الملائكة إناث، وهن بنات الله!

كما تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى، قضية البعث والحساب والجزاء، والاستدلال بالكون المشهود لإثبات فكرة التوحيد، كما عرضت الآيات قضية الوحي و الرسالة.

أما المحور الثاني: يتناول عرض سلسلة من قصص الرسل التي تتكشف فيها رحمة الله ونصرته لرسله، وأخذه للمكذبين.

إذن، تقسيم سياقات السورة والمؤثرات الموحية التي تصحب عرض موضوعاتها كما يراها سيد قطب على النحو الآتي:

---

١ سيد قطب: في ظلال القرآن، ط٣٢: دار الشروق، القاهرة – بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، م٥، ص٢٩٨١-٢٩٨٢.

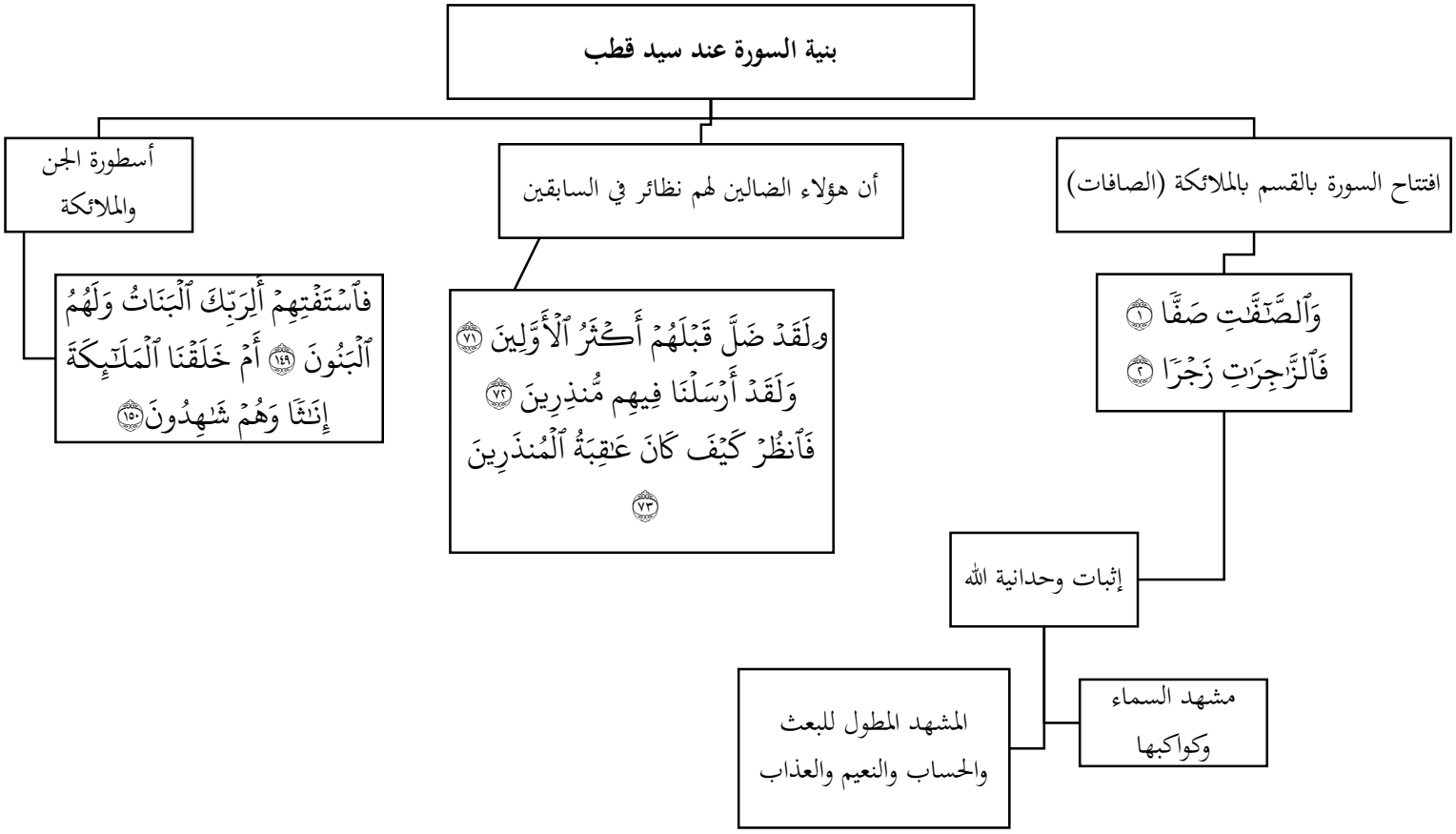
بنية السورة عند سيد قطب
افتتاح السورة بالقسم بالملائكة (الصافات)
وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١
فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢
إثبات وحدانية الله
مشهد السماء وكواكبها
المشهد المطول للبعث والحساب والنعيم والعذاب
أن هؤلاء الضالين لهم نظائر في السابقين
وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢
فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣
أسطورة الجن والملائكة
فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠

وعلى ضوء ماتقدم نستطيع أن نحدد بنية سورة الصافات كما يراها سيد قطب من خلال الشكل التالي:

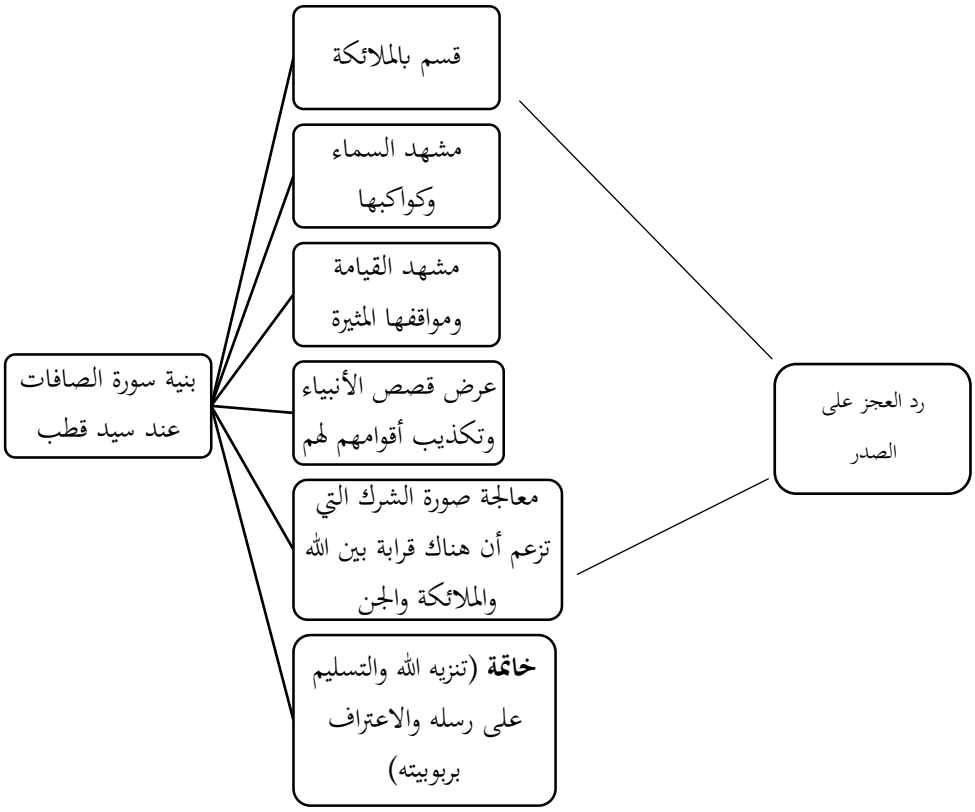

ب/ بنية السورة عند الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير[1]:

جعل الطاهر بن عاشور بنية السورة تتمركز حول موضوع واحد، وهذا الموضوع يلتف حوله بقية القضايا التي تتناولها السورة ، وهو (إثبات وحدانية الله)، حيث يرى أن الآيات ساقت دلائل كثيرة لإثبات وحدانية الله، كما يرى أن فاتحة السورة مناسب للموضوع الأساس، فالقسم بالملائكة مناسب لإثبات وحدانية الله، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨١-٨٣.

صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾)، وقد حدد الطاهر بن عاشور بنية السورة كما يأتي:

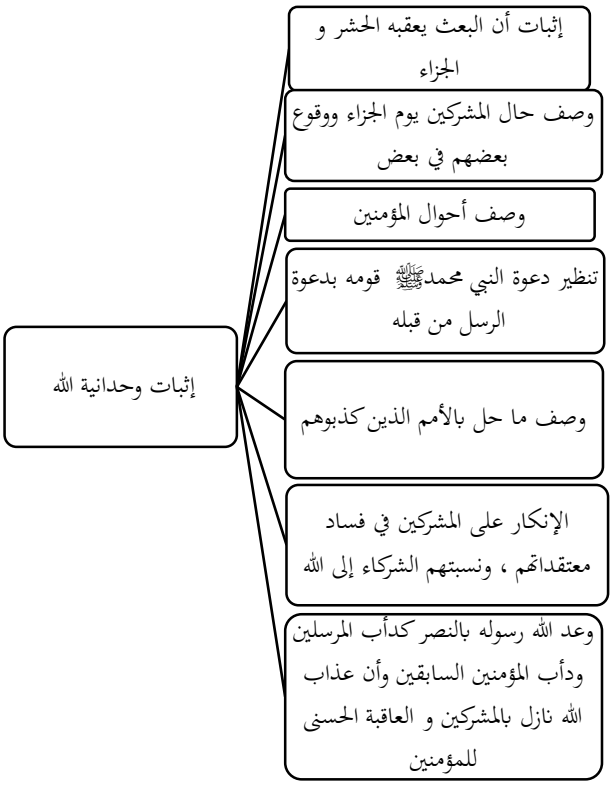

ومن ثم نجد بنية السورة كما حددها الطاهر بن عاشور لا تختلف عن بنيتها عند صاحب الظلال؛ إذ إن القضية الأولى كانت إثبات وحدانية الله من خلال ما عرض في السورة من تأكيد حقيقة البعث والنشر والحساب والجزاء، ووصف ماحل بالأمم السابقة المكذبة لرسلها، و معالجة صور الشرك السائدة في ذلك العصر.

ج/ بنية السورة عندالألوسي:

يركز الألوسي في مقدمة تفسيره لسورة الصافات،على المناسبة بين آخر سورة يس وبداية سورة الصافات، وأنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته سبحانه على إحياء الموتى، وأنه منشؤهم، جاء في أول سورة الصافات مايدل على أن الإله واحد للدلالة على وحدانيته سبحانه، وهذا هو المحور الرئيس لسورة الصافات. فالسور المكية تدعو إلى تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس بعد تصحيحها.كما أشار الألوسي إلى أن في السورة تفصيلاً لأحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة، وقد تفردت سورة الصافات بذكر شيء مما يتعلق بالكواكب لم يذكر فيما تقدم من السور[١].

١الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٣، ص٦٤.

المبحث الثالث: السياقات الواردة في السورة

نستطيع أن نحدد السياقات الواردة في السورة من خلال تحديد البنية الكلية والبنى الجزئية التي تتجاذبها البنية الكلية أو السياق العام في السورة، ومن ثم البحث في الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسياق في سورة الصافات.

إن من يتدبر سورة الصافات بعمق، يستطيع أن يلتمس حقيقة مهمة تبرز في جميع أجزاء السورة بشكل أو بآخر، سواءً قسمناها إلى مقاطع أو وحدات موضوعية، أو قسمناها إلى آيات، أنها تناقش موضوعاً واحداً، وقد تنبه كثير من المفسرين إلى هذه الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم.

وممن أشار إلى هذه الوحدة الموضوعية من المحدثين الدكتور محمد عبدالله دراز في النبأ العظيم، فيقول:"إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً؛ فإذا هي لو تدبرتها تجدها بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعب منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والإلتحام"[١]

إن سورة الصافات من السور المكية التي تناقش قضية التوحيد، وتصحيح العقيدة عند أهل مكة وتثبيت دعائم الإيمان الصحيح في نفوسهم، حيث تبدأ بالقسم المباشر (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣)، يتلوه جواب للقسم (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤). يتضح لنا أن الموضوع الرئيس للسورة هو وحدانية الله عزوجل، ويقابلنا في السورة استفتائين، الأول (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١)، والثاني (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝١٤٩)، "والاستفتاء: طلب الفتوى بفتح الفاء والواو،.... والمعنى فاسألهم عن رأيهم، فلما كان المسؤول عنه أمراً محتاجاً إلى إعمال نظر أطلق على

١ محمد عبدالله دراز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ط: دار الثقافة للنشر والتوزيع، قطر-الدوحة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٥٥.

الاستفهام عنه فعل الاستفتاء "[١]، ومن خلال البحث والاستفتاء وإعمال النظر تتحقق معرفة الله عزوجل حق المعرفة، وما تستلزمه هذه المعرفة من الإيمان به وتوحيده. أما خاتمة السورة ففيها تنزيه لله عزوجل (سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢)، "ومن خلال البداية والنهاية، ومن خلال الاستفتائين ندرك المصب الرئيس الذي يصب فيه سياق السورة، وهو التعريف على الله عزوجل، وماتستلزمه تلك المعرفة من توحيد الله،كما أن سورة الصافات حين تعرض قضية التوحيد، تعرض معها قضايا الإيمان كلها؛ لأن التصور السليم لموضوع التوحيد مرتبط بالتصور السليم لقضايا الإيمان كلها. إنها تهدف إلى تثبيت عقيدة الإيمان في النفوس عن طريق ما تعرضه من دلائل تحقق أركان الإيمان الستة، وهذا كله يصب في سياق السورة العام"[٢]، الذي يتضح لنا في النقاط الآتية:

١- القسم بالملائكة في أول السورة حقق تناسباً مع الغرض الرئيس من السورة، الذي اتضح في جواب القسم (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ ٤)، كما أن الآيات استمرت في سرد الدلائل الكونية على وجود الله والاعتراف بألوهيته.

٢- تناولت الآيات قضية الإيمان باليوم الآخر والبعث والجزاء والحساب، من خلال الأدلة العقلية التي وجهها الخطاب القرآني إلى كفار مكة (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبِۭ ١١).

٣- عرضت الآيات قضية الوحي والإيمان بالرسل وأن دعوتهم واحدة من خلال عرض سلسة من قصص الأنبياء.

٤- جاء في ختام السورة الحديث عن حقيقة الملائكة والإيمان بوجودهم، وأنهم من خلق الله أوجدهم لعبادته، ولم يرد في وصفهم ذكورة ولا أنوثة.

٥- أشارت الآيات إلى الإيمان بالقدر خيره وشره من خلال قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٩٤.

٢سعيد حوى: الأساس في التفسير،دار السلام، القاهرة-حلب – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، م٨، ص ٤٦٧٩-٤٦٨٠.

ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾)، وقوله تعالى: (فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾).

٦- أما الإيمان بالكتب فقد ورد في قوله تعالى: (وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴿١٦٨﴾لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:"قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمرالله، وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله"(١).

-الخصائص الأسلوبية للسياق المكي:

يأتي السياق المكي في مجمله مخاطباً أهل مكة، وقد كانوا أهل فصاحة، فجاء الخطاب موجزاً بعيداً عن الإطناب، متسماً بقصر الآيات، وإيجاز العبارة، وجزالة الألفاظ، وهذا ما نجده واضحاً في سورة الصافات.

كما أن الخطاب في الآيات مناسب لحال المخاطبين، حيث كانوا أهل كفر وعناد، و في غفلة تامة عن الحق والتوحيد، فغلب على خطابهم أسلوب التعنيف والتهديد والتخويف بما يتلاءم مع حالهم، وإلى هذا أشار صاحب الظلال، فقال: "هذه السورة المكية -كسابقتها- قصيرة الفواصل، سريعة الإيقاع، كثيرة المشاهد والمواقف، متنوعة الصور، عميقة المؤثرات، وبعضها عنيف الوقع، عنيف التأثير "(٢).

- الخصائص الموضوعية للسياق المكي:

تحث الآيات المكية على تصحيح العقيدة ونبذ الشرك والإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث، كما أنها تندد بالعادات التي كانت سائدة في ذلك العصر من عبادة الأصنام، وشرب الخمر، ووأد البنات، وأكل مال اليتيم، واضطهاد الرجل والمرأة.

أما سورة الصافات، فقد نددت بإحدى صور الشرك التي كانت سائدة في ذلك العصر، وكشفت عن زيفها وبطلانها، وهي الزعم بأن هناك قرابة بين الله والجن، وأن الملائكة إناث وهن بنات الله. وبالتالي فإن هذه المرحلة "لم

١ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ج٧،ص٤٤.

٢ سيد قطب: في ظلال القرآن، ص٢٩٨٠.

تكن مهيأة لوضع أسس نظام إسلامي؛ لغياب مكونات ذلك المجتمع، وكان لابد من توسيع دائرة الدعوة، لكي ينصب الاهتمام أولاً على إصلاح العقيدة عن طريق المقارنة بين الإيمان والكفر، واستخدام العقل البشري كأداة للتمييز والترجيح "[١].

١ محمد فاروق النبهان:المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ط١: دار عالم القرآن حلب، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م،ص٩٧.

الفصل الثاني: التماسك النحوي

المبحث الأول: الإحالة

المبحث الثاني: الحذف

المبحث الثالث: الشرط

المبحث الأول: الإحالة

لم يكن مصطلح الإحالة حديث النشأة والظهور عند علماء النصية، بل كان للعرب من لغويين ومفسرين ونحويين السبق في ذلك ، دون استخدامهم لمصطلح الإحالة، حيث قالوا: ويعود هذا الضمير، أو يرجع هذا الضمير؛ أي أنهم يستخدومون مصطلح (العائدية) أو (المرجعية).

أما عند علماء النصية، فقد ظهر مصطلح الإحالة (Reference) كأداة من أدوات الربط والتماسك اللفظي، نلحظ ذلك عند (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) [١]، ثم قدّم (ديبوجراند ودريسلر De Beaugrande& Dresler) مصطلح الألفاظ الكنائية (pro-forms)، وهو مصطلح عام يندرج تحته إضمار الاسم (pro-noun)، وإضمار الفعل (pro-verb)، وإضمار المكمل (pro-complement)[٢].

واستخدم(براون ويول brown and yule) مصطلح الإحالة داخل النص أو الإحالة النصية [٣].

- **الإحالة لغة:**

الإحالة مأخوذة من مادة (حول)، جاء في لسان العرب: أحالَ الرجل إحالةً: تحول من شيء إلى شيء آخر، وأحال الشيء واحتال: أتى عليه حول كامل، وأحال بالمكان إحالة: أقام حولاً، و أحال الماء على الأرض:

١عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص١١٩.

٢ انظر:روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٣٢٠-٣٣٩.

٣ ج.ب.براون وج.يول: تحليل الخطاب، ص ٢٣٠.

صَبَّه، وأحال الكلام يحيله إحالة: إذا أفسده[١]. والإحالة هي: الإقبال على الشيء والميل إليه[٢]، يقول الزبيدي: أُتْبِع فلان بفلان أي أُحِيلَ له عليه. وأَتْبَعَهُ عليه: أحاله[٣].

- **الإحالة في النظرية اللغوية العربية القديمة:**

اهتم العرب القدامى –خاصة النحويين– بدراسة الإحالة المقالية القبلية والبعدية، ولكننا لا نجد جهودهم تعدت حدود الجملة، أما الإحالة المقامية، فقد درسها **عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)** في أثناء حديثه عن النظم – أي أنها تعدت حدود الجملة إلى النص بأكمله – حيث اعتنى بالمقام، أو ما يسمى بـ(سياق الحال). ويظهر ذلك في حديثه عن المعنى أو معنى المعنى، فما يصل إليه بظاهر اللفظ فهذا هو المعنى، نحو: خرج زيدٌ، فإذا لم يصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، بل وجِد لذلك المعنى دلالة ثانية يصل بها إلى الغرض، فذلك هومعنى المعنى، نحو: رجل كثير رماد القدر، وطويل النجاد ، أوامرأة نؤوم الضحى ، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معنى آخر هو غرضك، كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف.....والمقصود من المعنى، المفهوم من ظاهر اللفظ والذي يصل إليه بغيروساطة. وبمعنى المعنى أن يعقل من اللفظ معنى ثم يفضي ذلك المعنى إلى معنى آخر[٤]، ومعنى المعنى يتضح من خلال دلالة الحال عليه.

أما النحاة فقد درسوا الضمير ومرجعه، ورتبة هذا المرجع هل هي متقدمة أو متاخرة، يقول الرضي عند الكلام عن الضمير في (ضرب غلامه زيد): "لابد من متقدم يرجع إليه هذا الضمير تقدمّاً لفظياً أو معنوياً، وهو راجع إلى زيد وهو متاخر لفظاً، فلولا أنه متقدم عليه من حيث المعنى، لم يجز؛ فجعله من باب المتقدم معنى، لا لفظاً، وهو

---

١ ابن منظور: لسان لعرب، مادة (حول)، ص١٠٥٤ ومابعدها.

٢ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث، ط٨: مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م، مادة (حول)، ص٩٨٩.

٣المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مادة (تبع)، ج٢٠،ص٣٨٣.

٤ عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص٢٦٢-٢٦٣.

الحق"[١]، وتتضح عنايتهم بالإحالة كذلك عند الكلام عن الموضع التي يعود فيها الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهي عند ابن هشام سبعة [٢].

كما درس النحاة العرب القدامى الإحالة في حديثهم عن تصنيف الألفاظ، فقالوا:"يعتمد على تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة و هي الألفاظ التي لها دلالة، والتي تحيل بمفردها على خارجها في الواقع، وألفاظ غير مبهمة، لها دلالة، لكنك لا تعرف لها خارجاً إلا متى توفر مفسرها، وهذا المفسر قد يكون مقامياً، وقد يكون مقالياً"[٣]. والمقالي –كما ذكرنا– يكون قبليّاً أو بعديّاً، وكما عد ابن هشام بعض المواضع للإحالة القبلية، فقد أشار سيبوبه إلى وظيفة الألفاظ المبهمة، حيث ذكر في بعض إشاراته الإحالة المقالية البعدية: "فأما المبني على الأسماء المبهمة، فقولك: هذا عبد الله منطلقاً، وهؤلاء قومك منطلقين، وذاك عبدالله ذاهباً، وهذا عبدالله معروفاً. فهذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهوعبد الله، ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله"[٤].

إذن، نجد أن دراسة القدامى للإحالة كانت تميل إلى الدراسة النحوية أكثر من الدراسة اللغوية البلاغية، وكانت جهودهم محصورة في حدود الجملة الواحدة، وصحة بنائها من خلال مرجعية الضمير ومطابقته لهذا المرجع.

---

١ محمد بن الحسن الرضي: شرح الرضي لكافية ابن حاجب، تحقيق حسن الحفظي ، ط١: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١٤هـ-/١٩٩٣م، ج٢، ص١١٤.

٢ وهذه المواضع كالتالي:

– أن يكون الضمير مرفوعاً بـ(نعم) أو (بئس)، نحو: نعم رجلاً كان زيد

– أن يكون الضمير مرفوعاً بأول المتنازعين المعمل ثانيهما، مثل: جفوني ولم اجف الأخلاء.

– أن يكون مخبراً عنه فيفسره خبره، مثل: قوله تعالى:: "إن هي إلا حياتنا الدنيا"

– ضمير الشأن والقصة، نحو قوله تعالى: "قل هو الله أحد".

– أن يجر برب مفسراً بتمييز، وحكمه حكم ضمير نعم وبئس في وجوب كون مفسره تمييزاً وكونه هو مفرداً، وقال:

رُبّهُ فتية دعوت إلى ما يورث المجد دائباً فأجابوا

– أن يكون مبدلاً منه الظاهر المفسر له، مثل: ضربته زيداً.

– أن يكون متصلاً بفاعل متقدم، ومفسره مفعول مؤخر، مثل: ضرب غلامه زيد. (ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩١م،،ص٥٦٣-٥٦٨).

٣ محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج١، ص١٢٥.

٤ سيبوبه: الكتاب ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ٧٨.

- **الإحالة عند علماء النص المحدثين:**

لم يتفق علماء النص المحدثون على تعريف موحد للإحالة، ولكن من خلال استعراض بعض آراء النصيين حول مفهومه، نستطيع تحديد مفهوم واضح وشامل للإحالة.

حيث يرى (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) أن "الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، كما أن العناصر المحيلة عندهما كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[١].

وقد عرّف(دي بوجراند De Beaugrande) الإحالة بأنها: "العلاقات بين العبارات، والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما"[٢].

كما أشار(براون ويولbrown and yule) إلى رأي (جون لاينز John Lyons) الذي أكد فيه أن "العلاقة بين الأسماء والمسميات علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى المسميات،.....إن المتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب، أي أنه يحمّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة"[٣]. فالمتكلم هو الذي يستعمل تعبيراً مناسباً لتتحقق الدلالة المطلوبة من خلال عملية الإحالة.

أما(براون ويولbrown and yule)، فخرجا بنتيجة مؤداها أن "في تحليل الخطاب ينظر للإحالة إلى كونها عملاً يقوم به المتكلم أو الكاتب"[٤]. إن هذه النتيجة تظهر طرفاً من الأطراف المشاركة في الإحالة، وتلغي دور اللفظ الذي يحمل المعنى في الخطاب المشتمل على هذه العملية الإحالية التي يشارك فيها منشئ النص –المتكلم أو الكاتب–، حيث لا يمكن أن تستقيم تلك العملية إلا من خلال اكتمال العناصر التي تحقق تلك العملية الإحالية.

---

١ محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٦-١٧.

٢روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء،، ص٣٢٠.

٣ ج.ب.براون وج.يول: تحليل الخطاب، ص٣٦.

٤ نفسه، والصفحة نفسها.

كما تناول بعض المؤلفين موضوع الإحالة، دون أن يذكروا لها مفهوماً واضحاً؛ ومنهم الأزهر الزناد، ومحمد خطابي.[١]

أما الدكتور تمام حسان فقد ركز في تعريفه للإحالة على أدواتها ووسائلها يقول: "الربط بالإحالة: أن يشير عنصر لاحق إلى عنصر آخر سابق في سياق النص، ومن ذلك أن يُعاد ذكر العنصر السابق بلفظه أو بمعناه أو بضميره أو الإشارة إليه"[٢].

ومن خلال الآراء السابقة للنصيين في الإحالة، ترى الباحثة أن الإحالة: هي عملية دلالية يقوم بها منشئ النص، من خلال وضع الألفاظ المبهمة في سياقات لغوية أو غير لغوية بحيث تشير هذه الألفاظ إلى دلالات مقالية أو مقامية، سابقة أو لاحقة عليها، وتؤدي وظيفتها الإحالية التي تضمن للنص تماسكه وترابطه وبالتالي استمراريته.

- **وظيفة الإحالة:**

تعد الإحالة من أهم الوسائل التي تقوم بعملية تنشيط للذاكرة البشرية، فتمكنها من اختزان آثار الألفاظ السابقة، وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها وتحللها بنجاح دون ضير بالتواصل[٣]. فتسهم الإحالة في استخدام هذه الآثار وربطها بألفاظ أخرى في سياقات مشابهة مما يحقق الاستمرارية للنص.

كما أن الإحالة تعمل على ربط عناصر بنية النص من خلال العلاقة القائمة بين اللفظ المحيل والمحال إليه في السياق اللغوي أو بما اختزله الذهن في السياقات غير اللغوية، مما يحقق الاقتصاد اللفظي وتجنب التكرار والإعادة، التي تفكك النص وتهدمه.

وتسهم الإحالة في تحديد الفكرة الأساسية للنص وتنظيمها، من خلال تعيين المرتكز الضوئي للنص وموضوعه العام. والمرتكز الضوئي: "تركيب لغوي وارد في النص، تتمحور فيه ذروة النص التي يكون ما قبلها مفضياً إليها، وما بعدها ناتجاً عنها أو تفريعاً عليها"[١].

---

١ الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ١١٨ / محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٦.

٢ تمام حسان: اجتهادات لغوية، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص١٥٥.

٣ الأزهر الزناد: نسيج النص، ص٢٤٠.

ولا تقتصر وظيفة الإحالة على الربط والاقتصاد اللفظي فحسب، بل إنها تضفي على النص دلالات مختلفة تسهم في تحسين الكلام أو إيضاح أمر مجهول أو مشكوك فيه، وكذلك لفت انتباه المتلقي من خلال تكثيف اهتمامه للوصول إلى دلالات هذه العملية الإحالية.

وتنقسم العناصر اللغوية في العملية الإحالية من حيث وظيفتها إلى قسمين:

١- العنصر الإحالي.

٢- العنصر الإشاري.

ويرى الأزهر الزناد أن العنصر الإشاري يمثل معْلَماً لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره، و هي في ذلك تقابل العناصر الإحالية التي ترتبط بذلك العنصر الإشاري وما يتعلق به من ملابسات [٢].

- **أنواع الإحالة:**

وضع (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) الأساس الذي سار عليه النصيون في تقسيمهم للإحالة، وهو كالآتي[٣]:

١ محمد حماسة عبداللطيف: الإبداع الموازي – التحليل النصي للشعر، ط: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٨.

٢ الأزهر الزناد:نسيج النص، ص ١١٦.

٣ عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص١٢١.

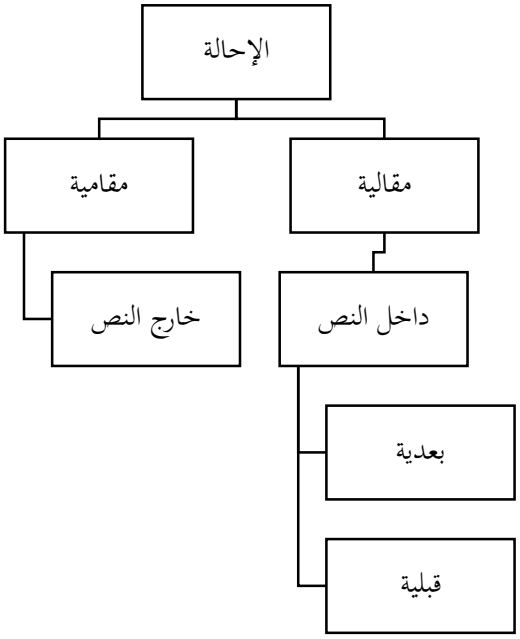

وتستطيع الباحثة أن تحدد اتجاه هذه الإحالة من خلال طبيعة دراستها، ونوع النص الذي أقامت عليه تلك الدراسة.

- **أدوات الإحالة:**

١- الضمائر الشخصية:

عرف النحاة الضمير بأنه: "ما وضع لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى أو حكماً"[١]، وعد الرضي الضمير من روابط أجزاء الكلام في حديثه عن الخبر إذا كان جملة، وضرورة اشتمال جملة الخبر على ضمير يربطها بالمبتدأ، يقول في ذلك: "وإنما احتاجت إلى الضمير؛ لأن الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا

١محمد بن الحسن الرضي: شرح الرضي لكافية ابن حاجب، تحقيق حسن الحفظي، ج٢، ص١١١.

قصدت جعلها جزء الكلام فلابد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير"[١]. "وشرط الإضمار الترادف التام في المعنى بين الضمير وما يحيل عليه ، فإذا كان المعنى مختلف فإن الإظهار أفضل"[٢].

وترتبط الآيات في السورة بسلسلة من العلاقات الإحالية التي تسهم في تحديد القضايا الأساسية التي تعالجها السورة، وتساعد على تعيين المرتكز الضوئي للسورة وموضوعها العام،والمرتكزات الضوئية في السورة تتلخص في ثلاثة موضوعات:

أما العنصر الإشاري الذي أحيلت إليه أغلب الضمائر، هو (كفار مكة) حيث لا نجد له ذكراً صريحاً في السورة، وإنما يفهم من سياق النص. وتنوعت الإحالات الضميرية بين الغائب والمخاطب وكلها ترتبط بالعنصر الإشاري.

إن (كفار مكة) محور مهم في السورة، فالسورة تعالج صورة من صور الشرك التي كانت سائدة عندهم في ذلك العصر، فجاءت أغلب الإحالات الضميرية ترجع لذلك العنصر الإشاري المفهوم من سياق النص القرآني لدحض تلك الصورة الشركية التي يؤمنون بها، بأن هناك قرابة بين الله عزوجل وبين الجن –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– وأن الملائكة هم بنات الله.

وإذا تتبعنا هذه الإحالات الضميرية لا نجدها متتابعة من أول السورة إلى آخرها، وإنما يتخللها موضوعات أخرى تسهم في بناء الموضوع العام للسورة، ولكن الإحالات كان لها دور كبير في ربط أول السورة بوسطها وآخرها من خلال الضمائر.

فجاء ضمير الخطاب (الكاف) في الآية الرابعة (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤) يحيل إلى عنصر إشاري مقامي وهو (كفار مكة)، الذي يبرهن لهم أن الإله واحد وليس متعدداً كما يعهدون، وأكد ذلك بآية أخرى تلتها مباشرة (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥). كما أن الآيات بعدها تناولت قضية رجم الجن الذين يسترقون السمع، فجاءت الإحالة من خلال الاستفهام التقريري (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ

١محمد بن الحسن الرضي: شرح الرضي لكافية ابن حاجب، تحقيق حسن الحفظي، ج١، ص٢٦٨.

٢ محمد محمد يونس علي: الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، مدونة تخاطب، ١٢ يونيو، ٢٠٠٩م.

إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ)، فيعود الضمير الإحالي ليربط الآيات بالعنصر الإشاري المقامي، ويأتي بعد هذه الآية حوالي (٢٧) إحالة قبلية تتنوع بين الضمير المتصل والمنفصل والغائب والمخاطب، وتستمر الإحالات حتى نهاية السورة لتصل أولها بآخرها وتُفصِّل ما أجمل في بدايتها من خلال الاستفهام التعجبي وفعل الاستفتاء الوارد في قوله تعالى: (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾).

إن أغلب الإحالات في السورة ترجع إلى المشركين من أهل مكة؛ لأن السورة تبطل مزاعمهم. فالتحليل النصي للعناصر الإحالية في السورة يظهر لنا أن الضمير المتصل الغائب (هم) والمخاطب (كم)، ورد في فضاء النص ورواداً واسعاً؛ ليحكم بنية النص ويجعلها نسيجاً واحداً عن طريق إحالته للعنصر الإشاري المقامي (كفار مكة)، حيث أحيلت عليه إحالات ضميرية بلغت (٤٥) إحالة، وهي في جميعها إحالات قبلية تمثل المرتكز الضوئي للسورة والبؤرة الإحالية للمخاطَب في آياتها. وهذا الربط يعود إلى الموضوع الذي تعالجه السورة، وهو إبطال مزاعم هؤلاء المشركين من خلال جملة من الأدلة الحوارية والخطاب الحجاجي الجدلي للوصول إلى نتيجة واحدة مفادها إفراد الله بالعبودية، وتنزيه الله عن الشريك والولد.

كما أن ضمير الذات (نا) أحال على لفظ الجلالة (الله) المذكور في قوله تعالى: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾)، وبلغت عدد الإحالات عليه (٤٠) إحالة، وكلها إحالات قبلية بضمير الذات (نا)، حيث سادت البنية الإحالية على هذ الإحالة الضميرية "فدلت الأفعال المسندة إلى ضمير الإحالة (ضمير المتكلم الجمع الدال على الذات الإلهية) دلالات ينسبها الخالق لنفسه في صيغة مؤكدة ترد المتشككين"[1]، كما في (زينا، خلقنا، خلقناهم، أغرقنا...)، أو تعظيم الله وتنزيهه عما وصفه المشركون، ونسبه إليه الكافرون، كما في (إنا، عبادنا، جندنا،أفبعذابنا..). حيث ارتبط النص بشبكة إحالية تعود في مجملها إلى الآيات الأولى التي أكدت وحدانية الله وأن كل مافي هذا الكون يجري بقدرته وتحت مشيئته، ولا نجد في السورة ضميراً للذات (نا) إلا ويحيل على ذات الله عزوجل.

---

١ أنس فجال: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ط١: نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٤٤٩.

وقد اختفى متلقي النص رسول الله، محمد –صلى الله عليه وسلم– من بنية النص، فلم يذكر اسمه صراحة، وتمت الإحالة عليه في (١١) موضعاً، وتنوعت هذه الإحالات؛ فجاءت بالضمير المستتر (أنت) في (٦) مواضع، وبتاء الخطاب في (٣) مواضع، وبكاف الخطاب في موضعين.

كما عرضت السورة قصصاً لبعض الرسل، وكان للإحالة الضميرية دور بارز في تماسك القصة القرآنية، نلحظ ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام. وتميز هذا النص القصصي بسلسلة إحالية منسجمة، خصوصاً أن أكثر الإحالات فيه وردت بصورة واضحة لا لبس فيها فهي داخلية قبلية، فجاءت على الأصل في العربية، بأن تكون الإحالة على متقدم، إلا في موضع واحد كانت الإحالة فيه على متأخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾، فكانت الآيات تتحدث عن الذبيح فجاءت الإحالة بعدية منعاً للبس، فالضمير (الهاء) يعود على إبراهيم عليه السلام وصُرّح به بعد الضمير.

بدأت قصة إبراهيم عليه السلام بعد قصة نوح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾،"وفي ذلك إشارة إلى أن الرسل جميعاً أسرة واحدة، طريقهم واحد"[1]، كما تشير الآية إلى أمر آخر بأن مصابرة المكذبين والصبر على أذاهم كان دأب الرسل السابقين، وأن ما تلقاه نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم – من الأذى، كابده الرسل قبله، وفي ذلك تسلية للرسول –صلى الله عليه وسلم–.

أما العناصر الإشارية فقد تمركزت في عنصرين، الأول: (إبراهيم عليه السلام)، والثاني (قوم إبراهيم عليه السلام)، كما وردت في القصة عناصر إشارية أخر وهي (الذبيح) و (آلهة قوم إبراهيم) عليه السلام، ولكن هذه العناصر لم ترتكز عليها عناصر القصة كما في العنصرين السابقين إبراهيم عليه السلام وقومه.

أولى هذه العناصر الإشارية (إبراهيم عليه السلام) فهو العنصر الإشاري الأول في هذه القصة، وقد ورد في الجملة الأولى منها، ويشكل بؤرة إحالية مهمة في النص القصصي، حيث تمتد منه سلاسل إحالية لتتوزع في معظم أرجاء النص، وتنوعت الإحالات الضميرية بين ضمائر الملكية وضمائر الوجودية، لذا فإن النص ثنائي الإحالة. ويعد العنصر الإشاري هنا هو (المخاطِب) في القصة، وغلبت الإحالات بضمير الغيبة المتصل (الهاء) و الضمير المستتر

١ سعيد حوى: الأساس في التفسير، ط١: دار السلام، القاهرة–حلب–بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، م٨، ص٤٧١٢.

المقدر بـ (هو) في هذا النص القصصي، فلم يأتِ الفاعل للأفعال إلا مستتراً للعلم به في أول جملة من القصة (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾).

وبلغت الإحالات على هذا العنصر الإشاري (٣٥) إحالة، حيث احتل المقام الأول من حيث الترتيب في عدد الإحالات الضميرية، ويعد المرتكز الضوئي والمحور الأساس الذي تدور حوله الآيات في هذا النص القصصي. وقد عملت هذه الإحالات على ربط عناصر القصة من خلال حلقة ضميرية متماسكة (ربه، أبيه، قومه، له، ناديناه...).

وثاني هذه العناصر الإشارية (أبو إبراهيم عليه السلام وقومه) وقد صرحت الآيات عنه في ثالث آية من هذا النص القصصي (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾)، والضمير في الآية يحيل على العنصر الإشاري الأول في النص وهو إبراهيم عليه السلام "بحسب مبدأ القرب النحوي الذي ينص على أن الأصل في إحالة الضمائر أن يكون على أقرب مذكور"[١]. و(قوم إبراهيم عليه السلام) هو العنصر الإشاري الثاني الذي استحوذ على أكبر عدد من الإحالات والتي بلغ عددها (١٦) إحالة.

وثالث هذه العناصر هو (الذبيح)[٢]، حيث بلغت عدد الإحالات عليه (٨) إحالات، أما العنصر الإشاري الرابع فهو (آلهة قوم إبراهيم) عليه السلام، ولها (٤) إحالات، وقد أسهم هذا العنصر في ربط النص بشبكة إحالية في ثلاث آيات، لكنها لم تشكل محوراً أساساً في البنية الإحالية للقصة.

---

١ أنس فجال: الإحالة و أثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ص٣٢٦.

٢ اتفق المفسرون على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وقد ذكر الشنقيطي في تفسيره أن في آيات سورة الصافات دليل واضح على أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام بتفصيل واضح، يقول في ذلك: "اعلم أن القرآن العظيم قد دل في موضعين على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق، أحدهما في الصافات والثاني في هود. أما دلالة آيات الصافات فهي واضحة جداً من سياق الآيات، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم: (رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى

مما سبق يتضح لنا أن هذه العناصر الإشارية تباينت في نسبة ورودها حسب أهميتها في بناء النص القصصي، حيث احتل (إبراهيم) -عليه السلام- المرتبة الأولى، ويعد المركز المحوري الذي نسجت تلك الآيات من أجله، فقصته مع قومه تهدف إلى إنكار ما كانوا عليه من الشرك وإرشادهم إلى طريق التوحيد الصحيح والعقيدة السليمة، وبدعوة الرسل جميعاً.

وفي قصة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- نموذج على التوحيد الخالص، الذي ترافقه الطاعة الكاملة والاستسلام التام لله، كما أن في هذه القصة إشارة إلى ما يفعله الإيمان الخالص في القلوب الصادقة ، ويظهر ذلك في ثناء الله، عزوجل، على إبراهيم -عليه السلام- (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾)، وترتبط هذه المعاني بموضوع السورة الرئيس الذي تجلى في أول آيات سورة الصافات (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾)[١]

٢- أسماء الإشارة:

عرف الفاكهي اسم الإشارة بأنه اسم مظهر دلّ بإيماء على اسم حاضر حضوراً عينياً كـ(هَذَا الْبَيْتِ)[٢]، أو ذهنياً، نحو: (تِلْكَ الْجَنَّةُ)[٣]، أو على اسم منزل منزلة الحاضر، كقوله:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع [٤]

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾)،قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: (وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: وبشرناه بإسحاق ، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله ، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبح العظيم ، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك" (**الشنقيطي: تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، إعداد سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط١: دار الفضيلة، الرياض ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص١١٦٩**) .

١ سعيد حوى، الأساس في التفسير، م٨، ص٤٧٢١.

٢ سورة قريش، آية ٣.

٣ سورة مريم، آية ٦٣.

٤ الفاكهي: شرح الحدود في النحو، تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، ط٢: مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٤٨.

وقد أدرج بعض النحاة القدامى أسماء الإشارة في باب المبهمات من المعارف[١].

وسميت أسماء الإشارة مبهمات مع أنها من المعارف؛ لأن هذه الألفاظ لا ترتبط بمدلول ثابت، ولا يمكن أن يتضح مدلولها إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين، ولتحديد مدلولها يجب أن يستعان بأدوات غيرها، مثل الإشارة باليد[٢].

وتشير أسماء الإشارة إلى أشياء متعددة تكون بحضرة الخطاب فيحصل بها اللبس، ولهذا هي من المبهمات، ولا يتحقق التعريف إلا من خلال تحديد هذا المبهم بشيء تدركه بحاسة البصر، يقول الرضي:"إنما بنيت الضمائر لاحتياجها إلى القرينة الرافعة لإبهامها، وهي إما الإشارة الحسية أو الوصف [٣] ".

-المدى الإحالي في اسم الإشارة:

المقصود بالمدى الإحالي هو قرب المشار إليه أو بعده من السياق الذي وردت فيه الإشارة، يستوي في ذلك السياق اللغوي وغير اللغوي. فالسياق اللغوي يتمثل في المسافة الفاصلة بين العنصر الإحالي ومفسره، وهي على قسمين [٤]:

أ- إحالة ذات مدى قريب، وتجري في مستوى الجملة الواحدة.

ب- إحالة ذات مدى بعيد، وتجري بين الجمل المتصلة أو المتباعديدة في فضاء النص.

---

١ انظر: سيبويه، الكتاب،ج٢، ص٧٧،٧٨ / ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إيميل بديع يعقوب، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج٢، ص٣٥٢/ المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م،ج٣، ص١٨٦.

٢ عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط١: دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤م، ص ٧٩-٨٠.

٣ محمد بن الحسن الرضي: شرح الرضي لكافية ابن حاجب، تحقيق حسن الحفظي، ج٢، ص١٨٥.

٤ سعيد بحيري: دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط١: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٥٠-١٥١.

وأما السياق غير اللغوي فقد قسمه النحاة إلى ثلاثة أقسام، ورأوا أن لكل قسم أداة إشارية خاصة به، وهذه الأقسام هي [١]:

١- الإشارة للقريب: وتكون بواسطة جملة من الأدوات، منها: ذا، وذه، وأولاء،وهنا.

٢- الإشارة للمتوسط: وتكون بإضافة الكاف إلى أدوات الإشارة للقريب، ومن هذه الأدوات: ذاك، وتيك، وأولئك، وهناك. وقد رفض بعض النحاة هذه الرتبة واقتصر على القريب والبعيد –وهذا مانسبه الصفار إلى سيبويه–.[٢].

٣- الإشارة إلى البعيد: وتكون بزيادة اللام علاوة على الكاف، مثل: ذلك، وتلك، وهنالك.

وتبين للباحثة أن الإحالات الإشارية في السورة تنوعت بين الإحالات القريبة والمتوسطة والبعيدة المدى، كما أن أكثر الضمائر الإشارية وروداً في فضاء النص هو (هذا)، وهو مركب من (ها) و(ذا)، كما قال ابن يعيش:"اعلم أن (ها) كلمة تنبيه، وهي على حرفين ك (لا) و(ما) ،فإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة"[٣].

ويخرج اسم الإشارة من معناه الأصلي ليحقق وظيفة الربط بين أجزاء النص السابقة، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾، حيث أحال اسم الإشارة إلى الآيات السابقة التي صورت لنا حال المشركين ودهشتهم من مشهد يوم القيامة ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ۝١٩﴾، وهذه الإحالة بعيدة المدى، أي أن البعث الذي تكذبون به واستبعدتم وقوعه واقع لا محالة، "فالإشارة هنا إلى اليوم المشاهد"[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ۝٦٢﴾، "أي ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل

---

١ أنس فجال:الإحالة و أثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ص٥٢٣.

٢ ابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق محمد كامل بركات، ط: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكةالمكرمة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج١، ص ١٨٥.

٣ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تحقيق إيميل بديع يعقوب، ج٢، ص٣٦٦.

٤ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٠٠.

الجنة خير، أم العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب ؟فأي الطعامين أولى "[١].
فجاءت الإحالة باسم الإشارة (ذلك) وهي إحالة بعيدة المدى، حيث أحالت على ما ذكر من حال المؤمنين في الآيات من (٤١-٤٩)، ويفصل بين هذه الآية وحال المؤمنين مقطع يتكون من (١٠) آيات، فربط الاسم الإشاري بين النعيم والجحيم لأن الأسلوب القرآني عندما يفصل في ألوان النعيم يقابل ذلك النعيم بما هو ضده، وقد حقق الاسم الإشاري تماسكًا ملحوظاً بين تلك الآيات. ومما يدل على أن اسم الإشارة يحيل على حال المؤمنين ما ذكر بعد اسم الإشارة (شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ)،وشجرة الزقوم نوع من العذاب الواقع على المشركين في نار جهنم، إذن (ذلك) يحيل على ماهو ضد العذاب وهو النعيم، يقول صاحب الكشاف في معنى ذلك "ومعنى الأول أن للرزق نزلاً ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيهما خير نزلاً"[٢].

وكان لابن عاشور رأي وضح فيه العلة في استخدام اسم الإشارة (ذلك)، يقول: "والإشارة بـ(أذلك) إلى ما تقدم من حال المؤمنين في النعيم والخلود، وجيء باسم الإشارة مفرداً بتأويل المذكور، بعلامة بعد المشار إليه لتعظيمه بالبعد، أي بُعد المرتبة وسموها؛ لأن الشيء النفيس الشريف يُتَخيل عالياً، والعالي يلازمه البعد عن المكان المعتاد وهو السفل"[٣]، وعلل الرضي في شرح الكافية استخدام (ذلك) لأن الكاف تدل على الغيبة، واللام تدل على البعد، وعلى هذا فلفظ (ذلك) يصح أن يشار به إلى كل غائب عيناً أو معنى[٤]. ولأن نعيم أهل الجنة غائب عن العين جاءت الإشارة بـ(ذلك)، وقد ذكر في موضع آخر أن الإشارة لا تكون إلا لمشاهد محسوس، فإن جاءت الإشارة إلى محسوس غير مشاهد كما هو في نعيم أهل الجنة المذكور في الآيات السابقة وذلك لتصييره كالمشاهد[٥].

وأما الإحالة باسم الإشارة (كذلك)، فقد تكرر (٥) مرات في قصص الأنبياء، وكان في كل موضع يحيل على معنى مختلف عن الموضع الآخر، ففي قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٠)،

---

١ السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط٢: دار السلام للنشر والتوزيع، الرايض،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٨٢٧.

٢ الزمخشري: الكشاف، تعليق خليل مأمون شيحا، ط٣: دار المعرفة، بيروت –لبنان، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩ م، ص٩٠٦.

٣ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢١.

٤ محمد بن الحسن الرضي: شرح الرضي لكافية ابن حاجب، تحقيق حسن الحفظي، ج٢، ص١٩١-١٩٢.

٥ نفسه، ج٢، ص١٨٦.

اسم الإشارة (كذلك) دل على معانٍ عديدة، هي : نجاة نوح عليه السلام وبقاء ذريته، واستمرارية الثناء عليه بين الناس، كل هذا جزاء صبره على أذى قومه وإحسانه. إن اسم الإشارة أحال على مجموعة من الجمل المترابطة الدالة على النعم التي أنعم الله بها على نوح عليه السلام، وهذا الإحسان نتيجة إيمانه فقد كان عبداً مؤمناً "والمقصود منه بيان أن أعظم الدرجات وأشرف المقامات الإيمان بالله والانقياد لطاعته"[١]، فصار اسم الإشارة "رابطاً من الروابط التي تعقد صلة بين أحداث متقدمة، ونتيجة لاحقة"[٢].

٣- الأسماء الموصولة:

الموصول هو الذي لا يتم بنفسه؛ لأنه دائم الافتقار إلى كلام بعده، تصله به ليتم اسماً، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة، يجوز أن يقع فاعلاً أو مفعولاً به ومضافاً إليه، ومبتدأ، وخبراً "[٣].وعد ابن يعيش الموصولات من المبهمات كالإشاريات[٤].

وليس المقام هنا يبحث في ذلك ولكن لابد من توضيح حدود الإبهام في الموصولات، فالاسم الموصول يحتاج إلى لفظ آخر لا ليفيد معناه؛ لأنه يدل على الأمر المبهم نفسه، ولا يتضح هذا الإبهام إلا من خلال جملة الصلة التي تأتي بعدها مباشرة فتحدد اتجاه الإحالة ومداها وبالتالي ينكشف الإبهام.

وتحقق الموصولات الربط بين أجزاء الجملة، أو بين النص وسياقه المقامي الذي ذكر فيه، مما يحقق السبك العام للنص وبالتالي تماسكه[٥].

---

١ الرازي: مفاتيح الغيب، ط١: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٢٦، ص١٤٥.

٢ سعيد بحيري: دراسات لغوية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص١٥٠.

٣ ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع يعقوب، ج٢، ص٣٧١.

٤ نفسه، ج٢، ص٣٧٢.

٥ تمام حسان: مقالات في اللغة والأدب، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م،ج١، ص٢٠٠.

لم ترد الإحالات بالاسم الموصول إلا في ستة مواضع، ولذا فإنها أقل وروداً من الإحالة الضميرية، وجاءت الإحالة (بمن) في ثلاثة مواضع، والإحالة بـ(الذي) في موضع، وبـ(الذين) في موضع، وبـ(ما) في موضع. وجاءت (٤) إحالات قبلية، وإحالتان مقاميتان.

ففي قوله تعالى:(فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ)، والمراد بـ (من خلقنا)، أي ما خلقه الله من السماوات والأرض وما بينهما ممن عددنا خلقه وهم الملائكة والشياطين والسماوات والأرض[١]، وقد أحال الاسم الموصول (من) على مكون داخلي سابق موجود في النص القرآني، فجاء الربط من خلاله، حيث ارتبطت قضية الخلق والبعث بقضية التوحيد والألوهية المذكورة في أول السورة من خلال مناقشة المشركين الذين أنكروا البعث بعد الموت؛ لأن الإيمان باليوم الآخر من مستلزمات الإيمان بالله.

وفي قوله تعالى: (ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢) أحال الاسم الموصول (الذين) على الآيات السابقة التي وصفت أقوال المشركين وأفعالهم، في قوله تعالى: (بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ١٤وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ١٧)، فجاء التعبير القرآني بالاسم الموصول دون الضمير (احشروهم) "لإبراز الوصف الذي يفيده الاسم الظاهر وتقريره وهو الظلم، والإشارة بذلك إلى أنهم قد استحقوا العذاب النازل عليهم بسبب هذا الظلم، ولم يتحقق هذا المعنى إلا باستخدام الاسم الموصول بدلاً عن الضمير[٢].

ومما سبق تبين للباحثة أن:

١- أغلب الربط الذي يؤديه الموصول بألفاظ موجودة في النص، وقليل ما يربط النص بمقامه.

٢- غياب الإحالة البعدية عن بنية الإحالة بالموصول.

---

١ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبدالله التركي، ط١: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ج١٩، ص٥٠٩.

٢ أنس فجال: الإحالة و أثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ص٥٦٩.

٣- الاسم الموصول يقوم بوظيفتي الربط والإحالة، "أي ربط آخر الكلام بأوله لتحصيل الاتساق والتماسك اللغوي، وإحالة الضمير المتصل بجملة الصلة على الاسم الموصول الذي سبق ذكره، أو على اسم معهود لدى المتكلم أو المخاطب"[١].

كما تبين للباحثة في نهاية الحديث عن الإحالة مايأتي:

١- استطاعت الضمائر الشخصية، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، عن طريق الإحالة القبلية أن تربط السورة بالجو العقائدي الذي دل عليه جواب القسم في أول السورة، وهذا هو طابع السورة المكية التي ترسخ العقيدة الصحيحة في النفوس.

٢- شرط الإحالة هو التطابق الدلالي بين الضمير وبين المحال عليه، وكذلك خروج الإحالة من إطار الجملة وإحالتها على جملة أخرى في النص أو خارج النص.

٣- أشارت الباحثة فيما تقدم إلى موضوع السورة وهو الألوهية وترسيخ العقيدة الصحيحة، وقد وجدت الباحثة أن بنية الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ظلت تحيل إلى هذا الموضوع أو ماله علاقة به.

---

١ أنس فجال: الإحالة و أثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ص ٥٦٦.

المبحث الثاني:الحذف

- **الحذف لغة:**

ورد في لسان العرب، حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعته من طرفه[١]، وقال صاحب العين: "الحذف: قطف الشيء من الطرف كما يُحذف طرف ذنب الشاة"[٢].

- **الحذف اصطلاحاً:**

لم يذهب المعنى الاصطلاحي للحذف بعيداً عن المعنى المعجمي ، يقول الرماني: "الحذف هو إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها"[٣]، أما الزركشي فيرى أن الحذف هو: "إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل"[٤]، وأما علي أبو المكارم فقد عرفه بقوله: "إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية، وهذه الصيغ يُفترض وجودها نحوياً؛ لسلامة التركيب وتطبيقاً للقواعد"[٥]، فهو يضيف إلى أقوال القدامى مايفيد التخصيص والتوضيح، فليس كل إسقاط مع وجود دليل هو حذف، وإنما يفترض سلامة هذا التركيب نحوياً مع وجود الحذف.

- **الحذف بين القدامى والمحدثين:**

يعد الحذف ظاهرة لغوية مشتركة بين اللغات الإنسانية، وإن كانت في العربية أكثر ظهوراً. وقد شُغِل النحاة والبلاغيون والمفسرون بهذه الظاهرة وكثرت الإشارة إليها في مصنفاتهم، ولكننا نجد بعض الخلط بين الحذف والإضمار عند العرب، فعندما تتبع المحدثون مصطلح (الحذف)عند سيبويه، لم يجدوا له تحديداً واضحاً،ن فالحذف عنده يختلط بمصطلح آخر وهو (الإضمار) "والواقع أن المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداءً من سيبويه، ولا توجد

---

١ ابن منظور: لسان العرب، مادة (حذف)، ص٨١٠.

٢ الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط ١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، مادة (حذف)، ج١، ص٢٩٧.

٣ الرماني:الحدود في النحو، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط: دار الفكر، عمان، ٢٠١٠م، ص٧٠.

٤ الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، ص١٠٢.

٥ علي أبو المكارم: الحذف والتقدير في النحو العربي، ط١: دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٠٠.

تفرقة دقيقة تراعى في استعمالها باستثناء إضمار الفاعل الذي لا يسمونه حذفاً، وسيبويه يتكلم في مواضع كثيرة عن الأسماء والأفعال،و عن الإضمار في الأفعال، بحيث لا يتبين من استعماله تفرقة بينهما"[١]، يقول سيبويه: "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً"[٢].

وقد فرّق الزركشي بين الحذف والإضمار بقوله: "والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ....، وهذا لايشترط في الحذف.. ويدل على أنه لابد في الإضمار من ملاحظة المقدر باب الاشتقاق، فإنه من أضمرت الشيء: أخفيته.. وأما الحذف فمن حذفت الشيء قطعته، وهذا يشعر بالطرح بخلاف الإضمار"[٣].كما أن الجرجاني أفرد فصلاً للحديث عن الحذف صدّره بقوله: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"[٤]. وقد أراد الجرجاني بقوله: ترك الذكر أفصح من الذكر"إلى القيمة الفعلية التي يحققها الحذف داخل النص من خلال رؤية الجرجاني للنظم.

وإذا انتقلنا إلى لسانيات النص، فإننا لا نجد فرقاً في تعريفهم للحذف عما ذكره العرب القدامى، فـ(دي بوجراند De Beaugrande) يعرف الحذف بأنه:"استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسَّع، أو أن يعدَّل بواسطة العبارات الناقصة"[٥]، وهذا المعنى نفسه نجده عند العرب القدامى، والفرق فقط في نوع الحذف الذي يحقق وظيفة السبك النصي، حيث يقتصر عند القدامى على (الاحتباك) فقط [٦]، أما عند المحدثين فالحذف عموماً يحقق السبك في النص.

---

١ طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط: الدار الجامعية، الإسكندرية – مصر،١٩٩٨م، ص٢٠.

٢ سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص٢٤-٢٥.

٣ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣،ص١٠٢.

٤ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص١٤٦.

٥روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٣٠١.

٦ وقد سماه االزركشي (الحذف التقابلي) وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه. **(الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، ص١٢٩)**.

- **الحذف والتماسك:**

الحذف وسيلة من وسائل الربط النحوي، يقوم بدوره في تحقيق التماسك من خلال ثلاثة محاور أساسية هي[١]:

١- التكرار: فالمحذوف يعامل معاملة المذكور، ويعمل التكرار الحاصل من الحذف على استمرارية المعنى.
٢- المرجعية: وتتمثل في إحالة المحذوف على المعنى المذكور، وهذه المرجعية قد تكون داخل النص (مقالية) وإما تكون قبلية أو بعدية، وقد تكون خارج النص أي تفهم من سياق الكلام وتسمى (مقامية).
٣- وجود دليل أو قرينة يرجع إليها العنصر المحذوف، وغالباً ما نجدها مع المرجعية الداخلية التي يتحقق من خلالها السبك النصي جليّاً وواضحاً.

وتضمنت السورة مواضع عديدة للحذف، لكن المقام يحتم انتقاء بعضها، بما يخدم معالجة الموضوع الرئيس. فقد ورد حذف الاسم في قوله تعالى: (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥) والمحذوف الضمير (هو)، والدليل (إلهكم) المتقدم عليه، والتقدير (هو رب السماوات والأرض ومابينهما). وقد ساهم الحذف في الربط بين الآية السابقة (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤) وبين (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥)، فالسورة مكية تعالج بناء العقيدة وتثبيتها في النفس من خلال عرض بعض الأدلة، ولأن جواب القسم في السورة وهو قوله تعالى: (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤)جاء لتأكيد وحدانية الله تلتها الآيات بالأدلة اليقينة في كون الإله واحد.

والجملة استئنافية بيانية والحذف واقع في مفتتح الآية التي تبين صفات الإله المتفرد بالألوهية، ولأن الخبر (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰت)لايتوهم أن يكون لغيره (الإله الواحد) جاء الكلام على الحذف الذي حقق ترابطاً واضحاً، وقد نبه صاحب المفتاح إلى حذف المسند إليه من الكلام الوارد بعد تقدم حديث عنه[٢].

---

١ عزة شبل محمد: علم لغة النص ، ص١٧٢.
٢ السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، ط١: مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٦١.

ومن مواضع حذف المفعول به قوله تعالى: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ۝١٠٠)، المحذوف (ولداً)، ودلت على المحذوف قرائن عديدة قبلية وبعدية، فالقبلية الفعل (هب) لأن ما جرت عليه العادة بأن الهبة غالباً تكون للولد[١]يقول ابن عاشور: "وقال في الكشاف: لفظ الهبة غلب في الولد. لعله يعني أن هذا اللفظ غلب في القرآن في الولد: ولا أحسبه غلب في كلام العرب لأني لم أقف عليه وإن كان جاء في الأخ في قوله تعالى: (وَوَهَبْنا لَهُ مِن رَّحْمتِنآأَخَاهُ هـٰرُونَ نبيًّا) "[٢]، ولكن جاء في لسان العرب "أن الموهوب:الولد، وهي صفة غالبة "[٣]،كما أن المرجعية البعدية تؤكد أن المحذوف هو (ولداً)،وهذه القرائن البعدية وردت في آيات عديدة تالية للآية التي وقع فيها الحذف وهي (غلام- حليم- يابني). إن هذا الحذف أدى إلى سبك النص عن طريق المرجعية القبلية والبعدية، حيث يفهم بالقرينة الدالة عليه معاني الألفاظ التي طواها التعبير، فعندما حذف لفظ (الولد) جعل الآيات تمتد في سلسلة من الأحداث مرتبطة بالآية التي وقع فيها هذا الحذف.

أما حذف الجملة فقد وردت في سورة الصافات في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨) [٤]، وقد قدّر جمهور المفسرين المحذوف بـ(ثناءً حسناً)[٥]، أما ابن عاشور في التحرير والتنوير يرى أن الفعل (تركنا) يتضمن معنى (أنعمنا) فهذا الترك من قبيل الإنعام والتفضيل، كما أن الفعل (تركنا) مفعوله محذوف تقديره (ثناءً)، وعلى هذا فالمحذوف جملة وهي (تركنا له ثناءً حسناً وأنعمنا عليه) [٦]. فحذف المفعول أدى إلى تعميم

---

١ ذكر الزمخشري في الكشاف، والرازي في مفاتيح الغيب أن الفعل (هب) دل على الولد، بينما قدر الطبري وابن كثير والسعدي المحذوف أنه ولد دون الربط بين المحذوف والفعل (هب).

انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٧،ص٢٧ / الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٩،ص ٥٧٧/ السعدي:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨٢٩ /الزمخشري: الكشاف، ص٩١٠/الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦،ص١٥١

٢ ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج٢٣، ١٤٨.

٣ ابن منظور: لسان العرب، مادة (وهب)، ص ٤٩٢٩.

٤ تكررت هذه الآية أربع مرات في السورة في الآيات : (١٢٩،١١٩،١٠٨،٧٨) حيث وقع الحذف فيها جميعاً –على رأي جمهور المفسرين– ولكن ابن عاشور يرى أن احتمالية الحذف في نفس الآية الواردة في قصة موسى وهارون عليهما السلام ضعيفة (ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص١٦٥).

٥ قال بهذا الرأي الشيخ السعدي، والطبري، والقرطبي، وصاحب تفسير الجلالين.

٦ ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج٢٣، ص١٣٣.

القصد وتحريك الذهن ودفعه في اتجاهات متعددة تشترك جميعاً في صفة الاحتمالية للمعنى المراد، كما أنه حقق ترابطاً بين جملة من الآيات؛ لأن المرجعية في هذا الموضع قبلية وبعدية. فالقبلية دلت عليها الآيات السابقة (وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) هذا من الإنعام، أما المرجعية البعدية فتوضح كيف يتحقق ثناء الله على نوح: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٧٩﴾).

ومن حذف الجملة قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ)،والمحذوف تقديره (فولد له ولد ويفع وبلغ السعي) والقرينة مقامية دل عليها سياق الحال، فبين قوله تعالى:(فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴿١٠١﴾(وقوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ) جملة من الأفعال المحذوفة دل عليها سياق المقام. فكان الحذف أولى، لأن الحذف"إنما يحسن ما لم يَشكُل به المعنى، لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعدد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها "[١].كما أن الحذف أهمل ما يشتت المتلقي وجعل التركيز واقعاً على أساس الحدث وأصله، وهو (بلوغه السعي).

ومما تقدم يتبين للباحثة ما يأتي:

١- أن صور الحذف ليست بدرجة واحدة من حيث توظيفها في سبك النص، فصور الحذف المعتمدة على الأدلة اللفظية القبلية أو البعدية أقوى من تلك المعتمدة على سياق المقام؛ لأن الدليل إذا كان حاضراً أمام المتلقي فإنه يكون أيسر في ملء تلك الفراغات التي تركها الحذف.

٢- يظهر دور الحذف في تحقيق الإيجاز والاختصار، لأن الإسهاب والإطناب وكثرة التفاصيل تجعل المتلقي متشتتاً والنص متفككاً، بينما يحقق الإيجاز تماسكاً وترابطاً للنص من خلال استبعاد المحتويات السطحية التي يستطيع المتلقي إيجادها من خلال السياق أو الأدلة اللفظية، وهذه إحدى الجوانب التي يحقق الحذف من خلالها تماسك النص.

٣- يسهم الحذف في إتاحة الفرصة للمتلقي أن يستنبط المحذوف، ويملأ تلك الفراغات التي تركها المتكلم قصداً.

---

١ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، ص١٠٥-١٠٦.

المبحث الثالث: الشرط

الشرط لغة:

من المعاني التي أثبتها أصحاب المعاجم العربية للشرط ما ورد في قول ابن فارس: "الشين والراء والطاء أصلٌ يدل على علم وعلامة، وما قارب ذلك من عَلَم. من ذلك الشرط العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها"[١]. ويقول ابن منظور: "الشرط: إلزام الشيء و التزامه في البيع ونحوه"[٢].

الشرط اصلاحاً:

أما في اصطلاح الدارسين فيأتي بمعنى "وقوع الشيء لوقوع غيره"[٣]، وهو تعليق حصول أمر على أمر آخر، أو هو ارتباط فعل أو قول بقول آخر[٤].

واعتمدت الدراسة على رؤية جديدة للباحث (أبوبكر الزروقي) في دراسته (دلالات الارتباط في أسلوب الشرط –دراسة في نصوص من صحيح البخاري)[٥] الذي أخرج هذا الأسلوب من حيز الجملة الضيق إلى رحب النص السياق، حيث فتح الباب أمام فهم جديد لنظام الارتباط في الشرط فجعله على ثلاث صور:

١- الارتباط السببي: وفيه تكون عبارة الجواب مسبَّبة عن عبارة الشرط ولازمة لها، فيتحقق الجواب بتحقق الشرط وينعدم بانعدامه.

٢- الارتباط التلازمي: وفيه يقتصر ارتباط عبارة الجواب بعبارة الشرط على التلازم،و تنعدم السببية.

٣- الارتباط التقابلي: وفيه يكون الربط بين عبارتي الشرط والجواب على سبيل المقابلة بينهما.

---

١ ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج٣، ص٢٦٠.

٢ ابن منظور: لسان العرب، مادة (شرط)، ص٢٢٣٦.

٣ المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ج٢،ص٤٥.

٤محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، ط١: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان،١٩٩٤م، ج١، ص١٠١٣.

٥ أبوبكر زروقي: دلالات الارتباط في أسلوب الشرط –دراسة في نصوص من صحيح البخاري–، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٦، جامعة محمد خيضر، بسكرة –الجزائر، ٢٠١٠م.

وفي سورة الصافات مواضع عديدة كان للشرط فيها دور واضح في التماسك بين الآيات في السورة من خلال الربط بين الشرط وجوابه، وإبراز دوره في تحديد اتجاه دلالة الآية حسب ما يقتضيه السياق في السورة.

ومن الربط بـ(إذا) ماورد في آيتين متتاليتين في السورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةَۖيَسْتَسْخِرُونَ﴿١٤﴾﴾، و (إذا) في الآيتين "ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط"[١].

وجاء التركيب الشرطي في سياق الكلام عن استبعاد كفار مكة للحشر والبعث والقيامة، وجاء فعل الشرط (ذُكِّرُواْ – رأوا) بصيغة الماضي للدلالة على الجزم بوقوع التذكير ورؤية المعجزات، أي أن كفار مكة إذا ذكروا بآيات الله لا يتعظون بها قطعاً وإذا رأوا معجزات الرسول –صلى الله عليه وسلم –، لايؤمنون بها ويسخرون منها بل ويدعون الناس إلى السخرية مما جاء به.

إذن، الشرط ربط بين الفعل وردة الفعل أي بين الفعل وجوابه ارتباطاً سببياً (ذُكِّرُواْx لَا يَذْكُرُونَ)، (رَأَوْاْ xيَسْتَسْخِرُونَ)، كما أن المضارع في جواب الشرط دلّ على تكرار الحدث واستمراره، "لأن دأبهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به، أو أنهم إذا ذكرلهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم، واستفادة الاستمرار من مقام الذم، ولعل في (إذا) والعطف على الماضي مايؤيده"[٢].

إن قضية الإيمان باليوم الآخر ترتبط بمحور السورة الرئيس، بل إن الإيمان باليوم الآخر جزء من الإيمان بالله وتوحيده، ولهذا فإن الشرط في الآيتين السابقتين كان بمثابة رصد بداية الإنكار وردة الفعل الحقيقية لكل كافر تجاه الحق وأهله فهم لا ينتفعون بالأدلة السمعية ولا البصرية، وكانت النهاية المحتمة بقيام الساعة ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌوَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴿١٩﴾﴾.

١محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ط٣: دار الإرشاد للشؤون الجامعية،حمص- سورية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٨، ص٢٥٤-٢٥٥.

٢الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٣، ص٧٧.

إن دلالة (إذا) في الآيات حققت ربطاً واضحاً من خلال الجزم بوقوع الحدث واستمراريته في الأحوال الماضية والحالية والمستقبلة، لأن (إذا) قد تستعمل للدلالة على الاستمرارية، وهذا ما ذكره السيوطي في الإتقان[١].

كذلك من الربط بـ (إذا) ما ورد في قوله تعالى: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابَاوَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴿١٦﴾)[٢]، و هي "ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط"[٣] ، فجاء التركيب الشرطي مسبوقاً باستفهام إنكاري مرتبط بسؤال الاستفتاء الوارد في قوله تعالى: (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴿١١﴾)، وقد تقدم السؤال على الرد الذي جاء بعده بآيات "ليربط السياق القرآني بين موضوع الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، وليجعل ماقبل السؤال حجة في رد ما زعموه، وفي تقرير أن اليوم الآخر لازم من لوازم الإيمان بالله، وإذا قامت الحجة عليهم من قبل فإن الجواب على سؤالهم الاستنكاري يأتي الآن بشكل جواب تقريري وعرض لما سيكون (قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ) "[٤]. فحققت (إذا) ربطاً بين حقيقتين يغفل عنهما كفار مكة بل ويستبعدون وقوعهما، وهما (الموت)، و(البعث) ولهذا جاء الارتباط بين الشرط وجوابه ارتباطاً تلازمياً، فالموت والبعث متلازمان، وهذا الربط بين الموت والبعث يرجع إلى الإيمان بالله وتوحيده، فالحياة يعقبها موت، والموت يعقبه بعث، فمن يؤمن بالله يؤمن بالبعث، ومن يكفر بالله يكفر بالبعث.

وكذلك قوله تعالى: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابَاوَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾)، جاء الشرط مسبوقاً باستفهام إنكاري في سياق الكلام عن أحوال الناس في يوم القيامة وتساؤلاتهم عما قاله الكفار في الدنيا عن البعث والحساب (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴿٥٠﴾قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴿٥١﴾يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ)، فالشرط هنا ربط بين الموت والحساب، "والمدين: المجازى، يقال: دانه يدينه، إذا جازاه، والأكثر

---

١ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ج٣، ص١٠٢١.

٢ وقد ذكر الألوسي أن (إذا) في الآية إما شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله تعالى: (أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ)، و(إما) متمحضة للظرفية فلا جواب لها ومتعلقها محذوف يدل عليه ذلك أيضاً. (**الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٣، ص٧٧**).

٣محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه،ج ٨، ص٢٥٥.

٤سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨،ص٤٦٩٧.

استعماله في الجزاء على السوء"[١]، وبالتالي فإن الارتباط بين الشرط وجوابه ارتباط تلازمي، فالإنسان لا يحاسب على أعماله إلا بعد قيام الساعة، فالحساب ملازم لوقوع الساعة. والربط بين الموت والحساب، يرتبط بالإيمان باليوم الآخر وعدمه، فمن يؤمن باليوم الآخر يؤمن بالموت وما يعقبه من حساب، ومن لا يؤمن باليوم الآخر لا يؤمن بالموت والحساب، وهذا كله ينصب في الإيمان بالله وتوحيده؛ لأن الإيمان باليوم الآخر من لوازم الإيمان بالله وبه يتحقق.

ومن الربط بـ(لو)[٢] ما ورد في قوله تعالى: (لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ)، فربطت (لو) بين جملتين، الأولى: (أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ)، والثانية: (لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)، ومن الملاحظ هنا أن الربط لم يقع بين جملتين متعاقبتين مباشرة، بل وقع بين الجملتين شبه جملة متعلقة بالجملة الاسمية(مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ)، وهذا يظهر قدرة الشرط على سبك النص؛ لأنها جاءت في سياق الحديث عن "تمني المشركين قبل أن يبعث الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم–، أن يكون عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله"[٣]، وأنه سبب عدم إخلاصهم لله في العبادة، وهذا ما تضمنه جواب الشرط (لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)، فامتنع جواب الشرط وهو عدم إخلاصهم لله في العبادة مع وجود الذكر وهو (القرآن)، الذي أنزله الله على رسوله –صلى الله عليه وسلم– ، ودلت عليه الآية التالية للجواب (فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ).

وخرجت دلالة (لو) لتدل على أن مضمون الجواب مستمر الوجود في جميع الأحوال والأزمنة، فليس المعنى انتفاء نزول الذكر، بل المعنى انتفاء إيمانهم وإخلاصهم العبادة لله، وهنا يتوسع معنى (لو) ليشمل دلالة الارتباط التلازمي، فإن نزول الذكر وعدم إخلاصهم لله في العبادة أمران متلازمان. ولكن هذه العلاقة التلازمية تتضح بشكل أكبر من خلال مايسمى بعاضد الشرط[٤]، في قوله تعالى (فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ)، فكفرهم ليس سببه عدم نزول الكتب

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١١٦.

٢ ذكر السيوطي أقوال عديدة في معنى (لو). انظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص١١٧٤.

٣الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، ط: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت،١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م، ج٣، ص١٥٧.

٤ تم اقتباس هذا المصطلح من دراسة (أبو بكر الزروقي: دلالات الارتباط في أسلوب الشرط – دراسة في نصوص من صحيح البخاري–).

السماوية،فالقرآن نزل ببعثة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، ولكنهم أصروا على عدم الإيمان والإخلاص لله في العبادة، فعاضد الشرط يؤكد تحقق الارتباط التلازمي في امتناع الجواب مع وجود الشرط.

وناقشت هذه الآيات قضية الإيمان بالكتب بصورة مفصلة، موضحة أن الإيمان بالكتب هو أحد دعائم الإيمان بالله وأن التصورات الخاطئة عن الإيمان بالكتب تؤثر على موضوع التوحيد بالذات.

ومن الربط بـ(لما)[١] ما جاء في قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢)، جاءت (لما) في الآية حينية أو رابطة[٢]، وحقق الشرط ربطاً واضحاً في قصة الذبيح –عليه السلام– تجلت في تحقق الارتباط التلازمي بين الوحي المنامي الذي أمر الله فيه نبيه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، وبين بلوغ إسماعيل عليه السلام سن السعي مع أبيه، جاء الجواب ملازماً للشرط، من ثم تتحق الاستجابة السريعة والتسليم لأمر الله تعالى (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣)، "وجواب لما محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما الأجر"[٣]، فكان الارتباط بين الشرط وجوابه سببي فظهور صبرهما أو تعظيم الأجر لهما، بسبب تسليم أمرهما لله نتيجة الإيمان الحق، ويؤكد هذه الدلالة (عاضد الشرط) التي جاءت في قوله تعالى: (وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ)، ولم يكن استسلاماً قلبياً فقط، بل أتبعه بفعل يحقق معنى الاستسلام الحقيقي والتسليم لأمر الله.

مما تقدم تبين للباحثة **أن الشرط أسهم في الربط بين الآيات، مما أدى إلى سبك النص، حيث تظهر مكونات الجمل الشرطية مرتبطة بعضها مع بعض، وإلى هذا لم يشر علماء النص.**

١إذا ولى (لما) فعل ماضٍ لفظاً ومعنى فهي ظرف بمعنى (إذ) فيه معنى الشرط، أو حرف يقتضي فيما مضى وجوباً لوجوب (ابن مالك: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، ط: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص٢٤١)

٢محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه،ج٨، ص٢٤٩.

٣نفسه، ج٨، ص٢٩٥.

الفصل الثاني: التماسك الصوتي

المبحث الأول: الفاصلة القرآنية

المبحث الثاني: التكرار

المبحث الأول: الفاصلة القرآنية[١]

- **الفاصلة لغة:**

الفاصلة جاءت في المعاجم من مادة (فصل)، ولها معانٍ عديدة، يقول ابن منظور:" الفصل بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع المفْصِل"[٢]، والفصل: القضاء بين الحق والباطل، والفاصلة الخرزتين في النظام، وقد فصّل النظم. وأواخر آيات التنزيل فواصل، بمنزلة قوافي الشعر، الواحدة فاصلة [٣].

- **تعريف الفاصلة اصطلاحاً:**

الفاصلة في الاصطلاح لها تعريفات عديدة:

١- عرفها الإمام الزركشي بقوله: "هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع"[٤].

٢- ويقول أبو بكر الباقلاني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"[٥]

٣- وعرفها الإمام الداني بقوله:"هي كلمة آخر الجملة"[٦].

- **قضية السجع والفاصلة القرآنية في القرآن الكريم:**

إن غاية السجع في القرآن الكريم التعبير عن المعنى المقصود بطريق أقرب إلى النفوس، فلم تكن السجعة قلقة أو نابية، بل كانت تتعلق بمعنى الآية الكريمة تعلقاً تاماً.

وقد وقع الاختلاف بين العلماء القدامى من البلاغين واللغويين والمفسرين وغيرهم في تسمية أواخر الآيات سجعاً أو فاصلة، حيث تحرج بعض القدامى في استخدام مصطلح السجع في استعمال القرآن،

---

١ هذا المصطلح يختص به القرآن الكريم وهو يقابل السجع في النثر.

٢ ابن منظور: لسان العرب، مادة (فصل)، ص٣٤٢٢.

٣ الفيروزآبادي:القاموس المحيط، مادة (فصل)، ص١٠٤٢.

٤ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٥٣.

٥ الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ص٢٧٠.

٦ الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٥٣.

فبعضهم مال إلى تسمية هذه الظاهرة سجعاً [١]، وبعضهم الآخر آثروا استعمال مصطلح الفاصلة القرآنية[٢]، ولكل فريق حجته.

فمن آثر استعمال مصطلح (الفاصلة) كانت لهم حجج أوردها محمد الحسناوي في كتابه (الفاصلة في القرآن)[٣]، وخلاصة ذلك أنهم يرون أن الفواصل بلاغة والأسجاع عيب؛ لأن الفواصل تابعة للمعاني أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، كما أن في استبدالهم للسجع بمصطلح الفواصل تنزيه للقرآن عن النقد الذي كان يوجه إلى السجع عامة، وأنه يحمل من التكلف والصنعة ما يشبه كلام الكهان وما يوصف به أصله أنه من (سجع الطير)، كما أنهم يستندون إلى الآية القرآنية "كتاب فصلت آياته"أي أن ماورد في القرآن يسمى فواصل.

أما من آثر استعمال مصطلح (السجع) فتتلخص حجتهم في أن السجع المنفي عن القرآن هو السجع المتكلف المتصنع الذي يتبعه المعنى، أما ما ورد في القرآن فإنه تابع للمعنى، والسجع كباقي الأساليب الشكلية الواردة في البلاغة العربية، كالجناس والطباق وغيرها، فهي مذمومة إن تُكلف فيها ومحمودة إن جاءت لاحقة للمعنى، كما أشار الجاحظ إلى أن الذين كرهوا السجع في ذلك الزمان؛ لأن كهان العرب يتكهنون ويحكمون بالأسجاع فوقع النهي من الرسول –صلى الله عليه وسلم– لقرب عهدهم بالجاهلية، فلما زالت العلة زال التحريم[٤].

ولكن الباحثة ترى أن استخدام مصطلح الفاصلة في القرآن أولى، بل إنه أقرب إلى الأسلوب القرآني من جوانب عديدة:

١– أن الفاصلة القرآنية، ليست كالفنون البلاغية الأخرى التي نجدها في بعض الآيات دون البعض، ولهذا فإن الفاصلة تعد خاصية من خصائص الأسلوب القرآني، فلا نجد آية من دون فاصلة.

٢– أن مصطلح (الفاصلة)، يكسب التعبير القرآني ميزة خاصة بعيدة عما أطلق على الكهان أو الشعراء أو غيرهم.

---

١ ومنهم: قدامة بن جعفر، أبو هلال العسكري، ابن سنان الخفاجي، ابن الأثير، وابن القيم الجوزية.

٢ الأشاعرة بصفة عامة،ومنهم:علي الرماني، أبو بكر الباقلاني.

٣ انظر : محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ط٢: دار عمار، عمّان – الأردن، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ص١٠٥–١٢٢.

٤الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص٢٨٩–٢٩٠.

٣- أن الاختلاف الذي وقع فيه البلاغيون والمفسرون في استخدام مصطلح (السجع) أو (الفاصلة) شأنه شأن أي مصطلح يقع حوله هذا الخلاف،فكلٌّ يدلي برأيه، حيث يبقى الأصل واحد حتى مع اختلاف المصطلح ونستثني من ذلك السجع المذموم أو(سجع الكهان) كما يسميه بعض البلاغيين.

٤- أن بنية الفاصلة تختلف عن السجع في التزام السجع حرف الروي، وهذا مايميز الفاصلة ويجعلها أقرب إلى التعبير القرآني من السجع، ونستطيع أن نحدد هذه الاختلاف في حديثنا عن أبنية الفاصلة.

- **أبنية الفاصلة:**

للفاصلة أبنية عديدة، نستطيع تحديدها من خلال الآتي[١]:

١- **الفاصلة بحسب حرف الروي**[٢]:

"لم تلتزم فواصل القرآن حرف الروي دائماً التزام الشعر والسجع، ولم تهمله إهمال النثر المرسل، بل كانت صبغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام؛ فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة"[٣]. فأما **الفاصلة المتماثلة**[٤] – وتسمى المتجانسة[٥]، و هي التي تماثلت حروف رويها[٦]، كقوله تعالى ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾[٧].**والفاصلة المتقاربة** [٨]،هي ما تقاربت حروف رويها[١]،كقوله تعالى:

---

١ جميع الأمثلة والشواهد مقتبسة من (محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ص١٤٥-١٥٥).

٢ وهو الحرف الأخير من الفاصلة.

٣ محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ص١٤٥.

٤ ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة،ط١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م / ١٤٠٢هـ، ص١٧٢/ الزركشي:البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٧٣/ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية،ج٥، ص١٨٢٠.

٥الرماني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن(النكت في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط٣: دار المعارف، القاهرة – مصر، (د.ت)، ص٩٨.

٦ الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١، ص٧٢.

٧ سورة الطور:١-٤.

٨ ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص١٧٢/ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١،

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ۝٤)[٢]، والتقارب واقع بين حرفي النون والميم، أما الفاصلة المنفردة هي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب [٣]، ويندر وجودها في القرآن الكريم، كالفاصلة التي ختمت بها سورة الضحى، (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ۝٩وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ۝١٠وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ۝١١)[٤].

٢- الفاصلة بحسب الوزن[٥]:

وتنقسم إلى **الفاصلة المتوازية**، وهي رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي، كقوله تعالى: (فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ۝١٣وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ۝١٤)[٦]. و **الفاصلة المطرفة** وهي ما اتفقت في حروف الروي لا في الوزن، كقوله تعالى: (مَّا لَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً۝١٤)[٧]**والفاصلة المتوازنة** أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط، كقوله تعالى: (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ۝١٥وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦)[٨]. **والفاصلة المرصعة** أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفاً من كلمات مختلفة، والثاني مؤلفاً من مثلها في ثلاثة أشياء، وهي الوزن والتقفية وتقابل القرائن، وقيل لم يجيء هذا القسم في القرآن الكريم لما فيه من التكلف[٩].

ص ٧٥/ السيوطي:الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية،ج٥، ص١٨٢٠/ والرماني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ص٩٨.

١ الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج١، ص٧٢.

٢ سورة الفاتحة:٢-٤.

٣أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م،ص٧٤.

٤ سورة الضحى: ٩-١١.

٥ محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ١٤٨-١٥٠

٦ سورة الغاشية: ١٣-١٤.

٧ سورة نوح:١٣-١٤.

٨ سورة الغاشية:١٥-١٦.

٩ الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٧٥-٧٦.

٣-الفاصلة بحسب طول الفقرة:

وذكر **ابن القيم (ت٧٥١هـ)**، أن هذه الفواصل تكون على ثلاثة أقسام: قصير موجز، ومتوسط معجز، وطويل مفصح للمعنى مبين للمعنى مبرز، فأقصر الفقرات ما يكون من لفظين، كما في قوله تعالى: (الرّحمن)[١]، وأطولها مايكون من عشر لفظات، وما بين هذين متوسط[٢]، كما في قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤) [٣].

وقد ذكر محمد الحسناوي أبنية أخرى للفاصلة، منها[٤]:

١- **الفاصلة بحسب طول القرينة**[٥]:

المراد بطول القرينة، مقدار طولها بالنسبة إلى القرينة الثانية والثالثة، وتنقسم إلى أقسام كالآتي:

أن تكون القرائن متساوية في عدد الكلمات لا يزيد بعضها على بعض، ولا تضر الزيادة في عدد الحروف، لأن التساوي فيها غير مشروط، كما في قوله تعالى: (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۝٣١)[٦].

- أن تختلف القرائن طولاً وقصراً، وهو أكثر من نوع [٧].

٢-الفاصلة بحسب مقدارها من الآية:

فمن الفواصل ماهو آية كاملة، وما هو بعض آية، وهذا النوع هو الغالب المطرد[٨].

---

١ سورة الرحمن: ١.

٢ ابن القيم: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، صححه محمد بدر الدين النعساني، ص٢٢٧.

٣ سورة النجم: ١-٤.

٤ محمد الحسناوي : الفاصلة في القرآن، ص١٥٤-١٥٦.

٥ القرينة، أي الكلمة في الآية، أي مقدار طول الكلمة في الآية.

٦ سورة الواقعة: ٢٧-٣٠.

٧ انظر: محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص١٥٤-١٥٥.

٨ انظر: نفسه، ص١٥٥.

- **أبنية الفاصلة في سورة الصافات:**

نستطيع تحديد أبنية الفاصلة في السورة، وتوظيف علم الأصوات لدراسة أبرز الظواهر الأسلوبية الصوتية في هذه الفواصل، ودورها في التماسك الصوتي بين آيات السورة، وذلك من خلال محورين؛ الأول: الأنساق الصوتية للفواصل، أما الثاني فيدرس علاقة الفواصل بالسياق الدلالي.

المحور الأول:

النسق الصوتي للفواصل:

ويقصد بالنسق الصوتي: انتظام الأصوات على نمط محدد، بهدف رصد العلاقات الصوتية بين الفواصل لمعرفة الفواصل المتماثلة أو المتقاربة. وقد اجتمعت في فواصل سورة الصافات أنساق عديدة، أسهمت في الربط بين أجزاء السورة، بل نجد في بعض الفواصل اجتماع نسقين أو أكثر، مما أسهم في الربط بين الفواصل وانسجامها.

وبعد البحث والاستقصاء تبين للباحثة أن الأنساق الصوتية في سورة الصافات، هي: نسق الأصوات الممدودة، نسق القلقلة، نسق الغنة.

١- نسق صوت المد: وهو تتابع عدد من الأصوات الممدودة، ولو تأملنا فواصل بداية سورة الصافات لوجدنا ذلك التتابع، قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾، فالفواصل الثلاث المكونة من(فا+را+را)، أصوات ذات حركة طويلة (ص ح ح)، أي أنها تنتظم في مجموعة صوتية واحدة، فهي أصوات ممدودة، على الرغم من اختلاف طبيعة الحرف الذي يسبق الروي بين الفاصلة الأولى، وبين الثانية والثالثة، فقوة الصوت الناتج عن المد بعد الفتح يطغى على الصوت الناتج عن كل حرف في الكلمة الفاصلة، حيث يظهر دور الفتحة المرافقة لصوت المد، والتي نتجت من الوقف على المنون بالفتح، في تحرير الصدر من الهواء المنحبس فيه؛ مما يعطي الفواصل امتداداً ذا نغمة متزنة، وارتباطاً صوتياً نتيجة ذلك الامتداد، فما إن ينتهي صوت الفاء إلا ويبدأ صوت الراء، ثم الراء.

٢- نسق القلقلة: وهو تتابع عدد من أصوات القلقلة، ويظهر ذلك في المقطع الآتي من السورة: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾)، فقد تتابعت فاصلة الدال والقاف والباء، ثم الدال وتليها الباء إلى نهاية المقطع، وهي ثلاثة أصوات من أصوات القلقلة الخمسة (قطب جد)، كما أنها تتفق في كونها أصوات انفجارية (شديدة)، حيث إن آلية الانفجار تستدعي التقاء عضو النطق بموضع نطق الصوت التقاءً تامّاً، وحبس الهواء، ثم الابتعاد السريع، فيندفع الهواء المحبوس فجأة و يحدث صوتاً انفجارياً[١]. وعلى هذا فإن الاختلاف في الفواصل بين (الدال – والقاف- والباء) تحول إلى توافق في الملامح الصوتية وآلية النطق، مما أحدث إيقاعاً منتظماً يقترب من إيقاع الفواصل المتماثلة، وهذا الإيقاع أسهم في انسجام الفواصل من خلال الأثر السمعي القوي الذي تحدثه تلك الفواصل. فالآيات دلت على إثبات حقيقة العقيدة الصحيحة، من خلال تقرير خبر وحدانية الله وتأكيد الخبر، ثم سوق الأدلة على ذلك، فتتابعت الأصوات التي تحمل طابع القوة والشدة والوضوح ،وهذا ما يتطلبه سياق الآيات.

٣- نسق الغنة: وهو تتابع صوتي الغنة (النون – الميم)، في الفواصل، ويظهر ذلك في المقطع الآتي وحتى نهاية السورة: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾)، فقد تتابعت الفواصل بصوتي الغنة (النون والميم) وفق نسق صوتي منظم أحدث التحاماً بين فواصل السورة حتى

١ إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ط: مكتبة نهضة مصر، مصر، (د.ت)، ص٢٤.

ختمت السورة بقوله تعالى: (وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢)، فالنون والميم إلى جانب ما يتصفان به من أنهما صوتان أغنّان، نلحظ تقارباً بينهما في المخرج، فالنون لثوية، والميم شفوية، كما أنهما يشتركان في صفتي الجهر والتوسط، "فالأصوات المجهورة تصدر نتيجة انقباض فتحة المزمار فيقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر، فتضيق فتحة المزمار، ولكنها تظل تسمح بمرور النفس خلالها، فإذا اندفع الهواء خلال الوترين وهما في هذا الوضع يهتزان اهتزازاً منتظماً ويحدثنا صوتاً موسيقًيا تختلف درجته حسب عدد الهزات أو الذبذبات في الثانية "[١]. كما أن صوت النون والميم بما يحملان من ملامح صوتية يحدثان رنيناً في الأذن، يسهم في الاتصال الصوتي بين الآيات، حيث إن انتهاء الفاصلة يبقي هزة تنتقل مع السامع إلى الآية التالية وهكذا. كما أن هذا الانسجام النغمي يحتوي على تردد سمعي عالٍ مما يخلق هزات داخلية، تجعل السامع يستجيب لها.

وبناءً على ما تقدم فإن ارتباط النون مع الميم بجملة من الصفات الصوتية، المتمثلة في الجهر والغنة، تحول اختلاف الصوتين إلى تماثل في الملامح الصوتية، إضافة إلى التقارب في المخرج.

ومن خلال دراستنا للأنساق الصوتية السابقة والتي بدأت بنسق صوت المد ثم نسق القلقلة، وانتهاءً بنسق الغنة، نلحظ أن الفواصل في السورة كاملة ختمت بأصوات مجهورة، باستثناء الفاصلة الأولى، والفاصلة في الآية الخامسة (وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ)، كانتا مهموستين[٢].فالهمس يعتمد على سكون الوترين الصوتيين؛ رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع "[٣]، وهذا ما يتحقق مع الفاء الممدودة في (صفّاً)، لتتناسب مع القسم الوارد في بداية السورة، كي يتأهب السامع لقوة الخبر المذكور بعد هذه الفاصلة المهموسة.

وتستمر الأصوات المجهورة في بقية الفواصل، وهذا الأمر يتناسب مع الوقع السمعي للفظ، وما يحدثه من تأثير نفسي، ومدلول انفعالي يرتبط بالأحداث في السورة.

---

١ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٢١.

٢ يرى إبراهيم أنيس بعد التجارب الحديثة أن حرف القاف من الحروف المهموسة (نفسه، ص٢٢).

٣ نفسه، ص٢٢.

العلاقة بين الفاصلة والسياق الدلالي:

يتضح من نسق الفواصل السابقة أنها جاءت على ثلاثة أجزاء، الأول نسق حروف المد، والثاني القلقة، والثالث الغنة، والانتقال من نسق إلى آخر، يرتبط بالسياق الدلالي ارتبطاً واضحاً، فبعد النسق الصوتي الممدود في الفواصل الثلاثة الأولى، تقابلنا فاصلة مقيدة بالدال الساكنة، تلك الفاصلة أحدثت صدمة لدى القارئ، هذه الصدمة تثير الذهن لاستحضار القلب نحو الموضوع الأساسي من السورة وهو (إخلاص العبادة لله وحده)، لتكون هذه الفاصلة مركز السورة الذي تنجذب له جميع الموضوعات التي ستذكر بعدها.

أما في الربط بين فواصل القلقلة وفواصل الغنة، نجده في الإضراب ببل (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾)، فهو لم يكن إضراباً للانتقال من غرض إلى غرض، ولكنه انتقال أيضاً من فاصلة إلى أخرى لتتناسب مع دلالة الآيات، حيث كان سياق الآيات يدور حول مناقشة الكفار عن عدم قدرة الجن على استراق السمع، ثم استفتائهم حول قضية البعث بعد الموت وأصل الخلق، فكان السياق تقريري توبيخي، وهذا يتناسب مع حروف القلقة المجهورة الشديدة، التي تمتاز بقوة وقعها على السمع، ثم تنقلنا (بل) من سياق التقرير إلى سياق العجب من حالهم من خلال فاصلة الغنة التي تتناسب مع ذلك العجب وما يتبعه، من سوق الحجج الدالة على بطلان أقوالهم.

وهذه نماذج من فواصل سورة الصافات، وعلاقاتها بالسياق الدلالي. من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾)، من خلال التوافق بين صوتي الفاء والراء، والسياق الدلالي للآيات. فالفاء من الأصوات المهموسة الرخوة، ولأنه رخو فهو صوت قابل للتطويل إضافة إلى أنه جاء في هذه الفاصلة ممدوداً، فهو يشبه في نطقه صفوف الملائكة غير المنتهية، كما يبقى صوت الفاء الممدودة جارياً مجرى النفس لا ينقطع، موحياً بالهدوء والاستقامة عند النطق به، وهذا يرتبط بصورة صفوف الملائكة المنتظرة لأمر الله؛ فالهدوء يأتي من رقة هذا الحرف فهو صوت مستفل منفتح، أما الاستقامة فتكون من عدم تموج صوت الفاء عند النطق به.

تنتقل الفاصلتان الثانية والثالثة إلى صوت الراء، فالراء صوت مجهور متوسط، كما أنه موصوف بالتكرار والترجيع، ففي الفاصلة الثانية (زَجْرَا)، يتجلى التناسب بين صوت الراء ودلالة الزجر. فالزجر يأتي بمعنى "الحث في نهي أو أمر بحيث لا يترك للمأمور تباطؤاً في الإتيان بالمطلوب "[1]، الذي يتناسب مع صوت الراء المجهور الذي يشبه بصوته الإلزام والتأكيد، خاصة عقب مجيئه لفاصلة الفاء الدالة على الهدوء والاستقرار. أما الفاصلة الثالثة (ذِكْراً)، فنجد فيها تناسباً بين صوت الراء التكراري ودلالة قوله تعالى:(فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْراً)، لأن التلاوة تقتضي ترديد الذكر واستمراره، وهذا ينطبق على دلالة حرف الراء.

ويتضح التناسب بين الفاصلتين الأخيرتين من خلال اعتماد فاصلة (زَجْرَا)، على صفة الجهر في الراء، والتي تدل على منع النفس وحبسه لقوة اعتماد الصوت على المخرج، أما (ذِكْراً)، فتتناسب مع دلالة التكرار وترجيع صوت الراء.

أما الفاصلة في الآيات التالية: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴿٦٤﴾طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبَا مِّنْ حَمِيمٍ﴿٦٧﴾ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾)، فنجدها وصفاً لشجرة الزقوم، وجاءت فواصلها كما يلي: (ٱلْجَحِيمِ – ٱلشَّيَٰطِينِ –ٱلْبُطُونَ- حَمِيمٍ- ٱلْجَحِيمِ)، وقد بدأت بفاصلة الميم وانتهت بها، وكأنها توحي بالإلمام بصورة الشجرة، وهذا ما يوحي به صوت الميم، فهو يدل على معنى التجميع،كما وقع بين فاصلتي الميم فاصلتين للنون (ٱلشَّيَٰطِينِ –ٱلْبُطُونَ)، فالنون والميم صوتان متقاربان في المخارج ومتماثلان في الملامح الصوتية، ولكن دلالة النون في السياق اختلفت عن دلالة الميم. حيث دلت الميم في (ٱلْجَحِيمِ - حَمِيمٍ) على الحرارة، توافقاً مع مايوحي به صوت الميم، فهو صوت مجهور متوسط"يحصل بانطباق الشفتين على بعضهما بعَضا في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النفس. ولذلك فإن صوته يوحي بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨٤.

بعضاً، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة"[١]، "أما النون فهو صوت (صميمي) أي ينبعث من الصميم للتعبير عن الألم العميق"[٢]، وهذا يتناسب مع حال من يقع عليه العذاب بالأكل من شجرة الزقوم (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾)، فجاءت الفاصلة للتعبير عن شدة الألم من الامتلاء بطلع الزقوم، فحقق التناوب بين هاتين الفاصلتين ربطاً دلالياً أسهم في تكوين صورة شاملة عن هذه الشجرة، وحال من يقع عليه العذاب.

كما نلحظ في سورة الصافات صورة من صور التكرار، الذي كان له دور في الربط الصوتي بين الفواصل مما حقق للسورة سبكاً نصياً، و هو ما أطلقت عليه نازك الملائكة تكرار التقسيم، حيث تعرفه بقولها: "تكرار كلمة أو عبارة في ختام كل مقطوعة.... والغرض الأساسي من هذا الصنف من التكرار إجمالاً أن يقوم بعمل النقطة في ختام المقطوعة ويوحد القصيدة في اتجاه معين "[٣]، وهو ينطبق على ما أطلق عليه في القرآن (الالتزام)، وفي الشعر يسمى (لزوم ما لا يلزم) "وذلك حين يلتزم الناثر في نثره،أو الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر حرفاً فصاعداً، على قدر قوته، وبحسب طاقته، مشروطاً بعدم الكلفة"[٤] ، ويتضح هذا النوع في المقطع الآتي:

- سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ
- إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
- إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ

إن هذه اللازمة تكررت في السورة في ثلاثة مواضع مع وجود تغيير طفيف على العبارة المكررة، وقد بيّنت نازك الملائكة أن هذا التغير الطفيف الذي يدخل على العبارة عند تكريرها ينقذ النص من الرتابة [٥]، ولكننا لا نجد ذلك

---

١ حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ط: منشورات اتحاد الكتاب، ١٩٩٨م ،ص ٧٢.

٢ نفسه، ص١٦٠.

٣ نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، ط٣: منشورات مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ص٢٥١.

٤ ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي شرف، ط: لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت) ، ص٥١٧.

٥ نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص٢٥١.

في القرآن الكريم ففي هذا المقطع جاء التكرار مع التغيير بما يتناسب مع سياق كل قصة لأنها وردت في قصة نوح ثم إبراهيم ثم موسى وهارون عليهم السلام، ولكننا نجد الفواصل تتكرر في جميع المقاطع التي وردت فيها قصص الأنبياء عليهم السلام:

١- العالمين – المحسنين – المؤمنين.

٢- إبراهيم –المحسنين–المؤمنين.

٣- هارون–المحسنين–المؤمنين.

٤- إلياسين –المحسنين– المؤمنين.

وحين تكررت هذه الفواصل في أكثر من موضع بالسورة وكانت متماثلة باستثناء مقطع واحد (المقطع الثاني)، أحدث تناغماً في سرد القصص، فأشعرت السامع بأن هذه الآيات تنبئ عن ختام المقطع، بل تجعل السامع يبحث عن هذه الخاتمة في نهاية كل قصة، كما أسهمت في سبك السورة من خلال الإشارة إلى فكرة أساسية تهدف السورة إلى إيضاحها وهي أن الأنبياء دعوتهم واحدة وعقيدتهم واحدة، فهذه الفكرة تصل بنا إلى موضوع السورة الرئيس وهو إخلاص العبادة لله وتثبيت العقيدة الصحيحة في النفوس، وإلى هذا المفهوم أشارت نازك الملائكة حين قالت: "وأكثر ما تنجح هذه القصائد في الموضوعات التي تقدم فكرة أساسية يمكن تقسيمها إلى فقرات، يتناول كل منها حلقة صغيرة جديدة من المعنى مثل تكرار قصة الأنبياء واحداً واحداً مع عاقبة المكذبين بهم لتثبيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم "[١]، حيث حققت الفواصل التناغم والانسجام بين الجمال الفني والفكرة الواحدة.

مما تقدم تبين للباحثة ما يأتي:

١- أن سورة الصافات تنوعت فيها الفواصل القرآنية بين المتماثلة (نسق حروف المد- نسق القلقلة) والمتقاربة (نسق الغنة).

٢- توقفت الدراسة للأصوات في فواصل السورة، على التماثل في الملامح الصوتية وليس المخارج.

---

١ نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص٢٥٣.

٣- ارتبطت فواصل السورة فيما بينها بأصوات مجهورة من الآية الثانية إلى الرابعة، ومن السادسة إلى نهاية السورة، حيث تتصف الأصوات المجهورة بوضوحها في السمع، وهذا يرتبط دلالياً بموضوع السورة الرئيس الذي يدعو إلى توجيه المشركين إلى العقيدة الصحيحة، وتنقية نفوسهم من الشرك، من خلال سوق الأدلة والبراهين والحجج الدالة على صحة هذه العقيدة، وفساد معتقداتهم.

٤- تنوعت الأنساق الصوتية في السورة، مع وجود ارتباط دلالي واضح بينها مما أسهم في ترابط السورة، وانسجام أصواتها.

المبحث الثاني:التكرار

- **التكرار لغة:**

جاء في لسان العرب أن "الكرّ: الرجوع، والكرّ: مصدر كرّ عليه يكُرّ كرّاً وكروراً وتكراراً: عطف، وكرَّكَرَهُ: أعاده مرة بعد أخرى، والكرَّة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء"[١]، وقال ابن فارس: "الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى"[٢].

- **التكرار اصطلاحاً:**

عرفه **الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)** بأنه: "الإتيان بشيء مرة بعد أخرى"[٣]. وعرفه **الرضي (ت٤٠٦هـ)** بأنه: "ضمّ الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير"[٤].أما **الزركشي (ت٧٩٤هـ)**،فيرى أن التكرار هو: "الترديد والإعادة، وهو من أساليب الفصاحة، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض"[٥].وجعل الزركشي والرضي للتكرار دور واضح في تحقيق الترابط بين أجزاء النص.

وفي تعريف الرضي للتكرار دلالة على اتحاد اللفظ والمعنى في اللفظ المكرر، وهذا ما يجعل الباحث في التكرار يفرق بينه وبين فنّاً آخر من فنون البديع وهو (الترديد). فالترديد، هو: "أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها معلقة بمعنى آخر ، كقوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللَّه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)، فالجلالة الأولى مضاف إليها، والثانية مبتدأ بها "[٦]، فلا تتحد في الترديد دلالة اللفظين، حيث يتفقان في بنية اللفظ مع الاختلاف في المعنى، ومن هنا يتحدد الفرق بين الترديد

---

١ ابن منظور: لسان العرب، مادة (كرّ)، ص٣٨٥١.

٢ أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٥، ص١٢٦.

٣ الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط: دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، ص ٥٩.

٤محمد بن الحسن الرضي: شرح الرضي لكافية ابن حاجب،تحقيق يحيى بشير مصري، ط١: الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م، ج٢،ص٢٢٦.

٥ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، ص٩.

٦ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، ج٢، ص٢٥٣.

والتكرار، "فاللفظة التي تتكرر ولا تفيد معنى زائداً غير معنى الأولى هي التكرار، واللفظة التي تتردد فتفيد بمتعلقها معنى آخر غير معنى الأولى هي الترديد"[١].

- **التكرار بين القدامى والمحدثين:**

يعدُّ **الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)** من أوائل النقاد العرب الذين تحدثوا عن التكرار، واستشعروا قيمته. فهو يستحسن التكرار ويشير إلى ترديد القرآن الكريم لبعض قصص الأنبياء، ورده إلى اختلاف أحوال المخاطبين. وتوقف عند الباعث إلى التكرار في لغة العرب، وأرجعه إلى اختلاف المواقف، واختلاف أحوال السامعين، كما يورد بعضاً من أغراض التكرار التي استخدمها العرب في أقوالهم فجعلوا التكرار للتأكيد أو للتنبيه أو للتخويف والتهويل، أما **ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)** أفرد باباً للتكرار في كتابه (تأويل مشكل القرآن) سماه (باب تكرار الكلام والزيادة فيه)، تحدث فيه عن تكرار القصص والأنباء، والتكرار المذكور في القرآن والشعر، فقسمه إلى تكرار الكلام من جنس واحد وتكرار الصفة بتغيير حرف واحد.[٢]**وابن جني (ت ٣٩٢ هـ)** تحدث عن التكرار في سياق حديثه عن التوكيد في باب الاحتياط، وقسمه قسمين: تكراراً لفظياً وتكراراً معنوياً، وقدّم مجموعة من الشواهد، وناقشها من وجهة نظر لغوية.

أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فتحدث عن التكرار ضمن حديثه عن الإطناب، حيث قال: "وكلام الفصحاء إنما هو شوب الإيجاز بالإطناب، والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط؛ ليستدل بالقصد على العالي، وليخرج السامع من شيء إلى شيء؛ فيزداد نشاطه، وتتوفر رغبته، فيصرفوه في وجوه الكلام: إيجازه وإطنابه، حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع "[٣]،وأفرد **وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)** باباً

---

١ ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، ط١: مطبعة النعمان، النجف –العراق،١٣٨٨هـ /١٩٦٨م، ج٣، ص٣٦١.

٢ انظر: ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرح السيد احمد صقر، ص ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٠.

٣ أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ص١٩٣.

للحديث عن التكرار، وذكر أن للتكرار "مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه "[١].

أما ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فيعدّ من أكثر البلاغيين العرب القدامى الذين أسهبوا في الحديث عن التكرار، وتحدث عنه ضمن حديثه عن الإطناب والتطويل، إذ عدّ التكرار الذي يأتي لفائدة جزءاً من الإطناب، أما الذي يأتي منه لغير فائدة فعدّه جزءاً من التطويل[٢].

وأما حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) تحدث عن التكرار، وأشار إلى المواضع التي يقع فيها، وذلك في قوله: "والتكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلا بمراعاة اختلاف ما في الحيّزين اللذين وقع فيهما التكرار من الكلام. فلا يخلو أن يكون ذلك إما لمخالفة في الوضع: بأن يقدّم في أحد الحيّزين ما أخّر في الآخر، أو بأن تختلف جهات التعلّق في الحيّزين، أو بأن يفهم المعنى أولاً من جهة من جهات الإبهام ثم يورد مفسَّراً من الجهة التي وقع فيها الإبهام، أو بأن يجمل ثم يفصل – وهذا ما يجتمع مع ما قبله من جهة ويفارقه من جهة –، أو بأن يفصّل ثم يجمل الضرب من المقاصد، أو بأن يورد على صورة من الجمع والتفريق ... فعلى هذه الأنحاء وما ناسبها يقع التكرار في المعاني فيستحسن. وكثيراً ما تقع التفصيلات والتفسيرات والتقسيمات في المعاني التي تكون من هذا القبيل "[٣]

وقد عدّ **السجلماسي (ت٧٠٤هـ)** التكرار الجنس العاشر من أجناس أساليب علم البيان، وصنعة البلاغة والبديع، وقد عرفه بقوله: "هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد، أو بالنوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعداً...، وتحته نوعان، أحدهما: التكرير اللفظي، ولنسمه المشاكلة. والثاني: التكرير المعنوي، ولنسمه مناسبة"[٤]. وفصل القول في النوعين تفصيلاً واضحاً، مبيناً فوائد التكرار في كل نوع.

---

١ ١ ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥: دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص٧٣-٧٤.

٢ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر، الفجالة –القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص ٣٤٤- ٣٤٥.

٣ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، ص٣٦-٣٧.

٤السجلماسي: المنزع البديع، تحقيق علال الغازي، ط١: مكتبة المعارف، الرباط – المغرب، ١٤٠١هـ /١٩٨٠م، ص٤٧٦.

وأما في العصر الحديث، فقد نال التكرار عناية النقد الأدبي العربي، حيث خصصت نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) فصلين للحديث عنه، أحدهما: التكرار في الشعر، والآخر: دلالة التكرار في الشعر.

وعرّفته نازك الملائكة بأنه "إلحاح على جهة هامة في العبارة يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها. وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامناً في كل تكرار يخطر على البال. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو – بهذا المعنى – ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه "[١]

و يرى (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) أن التكرار يعني: "إن أية حالة تكرار يمكن أن تكون الكلمة نفسها، مرادفاً لها أو شبه مرادف ، كلمة عامة، أو اسماً عاماً"[٢]، ونجد الأزهر الزناد يجعل التكرار من أنواع الإحالة القبلية ويسميها (الإحالة القبلية)،فيقول: "وتتمثل الإحالة في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهو الإحالة التكرارية، وتتمثل الإحالة بالعودة، أكثر أنواع الإحالة دوراناً في الكلام"[٣]، ويرى الدكتور تمام حسان أن "الأصل في الربط أن يكون بالتكرار؛ لأنه خير وسيلة للتذكير بما سبق، وإنه حين يعدل عنه إنما يكون ذلك توخياً لمبدأ الاختصار"[٤]، فحقق التكرار عند النصيين المحدثيين جملة من الوظائف التي تحقق للنص ترابطه وتماسكه، كما أنها تضفي على العنصر المعجمي المقصود بالتكرار دلالات معينة.

أما (روبرت دي بو جراندRobert De Beaugrande) فيرى أن الإسراف في استخدام التكرار المعجمي يحبط الإعلامية ويوقع المتكلم في عيب بلاغي كبير مالم يكن هناك تحفيز قوي، وعقب على هذا الرأي بأن منشئ النص يستطيع أن يحقق الفائدة المرجوة من التكرار بالتنوع في صياغة العبارات والألفاظ من خلال جملة من

---

١ نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر، ص ٢٤٢.

٢ محمد خطابي: لسانيات النص، ص٢٣٧.

٣ الأزهر الزناد: نسيج النص، ص١١٩.

٤ تمام حسان: مقالات في اللغة والأدب، ج١، ص١٩٥.

ألوان البديع كـ(الترادف)، و(الجناس)، و(السجع)، وغيرها، ويتوقف هذا الاستخدام للتكرار في تحقيق وظيفته في حالات معينة وصيغ خطابية محددة [١]، وقد سبقه ابن رشيق في ذلك الرأي.

و في القرآن الكريم فإن التكرار صفة جمالية و إعجاز واضح، درسه اللغويون والبلاغيون فألفوا من أجله المؤلفات، وخصص بعضهم من كتابه مباحثاً تبحث في التكرار[٢].

أنواع التكرار:

قدم (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) أربعة أنواع للتكرار، وهي:

١- تكرار نفس الكلمة، وتندرج تحته ثلاثة أنواع:

أ- التكرار المباشر: ويحدث عندما يتكرر العنصر المعجمي نفسه دون تغيير[٣].

ب- التكرار الجزئي: يعني استخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي)، مع نقلها إلى فئة أخرى، مثل: (يحكم-حكم-حكام-حكوومة)[٤].

ت- الاشترك اللفظي: وهو تكرار معجمي غير مقترن بالتكرار في المفهوم؛ حيث يتكرر استعمال كلمتين بمعنيين مختلفين، مثل: (ولّى- ولّى) بمعنى ذهب –حكم[٥].

٢- الترادف أو شبه الترداف: ويقصد بالترادف "وجود كلمة أو أكثر لها دلالة واحدة، أي أن الكلمات هنا هي المتعددة، أما المعنى فغير متعدد"[٦].ويستخدم (روبرت دي بو جراندRobert De Beaugrande)

١روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٣-٣٠٦.

٢ ومنهم الكرماني الذي أفرد مؤلفاً في ذلك سماه (أسرار التكرار في القرآن) أو (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان). وكذلك السيوطي الذي أفرد مبحثاً عن التكرارفي كتابه الإتقان، فجعله النوع الرابع من أنواع الإطناب.

٣ عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص١٠٦. نقلاً من: (Michael Hoey:Patterns of lexis in text).

٤ نفسه، والصفحة نفسها. نقلاً من :(Robert de &Dressler: Introduction to text linguistics Beaugrande).

٥ إلهام أبو غزالة، علي خليل: مدخل إلى علم لغة النص، ص٨٥.

٦حلمي خليل: الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، ط٢: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص١٢٩.

للترادف مصطلح (إعادة الصياغة) ويعني "تكرار المحتوى ولكن بنقله بواسطة تعبيرات مختلفة"[١]. أما شبه الترادف "فيحصل في حالة التشابه الدلالي الواضح بين كلمة أو أكثر، سواءً فيما تشير إليه في الخارج، أو في الدلالات الموحية والمتضمنة في الكلمة. ولكن هناك اختلاف بينهما فيما أسماه (زجوستا) درجة التطابق، حيث تستعمل الكلمة في سياق معين، ولا تصلح الأخرى في نفس السياق وكلاهما بعنى واحد"[٢].

٣- الكلمة الشاملة: يقصد بها أن إحدى الكلمات، تشير إلى فئة والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة، مثل (لحم – لحم بقري)[٣].

٤- الكلمة العامة: هي مجموعة صغيرة لها إحالة عامة، وتستخدم كوسائل للربط بين الكلمات في النص. مثل: (قصة-خطاب-ورقة-كتاب)[٤].

كما يمكن أن يقسم التكرار إلى:

أ- تكرار الكلمة:"وهو أبسط ألوان التكرار، ولكن المعول في مثل هذا النوع من التكرار لايكون على التكرار نفسه "[٥]، وإنما على ما بعد الكلمة المكررة، وقد تكون الكلمة اسم أو فعل أو حرف.

ب- تكرار العبارة: والعبارة إما أن تكون جملة اسمية أو فعلية، أو تكون آية كاملة.

وهذا التقسيم هو المعتمد في هذه الدراسة؛ لأنه يتناسب مع مقتضيات البحث والتحليل للنص القرآني.

بنية التكرار في سورة الصافات:

من أبرز البنى التكرارية في السورة، تكرار لفظ الجلالة (الله)، حيث كان حاضراً بكثافة في السورة، فهو يمثل مركز النص الأساسي الذي تتمحور حوله الدلالات في السورة، ويعود سبب هذا التركيز الشديد للفظ الجلالة (الله) وما

---

١ عزة شبل محمد: علم لغة النص ، ص١٠٧. نقلاً من: (Dressler: Introduction to text) linguistics& Robert de Beaugrande).

٢حلمي خليل: الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، ص١٣٣.

٣عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص١٠٨. نقلاً من: (Barbara Johnstone:Discourse analysis)

٤نفسه، والصفحة نفسها. نقلاً من:(Raphael Salkie: Text and discourse analysis).

٥نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص٢٣١.

تدل عليه، إلى الحقبة التي أرسل فيها النص وهي الحقبة المكية للرسالة النبوية، فالدين الإسلامي كان في بداية دعوته، والناس مشغولون بأسماء الأصنام وزعماء المشركين، ولم ترد عليهم فكرة التوحيد، واعتبار (الله) عزوجل هو الإله الواحد الذي لا شريك له؛ لذا احتاج النص القرآني للتكرار حتى ترسخ المفاهيم والمصطلحات في أذهانهم، ولم يكتفِ النص بهذا الحضور للفظ الجلالة (الله) الذي ورد (١٢) مرة، بل جاء التكرار مرادفاً له بكلمة (رب) (١٢) مرة [١]، وكلمة (إله) مرتين،وكلها تدل على الذات الإلهية، وهذا التنوع في التكرار للفظ الجلالة كان بحسب ما يقتضيه الخطاب القرآني،فالرب كان معروفاً عند مشركي مكة، يؤمنون بأنه هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، ولكنهم لا يتوجهون في عبادتهم لله، فجاء التكرار لربط المعنى في أذهانهم بأن الرب الذي تؤمنون به، هو الإله الذي حق أن يعبد ويخلص له في عبادته.

إن هذه الشبكة من الكلمات المتكررة أسهمت في الربط القضوي بين الجمل، كما حققت وظيفة دلالية فضلاً عن سبك النص، فامتدادها من بداية السورة إلى نهايتها، تجسيد لمعنى الألوهية والقيومية والسيطرة لله تعالى .

ومنه أيضاً، ما ورد في السورة من تكرار كلمة (الجحيم) والتي بلغ عدد تكرارها (٦) مرات، موزعة بشكل متوازٍ في السورة، فجاءت مضافة إلى الصراط مرة، وأضيفت إلى (سواء) مرة، وإلى (أصل) مرة، ومسندة إلى الفعل (صال) مرة، وبدون إضافة مرتين.

نلحظ الآية الأولى التي وردت فيها كلمة (الجحيم) في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ تصوير لحال المشركين لحظة إعلان مصيرهم، أما آخر آية وردت فيها كلمة الجحيم، فيها تأكيد على أن المشركين هم المستحقين لعذاب الجحيم ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ

١ تدل كلمة رب على أربعة معانٍ: الإله، والسيد، والمالك للشيء، والمصلح للأمر، وكلها تصلح في رب العالمين؛ إلا أن الأرجح معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى "السيوطي: معترك الأقران في إعجار القرآن، ضبط أحمد شمس الدين، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، م٢، ص١٨٥.

صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾)، وتتوزع بقية الإحالات التكرارية في وصف صور العذاب التي يتلقاها المشركون في النار[١]، ولم تذكر النار بمسماها هذا في السورة، وإنما جاء ذكرها موصوفة بالجحيم؛زيادة في تحقق العذاب.

إن هذه الإحالات التكرارية أسهمت في الربط بين صور العذاب المتحققة للمشركين من أول السورة إلى آخرها من خلال تكرار لفظ واحد وهو الجحيم.

وقد مثل تكرار العنوان (الصافات)[٢] سبكاً نصياً واضحاً، وتنوع بين تكرار الكلمة نفسها (الصافات)، أو تكرار الجذر اللغوي (صف)، في (صفّاً)، و (الصافون)؛ لأن العنوان "رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه"[٣]، وهذا التكرار له دور في تأطير السورة وتحديد القضية الأساسية فيها، وهي تصحيح عقيدة المشركين وإبطال مزاعمهم التي يزعمون فيها بأن الملائكة هم بنات الله، وذلك في أول السورة، ليعود الجذر اللغوي للصافات في آخر السورة (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾)، "أي وإنا معشر المسلمين، الصافون أي الواقفون لعبادة الله صفوفاً بالصلاة، ووصف وقوفهم بالصف تشبهاً بنظام الملائكة..،فالكلام في هذه الآيات كلها متعلق بشؤون الله تعالى"[٤]، وأن الملائكة والبشر خلق من خلقه، وجدوا لغاية واحدة وهي عبادة الله حده دون سواه.

ومن صور تكرار الكلمة ، امتداد الجذر اللغوي (عبد) في السورة، حيث تكرر بصيغ عديدة (عباد)،(عبادنا)، (تعبدون)، (يعبدون)، الذي حدد لنا المركز الدلالي الذي انطلقت منه الآيات في السورة، وهي

---

١ باستثناء آية واحدة لم تكن في وصف العذاب الذي يتلقاه المشركون وإنما جاءت في قصة إبراهيم عليه السلام بعد الحجاج الذي دار مع قومه، فأقاموا عليه الحجة ,و(قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾)، ولا تختلف في دلالتها عن الآيات الأخرى؛ لأن فيها توحيد المسمى لتحقيق الربط من خلال هذا العنصر المعجمي، وأن هذا الجحيم الذي ألقيتم فيه إبراهيم عليه السلام، هو الذي ستعذبون فيه جزاء كفركم وتكذيبكم.

٢ الصافات هي: الطائفة المصطف بعضها مع بعض...، ووصف الملائكة بهذا الوصف يجوز أن يكون على حقيقته فتكون الملائكة في العالم العلوي مصطفة صفوفاً....، ويجوز أن يكون كناية عن الاستعداد لامتثال ما يلقى إليهم من أمر الله تعالى حكاية عنهم في هذه السورة(وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾).**(ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨٤)**.

٣ أحمد مداس:لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب، ط٢: عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠٠٩م، ص٤١.

٤ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٩٢.

(العبودية الخالصة لله)، فكل المخلوقات من إنس وجن وملائكة مملوكة له وتحت تصرفه، مستسلمة لأمره عابدة له، وهذا المفهوم يؤكد على قضية واحدة كانت الأساس الذي انطلقت منه السورة وهو (بناء العقيدة الصحيحة في النفوس وتخليصها من الشرك)، وأضفى على النص صفة الاستمرارية، من خلال إيجاد أساسٌ مشتركٌ بين الآيات مما أسهم في وحدة النص وتماسكه.

ومن ذلك، تكرار الجذر اللغوي (قول) الذي يدل على المحاورة والتحاور، كما يدل على الحجاج ، خاصة أنه جاء في صورة الفعل (قال)، (يقول)، (يقولون)، فنجد في السورة مواضع عديدة، تأسس الخطاب فيها على جملة من تقنيات الحجاج، والذي أسهم الجذر اللغوي (قول) في توجيه الخطاب وترتيبه؛ لتحقيق الترابط بين أجزاء الخطاب وصولاً إلى النتيجة النهائية[١].

أما تكرار الجملة بكلماتها المتعددة، والتي أطلق عليها سيد قطب مصطلح (التناسق التعبيري)،"هو نوع من التكرار يقتضيه التقرير الموضوعي للدلالة على أنها تعبر عن حقيقة واحدة في صور متعددة "[٢]، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابَاوَعِظَٰماً أَءِنَّالَمَبْعُوثُونَ﴿١٦﴾)، وتكررت الجملة الاسمية ذاتها في قوله تعالى: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابَا وَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴿٥٣﴾)، مع الاختلاف في جواب الشرط، ودلالته في الآيتين على ما يرتبط باليوم الآخر. وقد أفاد تكرار هذه الجملة سبك النص من خلال ربط الموضع الأول الوارد في أول السورة، بالثاني الوارد في الآية الثانية والخمسين، فتكرار العبارة فيها دلالة على تشابه الأفكار عند من ينكر البعث، وهذه الأفكار تتلخص في استبعاد الحياة بعد الموت والبلى، كما أن التشابه في نتيجة هذا الإنكار، يسهم في تحقيق الترابط، فمن ينكر البعث بعد الموت يستحق العذاب وهذا ماقررته الآيات الواردة بعد الموضع الأول (ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾)، كما أن من ينكر الحساب بعد البعث يستحق العذاب كذلك (قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ

١ هذه المواضع مذكورة بتوسع وتفصيل في الفصل الثالث من الباب الثاني، تحت عنوان (ترتيب الخطاب).

٢سيد قطب: في ظلال القرآن، م٢، ص١٠٢٩.

﴿٥٥﴾)، لاسيما أن سورة الصافات سورة مكية، والمخاطبون في هذه الحقبة الزمنية، أكثرهم من المعاندين، والجاحدين والمنكرين للبعث.

ومن تكرار الجملة، ما ورد في تكرار قوله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ)، فنجد هذه الجملة جاءت في أربعة مواضع من السورة، مثلت نقاط ارتكاز مفهوم النجاة لعباد الله المخلصين سواءً من العذاب أو ما يؤدي إلى هذا العذاب. فلو قسمنا السورة إلى أربعة أجزاء، لوجدنا أن في كل جزء منها ترد هذه العبارة؛ مما يجعل هذه الحقيقة حاضرة في الذهن، حيث حقق التكرار تماسكاً ملحوظاً من خلال الربط الموضوعي بين أجزاء السورة.

ويتضح هذا النوع من التكرار في جمل اسمية عديدة، تكررت في قصص الأنبياء المذكورة في السورة مع اختلاف الخطاب في الآيات باختلاف المخاطَب، وذلك في قوله تعالى: (سَلَٰمٌ عَلَىٰ.....) و(إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)، و(إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ). تكررت هذه العبارات في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عليهم السلام جميعاً، حيث أفاد هذا التكرار سبكاً نصياً وترابطاً ملحوظاً بين الآيات في السورة، وقد جاءت بهذا الترتيب في قصصهم المذكورة باستثناء قصة إبراهيم عليه السلام[1]، إن تكرار (سَلَٰمٌ عَلَىٰ.....)يربط هذه الآيات بآخر السورة من خلال شبكة من الإحالات التكرارية، فجاءت الآيات في آخر السورة تؤكد على ما ذكر في أولها (وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ).

أما في تكرار (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) و (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ) تثبيت لعقيدة الإحسان التي هي أعلى مراتب الإيمان بل هو الإيمان الخالص الذي يرتقي إلى مرتبة الإحسان،و الذي يفسره قول النبي –

١ ذكرت جملة (إنا كذلك نجزي المحسنين) في قصة إبراهيم عليه السلام مرتين الأولى مؤكدة بـ(إن) بعد امتثاله لأمر الله بذبح ابنه (قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾)، والثانية جاءت على نفس ترتيب الآيات في القصص الأخرى ولكنها لم تؤكد بـ(إن) (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾)، والسبب في عدم تأكيدها بـ(إن) أنه قد سبق في هذه القصة ذكر (إن) "فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية "(**الزمخشري: الكشاف، ص ٩١٢**). أما السبب في تكرارها؛ خشية تناسي الأول لطول العهد به. (**السجلماسي: المنزع البديع، تحقيق علال الغازي، ص٤٧٧**).

صلى الله عليه وسلم- :"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[١]، وربط هذه القصص بعقيدة الإيمان التي جاءت السورة لتثبت دعائمها في النفوس.

إن هذا النوع من التكرار يؤكد على حقيقة واحدة وهي أن الرسل دعوتهم واحدة ونابعة من أصول إيمانية، وكل رسول لاقى من قومه الأذى فحقق بصبره وتوحيده وتقواه وإخلاص عبادته لله مرتبة الإحسان، ولذلك وصفهم بـ(العباد المؤمنين)، وأنهم كانوا من (المحسنين). وجاء الوصف بإضافة (نا) الدالة على الذات الإلهية إلى كلمة (عباد) في قوله تعالى: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) "تنويهاً بشأن الإيمان ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويقلع المشركون عن الشرك"[٢].

إن تكرار هذه العبارات أسهم في سبك السورة الذي كان له دور واضح في تماسكها، وذلك من جانبين:

الأول: ربط أول السورة بوسطها، من خلال قوله تعالى: (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ)، وتكرار قوله تعالى: (إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ).

الثاني: السلام الذي خص الله تعالى به الأنبياء مفصلاً في قصصهم الواردة في السورة، جاء مجملاً في آخرها (وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١)، ليربط وسط السورة بآخرها، فنتج عن هذا النوع من التكرار ربط أول السورة بوسطها، وربط وسطها بآخرها.

١أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له (٣٣/١) برقم: ٥٠. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ماهو وبيان خصاله (٣٣/١) برقم: ٥.

٢ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٣٤.

الباب الثاني

التماسك الدلالي في سورة الصافات

الفصل الأول:المناسبة

المبحث الأول: التناسب على مستوى السورة

المبحث الثاني: التناسب على مستوى آيات السورة

توطئة:

المناسبة في علم اللغة النصي مبحث يختص به القرآن الكريم والبحث في مقومات اللفظ في النظم القرآني، من حيث بلاغته ودلالته وموضعه، وارتباطه بما قبله أو مابعده سواءً كان مفرداً أم مركباً.

وبناءً على ما سبق فإن البحث في علم (المناسبة) يختلف عن البحث في علم (أسباب النزول)، لأن علم (أسباب النزول) يربط الآية أو المجموعة من الآيات بسياقها التاريخي، أما (علم المناسبة) فيبحث في أوجه التناسب والترابط بين الآيات والسور.

المناسبة لغة:

المناسبة هي: المشاكلة[١]. وزاد الزبيدي الأمر تفصيلاً، فقال: "ومن المجاز، المناسبة: المشاكلة، يقال بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل. وكذا قولهم لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة"[٢].

المناسبة اصطلاحاً:

للمناسبة في الاصطلاح تعريفات عديدة، فقد عرفها **الإمام السيوطي(ت٩١١هـ)**، بقوله: "ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"[٣]، فالمناسبة تتحقق عند السيوطي عن طريق معنى رابط بين الآيات وهذا الربط يتم من خلال مجموعة من العلاقات.

---

١ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (نسب)، ص١٣٧ / ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب)، ص٤٤٠٥.
٢ المرتضى الزبيدي: تاج العروس،تحقيق عبدالعليم الطحاوي، ط٢: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص٢٦٥.
٣ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ج٢، ص ٢١٢.

أما **الإمام البقاعي (ت٨٨٥هـ)** يقول في المناسبة: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"[١]، فجعل المناسبة علماً نصل من خلاله إلى أسباب ترتيب الآيات على نحو معين.

وقد أشار **حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)** إلى أن المناسبة تكون من خلال وضع الألفاظ والمعاني والأغراض إما بطريقة تحقق الملاءمة والتوافق بينهما، وسماها الوضع المؤثر، أو تكون من خلال وضع الألفاظ والمعاني والأغراض بطريقة تحقق التباين بحيث يكون الكلام متعلقاً بما يناقضه أو ينافره وسماه الوضع الذي لا يؤثر[٢].

إذن علم المناسبة يحقق الربط بين الآيات والسور من خلال جملة من العلاقات التي تحقق للنص تماسكاً ملحوظاً.

١ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص٦.

٢ حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، ص ١٥٣.

المبحث الأول: التناسب على مستوى السورة

أ- افتتاحية السورة بالقسم ومناسبتها لمحورها:

تبدأ سورة الصافات بالقسم (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١)، وكانت المناسبة للقسم بالملائكة نتيجة لما كان شائعٌ في ذلك الوقت من نسبة الملائكة إلى الله عزوجل وزعمهم بأن الملائكة بنات الله، فحقق القسم من خلال جوابه (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤) إعلان وحدانية الله ونفي المزاعم التي زعمها العرب في تلك الفينة بأن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله، "وكانت فاتحتها مناسبة لموضوعها الرئيس فالقسم بالملائكة مناسب لإثبات وحدانية الله؛ لأن الأصنام لم يدّعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هو الإله الحق "[١].

ب- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

تبدأ السورة بقسم، في جوابه (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤) إثبات الوحدانية لله تعالى، ونفي مزاعم المشركين بأن الملائكة إناث وهن بنات الله. وعندما نصل إلى نهاية السورة نجد أنها ختمت بقوله تعالى:(سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢). إذن، الآيات فيها تنزيه لله عزوجل عما قاله المشركون، وما وصفه به المكذبون في أول السورة، "ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال. كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص، قرن بينهما في هذا الموضع"[٢] لإبطال مزاعم المشركين ومعتقداتهم بأن الملائكة الذين أقسم الله بهم في أول السورة خلق من خلقه، وأن الله هو الخالق المالك المتصرف المستحق للعبادة.

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨٢.

٢ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، ج٦، ص٤٦.

ج- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ماقبلها:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه ثلاثة[١]:

أولاً: ختمت سورة (يس) ببيان قدرة الله الشاملة على كل من في السماوات والأرض وقدرته سبحانه على إحياء الموتى، وبعثهم بعد الموت، فجاءت سورة الصافات في بدايتها للقسم على وحدانية الله، وأن الإله القادر على التصرف في الخلق وإماتتهم وإحيائهم وبعثهم بعد الموت، هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

ثانياً: إن سورة الصافات فصلت ما أجمل في سورة (يس) من الإشارة إلى حال الأقوام السابقة المكذبة لرسلهم وإهلاكهم جميعاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾، حيث عرضت سورة الصافات حال بعض الأقوام ومآلهم نتيجة تكذيبهم.

ثالثاً: إن سورة الصافات فصلت ما أجمل في سورة (يس) من أحوال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، وأثبتت الوحدانية لله، والإيمان بالبعث الذي ختمت به سورة (يس)، ولذلك يذكر أبو حيان بأن "هذه السورة – أي الصافات- كالأعراف بعد الأنعام وكالشعراء بعد الفرقان"[٢].

د- المناسبة بين سورة الصافات وما بعدها:

سورة الصافات تحمل في مضمونها العام عقيدة الإيمان، وإرشاد ذوي العقول إلى الأدلة العقلية والنقلية التي تدل على أن الإله المستحق للعبادة هو الله وحده دون سواه، وتتطرق إلى أغلب أركان الإيمان في السورة وتناقش صورة شركية كانت سائدة في تلك العصور، فجاءت سور (ص) تتم الحديث عن عقيدة التوحيد المذكورة في سورة الصافات، فنجد في بداية السورة ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا....ۖ﴾، "وإذا حدثتنا سورة الصافات عن إلياس فإن سورة (ص) تذكر اسم خليفته اليسع، كما أن سورة الصافات فصلت في الآيات عن عباد الله المخلصين وحالهم ومآلهم ونعيمهم،

---

١ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٤٢-٣٤٣.

٢ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج٩، ص٨٩.

و ورد في سورة (ص) الحديث عن طريق هذا الإخلاص (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)، كما نجد تداخلاً بين السورتين يتضح عندما تحدثنا سورة الصافات عن الكافرين في معرض الكلام عن التوحيد، وسورة (ص) تحدثنا عن المتقين في سياق الإنذار"[١].

هـ- المناسبة بين مقاطع سورة الصافات ومحورها:

سورة الصافات من السور المكية التي تستهدف بناء العقيدة في النفوس وتخليصها من شوائب الشرك، "فالسورة تبدأ بالقسم، ومن جواب القسم نصل إلى موضوع السورة الرئيسي وهو وحدانية الله عزوجل"[٢]، ولذا نجد الموضوعات الفرعية في السورة تتجه إلى ترسيخ هذا المحور الرئيس.

تتألف سورة الصافات من مقدمة وأربعة مقاطع وخاتمة، تتناول في مجملها العقيدة الإيمانية وأركانها، التي لا نجد ركناً منها إلا وقد عرجت عليه بإجمال أو تفصيل. ويتضح التماسك من خلال ارتباط هذه المقاطع بالمحور العام للسورة. إن مقدمة السورة تعلن صراحة وحدانية الله عزوجل من خلال تحقيق أركان الإيمان وتثبيتها في النفس، فجاء المقطع الثاني مستفتحاً باستفتاء في صيغة استفهام إنكاري للوصول إلى حقيقة إيمانية أن البعث أمر لا شبهة فيه (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ۝١١)، وأن الله الذي خلق هذه العوالم العظيمة قادر على إعادة خلق الإنسان بعد أن أوجده من العدم. إن الإيمان باليوم الآخر يعد جسراً موصلاً إلى الإيمان بالله "فالسياق أشعرنا بأن مجرد معرفة أن الله هو الخالق لما ذكر في الآيات فهذا يقتضي إيماناً بالبعث"[٣].

يعقبه المقطع الثاني متمماً للمقطع الأول، حيث تناول جانباً من الجزاء الذي يلحق الكافر نتيجة كفره وشركه، والنعيم الذي ينعم به المؤمن نتيجة تصديقه وإيمانه. إن المحور الرئيس –كما ذكرنا سابقاً- هو التوحيد والمواضيع الأخرى كلها تتفرع عن هذا الأصل، ففصّل هذا المقطع وسابقه قضية البعث والجزاء والحساب. كما أشارت الآيات في معرض حديثها عن هذه القضية إلى الوحي والرسالة وأن ما جاء به النبي محمد –صلى الله عليه وسلم-

---

١ سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨، ص٤٧٥٥.

٢ نفسه، م٨، ص٤٦٧٩.

٣ نفسه، م٨، ص ٤٦٩٦.

حق وصدق، وذلك في قوله تعالى: (بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾)، ليتحقق ركنان من أركان الإيمان وهما الإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر.

وقد ضمنت الآيات في هذا المقطع إشارة واضحة إلى أن الإيمان بالبعث، والإيمان بالحق الذي جاء به الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم – والرسل السابقين قبله، من مستلزمات الإيمان والتوحيد في قوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)، فربطت هذه الآية القضيتين المذكورتين في المقطع بالمحور العام للسورة.

ختم هذا المقطع بتقرير مفاده أن دعوة الرسل واحدة وماجاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– حق ومصدقٌ لدعوة الرسل السابقين (بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾) ليبدأ المقطع التالي "بمقدمة انتقالية من التقرير إلى تمثيل كيفية كون دعوة الرسل واحدة"[١] ، (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴿٧٤﴾)، وتكررت في قصص الأنبياء آية تقرر أن الرسل عليهم السلام من عباد الله المؤمنين (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)، فالأنبياء كلهم مؤمنون موحدون وجاؤا بدعوة الحق من عند الله عزوجل، وما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– مصدقاً لما دعى إليه الرسل قبله.

كما ذكرت السورة ست قصص لستة رسل مع أقوامهم، والسبب الواضح في اختيارهم "أن في كل قصة خاصية لها شبه بحال الرسول –صلى الله عليه وسلم– مع قومه...، وقد اختير هؤلاء الرسل الستة لأن نوحاً القدوة الأولى، وإبراهيم هو رسول الملة الحنيفية،وموسى لشبه شريعته بالشريعة الإسلامية في التفصيل والجمع بين المال والسلطان، فهؤلاء الرسل الثلاثة أصول، ثم ذكر ثلاثة رسل تفرعوا عنهم، وثلاثتهم على ملة من قبلهم، فأما لوط فهو على مل إبراهيم، و أما إلياس ويونس فعلى ملة موسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين"[٢]، وقصص الأنبياء المذكورة في الآيات ترتبط في مجملها بعقيدة الإيمان من ناحيتين:

---

١ سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨، ص٤٧٠٩.

٢ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٧٧-٣٧٨.

- الأول: كون الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان، هذا الأمر يستوجب علينا الإيمان بهم جميعاً بما جاؤا به وأنه الحق من عند الله، بل إن دعوة رسولنا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- حقٌ وصدقٌ من عند الله وتصديقاً للرسل جميعاً.
- الثاني: أن السورة في محورها العام تناولت قضية توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده، والإخلاص له في السر والعلن، هذه العقيدة ترسخت في نفوس الأنبياء عليهم السلام جميعاً، فاستفتح المقطع بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ۝٧٤﴾، كما أن العذاب لحق أقوام الرسل إلا الموحدين منهم المخلصين لله في عبادتهم، وهذا يرتبط بالإيمان بالله.

أما المقطع الأخير الذي هو خاتمة السورة فبدأ باستفتاء وختم بتعزيز. جاء الاستفتاء لمناقشة المشركين في عقائدهم، فجعلوا لله ولداً ووصفوا الملائكة بالأنوثة ونسبوهم لله تعالى، وهذه الأفعال الشركية تخل بعقيدة التوحيد التي هي محور السورة العام، ولذا جاء الاستفتاء في صورة استفهام إنكاري أي إنكار هذا الفعل الشنيع المناقض للتوحيد وعقيدة الإيمان الصحيحة، "كما أن استفتاح هذه الخاتمة بالاستفتاء في طلب الرد على من نسب الولد لله عزوجل، يشابه الاستفتاء المذكور في أول السورة لطلب الرد من منكري البعث من حيث اتحاد الجملتين في السائل والمسؤول والأمر"[١].

يتلو هذا الاستفتاء تقرير لقضية التوحيد الكبرى التي أثبتها جواب القسم في أول السورة ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ۝٤﴾، والتأكيد على ما مر في السورة من معانٍ من خلال "الاستعانة بالأدلة العقلية والمنهجية للوصول إلى حقيقة التوحيد وتنزيه ذات الله عزوجل عن كل نقص، واستحقاقه للثناء والعبادة، وهذا هو مقتضى محور السورة العام الداعي للتوحيد والإيمان"[٢].

فكانت الخاتمة تؤكد على أهم القضايا الواردة في السورة من التعريف بالله، وتوحيده، وتنزيهه عن الولد، وإثبات أن الملائكة من خلق الله ليسوا إناثاً، ونفي نسبتهم إلى الله عزوجل، وأن الغلبة للحق، وما جاء به الرسل

١ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٣، ص١٤٩.
٢ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٤٢٥.

جميعاً هو هذا الحق، وتوجيه أصحاب العقول والأبصار إلى الطريق الصحيح للوصول إلى هذه الحقائق الإيمانية وتثبيت العقيدة الصحيحة في النفس.

المبحث الثاني: التناسب على مستوى آيات السورة

عرضت سورة الصافات قضايا وموضوعات عديدة، هذه الموضوعات ترابطت فيما بينها ترابطاً يبرز المحور العام للسورة. جاء المقطع الأول مبدوءاً بالقسم لإعلان وحدانية الله (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ). أما المقطع الثاني جاء على صورة الاستفهام الإنكاري (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١)؛ لإثبات المعاد والحشر والنشر والقيامة. وفي المقطع الثالث ذكرت الآيات جزاء المشركين والمؤمنين وأسباب استحقاقهم لهذا الجزاء، وفي الآيات إثبات للجزاء والحساب بعد البعث من خلال عرض صور نعيم المؤمنين، وعذاب المشركين تحقيقاً لقانون العدل الإلهي (الجزاء من جنس العمل).

ويستطرد المقطع الثالث في عرض قصص المنذرَين من قوم نوح وإبراهيم وموسى ولوط وإلياس ويونس عليهم السلام، ويبين حال المنذرَين المكذبين وحال المؤمنين، وشتان بين الحالين!

وفي ختام السورة تفصل الآيات الحديث عن افتراءات المشركين في نسبة الجن والملائكة إلى الله، يعقبها تنزيه الله عزوجل عما نسبه المشركون، والتقرير بتحقق وعد الله بأن الغلبة للحق الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام.

تناول المقطع الأول من السورة الحديث عن إثبات وجود الله وحكمته وعظمته التي تتجلى في خلق السماوات والأرض وما بينهما، مما يدل على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة. هذه الأدلة الكونية تصل بنا إلى قضية البعث التي أنكرها المشركون وهذا ما بدأ به المقطع الثاني (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١)، فجاء الاستفتاء بصيغة الاستفهام الإنكاري للرد على منكري البعث وإرشادهم إلى الأدلة العقلية التي تثبت حقيقة البعث بعد الموت، كما أن خلق العوالم المختلفة أعظم من خلق الإنسان، فكيف بإعادة خلقه فهو أهون وأيسر من الخلق الأول، وكلاهما هيّن على الله[1].

١نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٥٣.

يعقبه المقطع الثالث في قوله تعالى: (ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢)، فبعد أن أثبتت الآيات السابقة وجود الله بالأدلة العقلية والنقلية، وإثبات قدرة الله على البعث وإعادة الخلق بعد الموت، عرضت موقف المشركين واستنكارهم المستمر لهذه الحقيقة الإيمانية، ثم انتقل المشهد مباشرة من الإنذار بالبعث إلى يوم البعث ،النفخ، ثم الحشر، في مشهد مهيب، فينقلب الاستنكار والسخرية من الآيات في الدنيا إلى ذلة واستسلاماً في الآخرة، لينتهي المقطع بوقوع العذاب على المشركين نتيجة كفرهم وعنادهم. أما عباد الله المخلَصين فقد نجوا من هذا العذاب (إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠).

إن من خاصية الأسلوب القرآني المقابلة بين المعاني، لذا جاء في مقابل العذاب الأليم النعيم المقيم الذي أعده الله لعباده المخلصين، يقول الرازي: "اعلم أنه تعالى لما وصف أحوال المتكبرين عن قبول التوحيد المصرين على إنكار النبوة أردفه بذكر حال المخلَصين في كيفية العذاب..، ولأن الحكم يقتضي الأمر بالحسن والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والأمر والنهي لا يكمل المقصود منهما إلا بالترغيب في الثواب والترهيب بالعقاب، وإذا وقع الإخبار عنه وجب تحقيقه صوناً للكلام عن الكذب، فلهذا السبب وقعوا في العذاب، ثم قال: (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠)"[١]، يقول البقاعي:"فلما خلصهم منهم ذكر مآلهم فجاء الربط بين المقطعين بـ(أولئك)، فهم العالي قدرهم حين صفوا نفوسهم عن أكدار الأهوية"[٢].

وبعد هذا الوصف لنعيم أهل الجنة يبدأ المقطع التالي بأسلوب استفهامي للتنفير من ضده (أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ)، ويجري هذا التعقيب القرآني ليظهر التمييز بين نعيم المؤمن وجزاء الكافر، وكما تنوعت ألوان نعيم المؤمنين في الجنة تتنوع ألوان العذاب في الجحيم"[٣]، واختتم هذا المقطع بقوله تعالى: (وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ

١ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٦-١٣٧.

٢ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١٦، ص٢٢٩.

٣ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٧٢١.

أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٧١ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ۝٧٢فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ۝٧٣ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٧٤).

فالمشركون في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم –لهم مثيل من الأقوام السابقة، أرسل الله لهم رسلاً ينذرونهم فكذبوهم إلا المخلَصين منهم. فكان ختام هذا المقطع جسراً نقل السياق من التقرير في الآيات السابقة إلى التمثيل لقصص الرسل السابقين[١]. يقول ابن كثير: "لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلّوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً"[٢]. هذا التفصيل يتضمن ما ورد في قصص هؤلاء الأنبياء من سوء عاقبة بعض المنذَرين، كقوم نوح عليه السلام، ويعقب بصورة أخرى فيها بيان حسن عاقبة بعضهم ممن أخلص دينه لله كقوم يونس عليه السلام[٣].

في ختام السورة يتكرر طلب الاستفتاء لمناقشة عقائد المشركين، وزعمهم أن لله تعالى ولداً، ووصفهم الملائكة بالأنوثة، ونسبتهم إليه سبحانه. فهذه الشركيات تخل بعقيدة الإيمان التي هي موضوع السورة، فانقسم المنذرون إلى قسمين: الأول كفر و كذب، والثاني آمن وصدق، "فكانت هذه القصص في مجملها توطئة لمناقشة المشركين في افتراءاتهم الباطلة، فلما انتهى من الحديث عن الرسل الكرام رجع إلى الحديث عن المكذبين من كفار مكة، فكان في استفتاح الخطاب لهم خير مثال لقريش، أنهم إن آمنوا كما آمن قوم يونس أمنوا من عذاب الله تعالى، كما جرى لهؤلاء. ومن هنا حسن انتقال القول، والمحاورة إليهم بقوله: (فاستفتهم) [٤]".

---

١ سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨، ص٤٧٠٩.

٢ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٢٢.

٣ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٧٧.

٤ نفسه، م٦، ص٤٢٠.

الفصل الثاني: العلاقات الدلالية

المبحث الأول: الإجمال والتفصيل.

المبحث الثاني: الاستبدال.

المبحث الثالث: الفصل والوصل.

المبحث الرابع: الإطلاق والتقييد

توطئة:

تمثل العلاقات الدلالية أهمية كبرى في لسانيات النص، إذ يتم التركيز عليها في البحث النصي؛ كعنصر من العناصر التي تحقق للنص تماسكه وانسجامه في المستوى الدلالي الذي يتعدى حدود المظاهر الشكلية للنص. وهذه العلاقات "لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية و الشفافية، مستهدفاً تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكاً في ذلك بناء اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه"[١]. وتختلف تلك العلاقات باختلاف النص الخاضع للدراسة، فسورة الصافات تزخر بأربع علاقات دلالية كانت هي الأبرز في تحقيق الترابط بين أجزاء السورة. وهذه العلاقات هي: الإجمال والتفصيل، والاستبدال، والفصل والوصل، والإطلاق والتقييد.

١ محمد خطابي: لسانيات النص، ص٢٦٩.

المبحث الأول: الإجمال والتفصيل

إن علاقة الإجمال والتفصيل من العلاقات الدلالية الشديدة الصلة بالتماسك النصي، فهي تحمل الإحالة القبلية لأنها تقوم بشرح ماسبق إجماله، والعلاقة بين المجمل والمفصل تكون عبر مستويات عديدة، وهذا ما سنتناوله في هذه الدراسة، وهذه العلاقات كالآتي:

١- العلاقة بين اسم السورة والسورة.
٢- العلاقة بين الآية والآيات المجاورة لها في نفس السورة.
٣- العلاقة بين الآية والآيات غير المتجاورة معها في نفس السورة.

وأولى هذه المستويات هي العلاقة بين ما ذكر مجملاً في عنوان السورة وما جاء مفصلاً في السورة بعد ذلك. تحمل السورة عنوان (الصافات)، "والصافات، جمع صافّة، وهي الطائفة المصطف بعضها إلى بعض"[١]، فالمعنى مبهم وغير محدد، فمن هي هذه الطائفة، وماصفاتها ؟

١. إن الآيات في السورة فصلت في معنى الصافات، فجاء في أول السورة (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣)[٢]، "قال قتادة الصافات: الملائكة صفوف في السماء، وقال السدي وغيره (فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا): أنها تزجر السحاب، وقال الربيع بن أنس: مازجر الله عنه في القرآن. (فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا) قال السدي: الملائكة يجيئون بالكتاب، والقرآن من عند الله إلى الناس، وهذه الآية كقوله تعالى: (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ۝٥ عُذْراً أَوْ نُذْراً ۝٦)[٣]"[٤]، فالأوصاف الواردة في أول السورة تؤكد أنها

---

١ ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨٤.

٢ يرى أكثر أهل العلم أن المراد بالصافات هنا والزاجرات والتاليات : جماعات الملائكة، ومما يؤيد هذا القول ما جاء في صحيح مسلم، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –أنه قال: (فضلنا على الناس بثلاث، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت لنا تربتها طهوراً إذا لم نجد الماء).

٣سورة المرسلات:٥-٦.

٤ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، ج٧، ص ٥-٦.

للملائكة[١]، وما جاء في سورة المرسلات يعضد هذا القول. ولأن السورة تعالج صورة معينة من صور الشرك وهي القول بأن الملائكة بنات الله، فإن المعنى في الصافات يرجع إلى هذه الطائفة التي ركزت الآيات على دحض أقوال المشركين في وصفهم، وإثبات أنهم خلق من خلق الله، وجدوا لعبادته، وهذا ما تؤكده نهاية السورة (وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾) ففسرت آيات سورة الصافات معنى الصافات وأوصافهم لتحقق ربطاً واضحاً بين عنوان السورة وآياتها كلها.

أما المستوى الثاني والثالث وهو العلاقة بين الآية والآيات المتجاورة ، أوبين الآية والآيات غير المتجاورة في السورة فنلحظه من خلال دلالة اللفظ المجمل في النكرة والمعرف بأل والمضاف، وكذلك الإجمال في جملة تامة.

وأولى هذه الدلالات ما جاء نكرة مجملاً، حيث فصل أحد الباحثين في دلالة الإجمال في النكرة، يقول في ذلك: "وعلى وفق مفهوم النكرة يمكن التأسيس على أنها تمثل المطلق بعينه؛ لأنها تدل على ماهية شائعة بين أبناء جنسها، وهذه الماهية تدل على واحدة من الماهيات لا بعينها، غير أن من النكرة في سياق الإثبات ماتأتي مجملة أيضاً، وذلك تحديداً في الألفاظ التي لا تدل على ماهية من الماهيات التي لا يمكن تجزؤها، فما قبل من النكرات التجزؤ كان مطلقاً وما لم يكن خاضعاً للتجزؤ؛ بل هو من أسماء كان مجملاً، أو هو أقرب إلى القول بإجماله من القول بإطلاقه؛ لأنه يكون أشد إبهاماً من النكرة المطلقة،...وأحترِز في القول بسياق الإثبات؛ لئلا تلتبس بالنكرة التي تفيد العموم التي ترد بعد النفي"[٢].

---

١ والعطف بالفاء يؤكد أن هذه الصفات لموصوف واحد. إن هذه الآيات تحمل ثلاث صفات للملائكة تؤكد عبوديتها لله وحده، وكانت دلالة الفاء المحور الأساسي الذي ارتكزت عليه آراء المفسرين لبيان دلالات الآيات المباركة. ابن عاشور يرى أن عطف الصفات بالفاء يقتضي أن تلك الصفات ثابتة لموصوف واحد باعتبار جهة ترجع إليها وحدته، وهذا الموصوف هو هذه الطوائف من الملائكة **(ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ٨٣)**.

أما الزمخشري في الكشاف فيرى أن الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات إما أنها تدل على ترتب الصفات في التفاضل إن دلت على موصوف واحد، أو تدل على ترتب هذه الموصوفات في الفضل إن تعددت الموصوفات.**(الزمخشري: الكشاف، ص٩٠٢)**.

٢ سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي:الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني (دراسة في الدلالة القرآنية)، رسالة دكتوراة، إشراف: عبد الكاظم محسن الياسري، جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص٥٦.

ومن أمثلة النكرة (المجملة) في سياق الإثبات، قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ "أخبرالله تعالى في الآيات السابقة أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب"[١] ، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾، فهذه الكواكب تكون زينة، ولكن من الكواكب مايكون للحفظ، فجاءت (حفظاً) نكرة مجملة، فسرتها الآيات المجاورة لها مباشرة، فالحفظ يكون (مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ)، وفي كيفية الحفظ وحاله (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ)، وفي نوعية الكواكب التي تكون لحفظ السماء فهي ليست نفسها التي تكون للزينة، وهذا ما بينته الآيات (فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠).

إن الإجمال في كلمة (حفظاً)، يدفع القارئ إلى رسم صور عديدة لكيفية الحفظ، ونوع الكواكب التي تكون للحفظ، ومن خلال ما ورد من تفصيل في الآيات يستطيع الوقوف على صورة واحدة نستطيع الوصول لها من خلال آيات عديدة.

أما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١﴾ "فالرزق: الطعام، والمعلوم: الذي لا يتخلف عن ميعاده ولا ينتظره أهله"[٢]، وقد جاءت النكرة موصوفة،ولكن يبقى الرزق مجملاً، فلم تتضح ماهية الطعام ولا تفصيلاته، لتأتي الآية التالية فتوضح ذلك وتفصله ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢﴾، حيث فسرت الآيات "الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل مايتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة، يعني ذلك أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات "[٣]، كما تصف الآية لحظة اكتمال النعيم لعباد الله المخلصين بإكرام الله لهم، فتتحقق لهم الكرامة المادية أوالمعنوية "ففي أثناء وصف ما أعده الله لهم من النعيم الجسماني أن لهم نعيم الكرامة وهو أهم لأن به انتعاش النفس

١ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة ، ج٧، ص٦.

٢ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١١١.

٣ الزمخشري: الكشاف، ص٩٠٥.

مع ما في ذلك من خلوص النعمة مما يكدرها"[١]. وتعد قضية الحساب والجزاء، من القضايا الإيمانية في السورة – كونها من السور المكية– لأنها تأتي تالية للبعث بعد الموت، وكلٌّ يحاسب بعمله، أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، فكان في آيات نعيم أهل الجنة تفصيل لما أجملته الآيات عن رزقهم، وتحقيق للإيمان بالبعث والحساب والجزاء.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢) فالمنذِرون هم الأنبياء ينذرون أقوامهم ويحذرونهم من عاقبة كفرهم وتكذيبهم، ولكن كلمة (منذِرين) مجملة مبهمة فلم يتضح من هم المنذِرون، وما حالهم مع أقوامهم، فجاء تفصيل ذلك في آيات متتابعة على هيئة قصص للأنبياء الذين تعنيهم كلمة (منذرين)، ويمكن التمثيل لهذه العلاقة التفصيلية على هذا النحو:

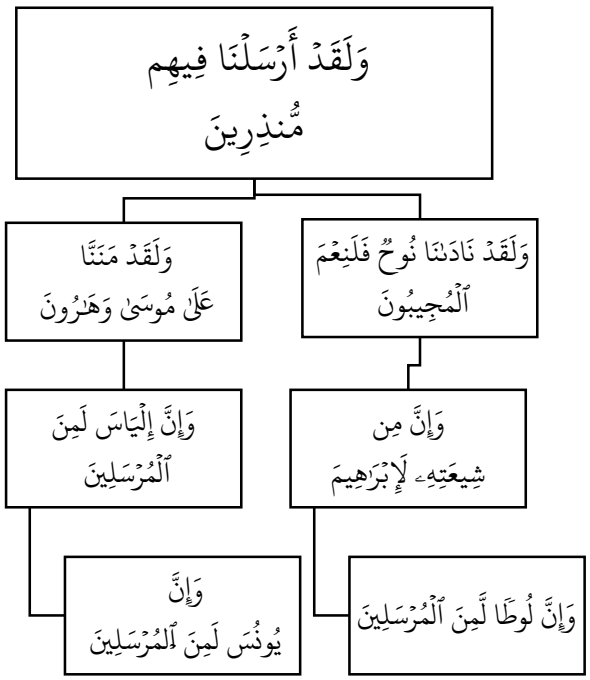

حيث تعد كلمة (المنذِرين) بمثابة الجذر الذي تفرعت منه قصص الأنبياء، فكشفت عن الإبهام في (المنذِرين)، "واختير هؤلاء الرسل الستة: لأن نوحاً القدوة الأولى، وإبراهيم هو رسول الملة الحنيفية التي هي نواة الشجرة

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١١٢.

الطيبة شجرة الإسلام، وموسى لشبه شريعته بالشريعة الإسلامية في التفصل والجمع بين الدين والسلطان، فهؤلاء الرسل الثلاثة أصول. ثم ذكر ثلاثة رسل تفرعوا عنهم وثلاثتهم على ملة رسل قبلهم. فأما لوط فهو على ملة إبراهيم، وأما إلياس ويونس فعلى ملة موسى"[١]، فيظهر لمن يقرأ الآيات أن قصة كل نبي تبدو منقطعة عن الأخرى، ولكنها في الحقيقة متعالقة ومترابطة.

إن بناء السورة جاء وفقاً لمحددات تفصيلية لهؤلاء الأنبياء المنذرين، بما ينسجم مع ما تدعو إليه السورة من تصحيح العقيدة،و تثبيتها في النفوس من خلال دعوة الرسل عليهم السلام.

أما دلالة الإجمال في المعرف بالإضافة نجده في قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢﴾، نجد في الآية مضافاً معرفاً بالإضافة، وهو (شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ)، فعلى الرغم من إضافة (شجرة) إلى (الزقوم) واكتساب الاسم للتعريف إلا أنه يبقى غامض الدلالة في النص [٢]، "فتصدي القرآن لوصفها هنا يقتضي أنها ليست معروفة عندهم (أي قريش) فذكرها مجملة في سورة الواقعة فلما قالوا ما قالوا فصّل أوصافها هنا بهذه الآية وفي سورة الدخان بقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦﴾"[٣]. وجاء تفصيلها هنا في الآيات التالية تباعاً: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبَا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾، لتكتمل الصورة وتتضح عن هذه الشجرة وحال من يأكل منها.

ومما جاء مجملاً مضافاً، قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢﴾، فنجد في كلمة (إِفۡكِهِمۡ) إجمال مبهم؛ لأن الإفك بمعناه العام الكذب، ولكن لم يتضح أي كذب ظهر من

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٣٠.

٢ قال الواحدي رحمه الله: "لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيراً إلا الكلبي، فإنه روى أنه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعري: أكثر الله في بيوتكم الزقوم، فإن أهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم، فقال أبو جهل لجاريته: زقمينا، فأتت بزبد وتمر، وقال: تزقموا. ثم قال الواحدي: ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم هاهنا الزبد والتمر"مفاتيح الغيب: الرازي، ج٢٦، ص١٤١.

٣ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٣.

هؤلاء المشركين، فجاءت الآية التالية توضح ما أبهم وتفصل ما أجمل، يقول الله تعالى في معنى الإفك (وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥١﴾)،يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي من كذبهم ليقولون: ولد الله، أي: صدر منه الولد، (وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ)، فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، فأولاً جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولداً، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله، وكل منها كافٍ في التخليد في نار جهنم"[١].

إن تفسير ابن كثير للآية يعضد القول بأن هذه الآيةجاءت تفصيلاً لما أجمل في (إفكهم)، كما أنها أسهمت في ترابط السورة من خلال القسم بالصافات الوارد في أول السورة، والذي يؤكد على أن الملائكة خلق من خلق الله، أوجدهم الله لعبادته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. فجاءت نهاية السورة لتؤكد أن ما اعتقده الكفار إفك وباطل لا دليل له، فكان لتفصيل هذا الإفك دور واضح في الربط بين أول السورة وآخرها.

وتتحقق دلالة الإجمال في المعرف بأل، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾)، حيث انطوت الآية على معرف بأل ولكنه مجمل وهو (الكرب)، "والكرب: الحزن الشديد والغم، ووصفه بالعظيم لإفادة أنه عظيم في نوعه، فهو غم على غم"[٢]، ففسرت الآيات معنى الكرب العظيم في نهاية القصة، حين ذكرت مآل قوم نوح عليه السلام حين وقع عليهم العذاب جزاء كفرهم وتكذيبهم (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾).

ولكن، يبقى السؤال، لماذا وصفت الآيات العذاب الذي حلّ بقوم نوح عليه السلام أنه (كرب عظيم)، وجاء مجملاً،ولم تصرح الآيات مباشرة بنوع العذاب؟

لقد حقق الإجمال معنى الاصطفاء لعباد الله المخلصين، وأن الله ينجي المؤمن من الغم والحزن والكرب بقدر ما في قلبه من الإيمان والصدق وإخلاص العبادة لله، ولهذا فإن الآيات لم تبين معنى الكرب العظيم مباشرة وإنما جاءت

---

١ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٧،ص٤٢.

٢ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٣١.

بعد قوله تعالى: (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) لتؤكد على أن النجاة كانت بسبب الإيمان، ويتحقق وعد الله بأن دعوة الحق هي الباقية، وما عداها فباطل وزائل.

وقد يقع الإجمال في نطاق الجملة، فنجد في تركيب الجملة إجمالاً يعتريه الإبهام فيدخل المتلقي في مرحلة التردد لتحديد المعنى، فتتعدد في ذهنه الدلالات، ولا يثبت المراد إلا من خلال ما يدل على تفصيل هذا التركيب المجمل. من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾)، حيث أجملت الآيات ما أنعم الله به على موسى وهارون عليهما السلام، من إيصال المنافع الواردة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ)، ودفع المضار عنهما الوارد في قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ)، حيث فصلت الآيات في أقسام المنّة التي أجملت في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا)، يقو الرازي في تفسير هذه الآية: "واعلم أنه تعالى لما ذكر أنه منّ على موسى وهارون، فصل أقسام تلك المنة والهاء في قوله: (وَنَصَرْنَٰهُمْ)، أي نصرنا موسى وهارون وقومهما (فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ)،....وثانيهما (وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ) ، والمراد منه التوراة ، وثالثهما (وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) أي دللناهما على طريق الحق عقلاً و سمعاً، وأمددناهما بالتوفيق والعصمة...، ورابعهما، قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ)، وفيه قولان: الأول أن المراد (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ) وهم أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – قولهم (سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ). والثاني أن المراد (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ) وهم أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – الثناء الحسن والذكر الجميل....، ولما ذكر تعالى هذه الأقسام الأربعة من أبواب التعظيم والتفضيل، قال: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) ...، ثم قال: (إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)، والمقصود التنبيه على أن الفضيلة الحاصلة بسبب الإيمان أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل، ولولا ذلك لما حسن ختم

فضائل موسى وهارون بكونهما مؤمنين"[١]، إن مثل هذه الحكاية عن موسى وهارون -عليهما السلام- تتطلب إجمالاً ثم تفصيلاً لتحقيق معنى الاصطفاء والتفضيل لأنبياء الله -عليهم السلام- ، وأن هذا الفضل حاصل لهم بسبب الإيمان الصحيح، والعقيدة السليمة. وفي التفصيل ربط واضح لما تدعو إليه السورة في سياقها العام "من خلال الإشارة إلى وحدة الرسالات، وأن النجاة لعباد الله المخلصين من العذاب في الدنيا والآخرة، كما أن الإيمان أصل كل حسن وخير "[٢].

١ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٦٠.

٢سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨، ص ٤٧٢٧.

المبحث الثاني: الاستبدال

هو وسيلة من وسائل التماسك الدلالي في النص "ويتم بواسطة تعويض كلمة بكلمة أخرى تتقاطع معها في المعنى"[١]، وتقوم العلاقة الاستبدالية على الاحتفاظ بجزء من المعلومة في مقطع نصي سابق وإدراجها في وضع جديد وبصيغة جديدة، ولكن يبقى السؤال: كيف يسهم الاستبدال في تماسك النص ؟

يجيب عن هذا التساؤل محمد خطابي فيرى أن العلاقة القبلية بين عنصر في النص وعنصر سابق يحقق استمرارية المعنى في النص، أما هاليداي ورقية حسن فيريان أنه ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص[٢].

ويشير (هاليداي ورقية حسن Halliday and Ruqaiya Hasan) إلى أن الاستبدال يلتقي مع ظاهرتي الحذف و الإحالة، فالعلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التضمين، فالاستبدال يتضمن الحذف، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلاً من أشكال الاستبدال، حيث يكون الاستبدال بالصفر [٣]. فالفرق بين الاستبدال والحذف يكمن في أن المحذوف لا يمكن تقديره من خلال عنصر مذكور في النص ولهذا يكون استبدال بالصفر، أما الاستبدال فهو علاقة بين عنصر في النص وعنصر سابق موجود في النص فيكون المستبدل به يحتاج إلى توضيح من خلال العنصر المستبدل منه.

كما يشيران إلى أن الفرق بين الاستبدال والإحالة، أن الاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أي بين الكلمات والعبارات، بينما الإحالة علاقة بين المعاني على المستوى الدلالي[٤].

ولكننا في هذه الدراسة مع رأي محمد الشاوش الذي يقول فيه: "إن الفصل بين هاتين الظاهرتين فصل يشوبه نوع من الاضطراب حيث لا موجب له،فالإحالة عماد لغوي وإن كانت ظاهرة تتعلق بالدلالة، والاستبدال

١محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٩.

٢نفسه، ص٢١-٢٠.

٣عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص١١٣.

٤نفسه، ص١١٣.

محكوم بقواعد دلالية معنوية وإن كانت ظاهرة تتعلق بالنحو والوحدات المعجمية "[١] ، وإنما تختص الإحالة بوجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه [٢]، في حين أن الاستبدال لايشترط ذلك.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع[٣]:

١- الاستبدال الاسمي: يتم بتعويض اسم لاسم آخر، وتعبر عنه كلمات مثل: واحد، نفس، ذات.
٢- الاستبدل الفعلي: ويعبر عنه بالفعل (يفعل)، حيث يأتي إضماراً لفعل معين فيحافظ على استمرارية محتوى ذلك الفعل. ويستخدم الاستبدال الفعلي بصورة أكثر في المحادثة عنه في الخطاب المكتوب.
٣- الاستبدال القولي: وهذا النوع من الاستبدال ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة، ولكن لجملة بكاملها ويختص باستبدال كلمة واحدة لجملة كاملة، وفي هذا الحال تقع أولاً جملة الاستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة.

الاستبدال في سورة الصافات:

يمثل الاستبدال ملمحاً من ملامح تماسك النص القرآني، فجاء في سورة الصافات بصورة الاستبدال القولي.

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: (قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴿١٨﴾)، فكلمة (نعم) في الآية استبدلت بجملة سابقة كان من المفترض أن تذكر وهي (تبعثون بعد أن تموتوا وتكونوا تراباً وعظاماً)، وهذا المعنى ورد في الآيات السابقة (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴿١٦﴾) "وإنما اكتفى تعالى بهذا القدر من الجواب؛ لأنه ذكر في الآيات المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي أنه أمر ممكن، وإذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل إلى القطع بالوقوع إلا بإخبار المخبر المصدق، فلما قامت المعجزات على صدق محمد – صلى الله عليه وسلم – كان واجب الصدق فكان مجرد قوله (قل نعم) دليلاً قاطعاً على الوقوع"[٤]، فحقق ربطاً بين الآيات، لأن من يبدأ في قراءة قوله تعالى:(قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ

١محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، ج١، ص١٣٢.
٢محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٧.
٣ عزة شبل محمد: علم لغة النص، ص ١١٤،١١٥.
٤ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٢٨.

دَٰخِرُونَ۝١٨) ، لا يستطيع إدراك المعنى إلا من خلال الرجوع إلى الآيات السابقة وهذا ماذكره الرازي في مفاتيح الغيب.

وفي موضع آخر من السورة يرد الاستبدال في قوله تعالى: (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٤)، فلفظ (المجرمين) تحمل معنى الكافر "لأن لفظ المجرم المطلق مختص في القرآن بالكافر"[١]، وهذا الكافر جاءت الإشارة إليه في آيات سابقة لها وفي آيات لاحقة، ولكن مايحقق الاستبدال ما ورد في قوله تعالى: (ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢)، فجاء ذكر (الذين ظلموا..) "الظالم المطلق هو الكافر"[٢]، حيث أسهم الاستبدال في الربط بين الآيات من بداية موقف الحشر مروراً بتصوير موقف العتاب واللوم بين الأتباع والمتبوعين،وصولاً إلى استحقاقهم للعذاب جزاء كفرهم. فكلمة (المجرمين) تجعل القارئ لهذه الآيات يرجع إلى الآيات السابقة كلها ليعرف سبب استحقاقه لهذا العذاب وذلك الوصف.

أما في قوله تعالى: (قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ۝٥١)، فقد جاء في تفسير هذه الآية "أي قائل من أهل الجنة"[٣]، هذا التفسير لمعنى (قائل)جاء من خلال الاستبدال القولي لهذا اللفظ الوارد في الآيات السابقة، التي عرضت نعيم الجنة لعباد الله المخلصين (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ۝٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣.....)، ففي كلمة (قائل) إبهام لا يتضح إلا من خلال الرجوع إلى الآيات السابقة التي توضح من هو هذا القائل وما سبب قوله، وهذا ماذكره الرازي في تفسير الآية، يقول في ذلك: "اعلم أنه تعالى كما ذكر في أهل الجنة أنهم يتساءلون عند الاجتماع على شرب خمر الجنة فإن محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الأمور اللذيذة، وتذكر الخلاص عند اجتماع أسباب الهلاك من الأمور اللذيذة"[٤]، فأحدث الاستبدال تماسكاً بين آيات عديدة من خلال ربط لفظ (قائل) بأنه من أهل الجنة، وأن هذا القول من كمال تحقق النعيم المعنوي لأهل الجنة.

١الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٥.

٢ نفسه، ج٢٦، ص١٣١.

٣نفسه، ج ٢٦، ص ١٣٩.

٤نفسه، ج٢٦، ص١٣٨-١٣٩.

وفي قوله تعالى: (فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣) "فالمنذَرون هم الذين أُرسل إليهم المنذِرون، أي هم الضالون المعبر عنهم بأكثر الأولين"[١]، فجاء لفظ (المنذَرِين) ليدل على ما ذكرته الآيات السابقة (وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١)، وبالتحديد (أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)، فقد أخبرت الآية أن أكثر الأولين قد ضلوا، والمعنى "قد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم،..... فتأمل وتبين كيف كان –حال– الذين أنذرتهم أنبياؤنا وإلامَ صار أمرهم"[٢]. فجاء لفظ (المنذَرين) ليعبر عن أكثر الأولين، مناسباً لقوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢) فالمنذِر لابد أن يكون له من ينذره وهم أكثر الأولين، فتتحق بذلك دعوة الرسل الذين أنذروا أقوامهم فلم ينتهوا عن شركهم، فكان عقوبتهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.

أما في قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢) تجلت فيها صور التماسك النصي سواء اللفظية أو الدلالية مما حقق في النص ترابطاً ملحوظاً. ومن تلك الصور الاستبدال الوارد في قوله تعالى: (قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ) حيث حل الفعل (تؤمر) محل عبارة مقدرة دلالياً وهي (من أمر ذبحي) حيث حقق استبدال العبارة السابقة بالفعل (تؤمر) "الجمع بين الإذن وتعليله، أي أذنت لك أن تذبحني لأن الله أمرك بذلك،..... كما أن في التعبير عن الذبح بالموصول وهو(ماتؤمر) دون أن يقول: اذبحني، يفيد وحده إيماء إلى السبب الذي جعل جوابة امتثالاً لذبحه"[٣]، فكان للاستبدال دور في ربط هذه الآية بموضوع السورة الرئيس وهو الإيمان بالله وتوحيده، كما حقق الفعل المستبدل به معنى الرضى واليقين والطاعة الكاملة والاستسلام التام لله عزوجل.

ومن مواضع الاستبدال التي يتجلى فيها الربط بشكل واضح، قوله تعالى: (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤)، فالمقام المعلوم لا يمكن تفسيره ومعرفة معناه إلا من خلال الرجوع إلى الآيات السابقة "ما من أحد منا

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٩.

٢ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٩، ص٥٥٨.

٣ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٥١.

معشر المؤمنين إلا له صفة وعمل نحو خالقه لا يستزله عنه شيء ولا تروج عليه فيه الوساوس فلا تطمعوا أن تزِلونا عن عبادة ربنا.. فالمقام هو صفة العبودية لله بقرينة وقوع هذه الجملة عقب قوله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾)"[1]

١ابن عاشور:التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٩٢.

المبحث الثالث: الفصل والوصل

الفصل والوصل من العلاقات التي تحقق تماسكاً دلالياً في النص حيث تسهم في بناء النص وتعلق المعاني واتصال بعضها ببعض، وهي من المباحث البلاغية المهمة التي شغلت مجالاً واسعاً عند علماء البلاغة، إلى درجة أن بعضهم جعله حداً للبلاغة، فجاء في البيان والتبيين، والصناعتين، قول الفارسي حين سئل: "ما البلاغة ؟ فقال: معرفة الفصل والوصل"[١] ؛ لأن الإنسان قد يكون عارفاً بالفصل والوصل عالماً بتمييز مختار الكلام من مطروحه وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب ولا يمكنه أن يؤلف ما يختاره من تأليف غيره"[٢]. وفي الرأيين مسألة عموم وخصوص، فكل بلاغي يكون عارفاً بالفصل والوصل، وليس كل من يكون عارفاً بالفصل والوصل يكون بلاغياً.

ومن المعلوم أن الأصل هو الوصل بين الجمل، ولذا فإن العدول عن الوصل إلى الفصل لا يكون إلا لسبب بلاغي يتضح من خلال التطبيق على نماذج وردت في سورة الصافات.

أولاً: الفصل:

- **تعريفه:**

عرف **عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)** الفصل بقوله:"الفصل يكون في الجمل التي تتصل من ذات نفسها و تستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها"[٣].

-مواضع الفصل وتطبيقاتها:

أولاً: كمال الاتصال:

ويتحقق هذا النوع عندما يكون بين الجمل اتحاد تام، وقد أطلق عليه الجرجاني (الاتصال إلى غاية)[١]، بحيث تكون الثانية توكيداً عن الأولى أو بياناً لها أو بدلاً عنها.

---

١ الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٨٨ / أبو هلال العسكري، الصناعتين، ط١: مطبعة الآستانة، ١٣١٩هـ، ص٣٤٩.

٢ ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص٥٩.

٣عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص٢٢٧.

النمط الأول: التوكيد[٢]:

أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، والمقتضى للتوكيد دفع التجوز والغلط، وهو قسمان:

الأول: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَقَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١)، "يخبر الله عن قول الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم الملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال يوم القيامة تندموا حيث لا ينفعهم الندم (وَقَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ)، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: (هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ)"[٣]، "والدين: الجزاء، أما الفصل: فهو تمييز الحق من الباطل، والمراد به الحكم و القضاء"[٤] ، حيث جاءت الثانية تؤكد وقوع الأولى، أي تؤكد وقوع يوم القيامة، وجاء ترك العطف بين الآيتين لاختلاف القائل حتى لا يتوهم السامع أن القائل واحد.كما حقق الفصل انسجاماً بين الآيتين؛ لأن كل اسم له دلالة عن اليوم الآخر، وكل معنى يتناسب مع السياق، ولكن في نفس الوقت دلت على مدلول واحد، فلو عطف بين (هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ)و(هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ) لتوهم السامع أن الأول مخالف للثاني وليس نفسه.

وثاني قسم من أقسام التوكيد: أن تُنزَّل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمۡ شَـٰهِدُونَ ۝١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ ۝١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣)، حيث وقع الفصل بين (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝١٤٩) و (أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى

١عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر ،ص٢٤٣.

٢ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص١٢١.

٣ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، ج٧، ص٨.

٤ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٠١

ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾) "فلم تعطف لأن بينها وبين ما قبلها كمال الاتصال، فالمعنى وقل لهم: أصطفى البنات"(١). فهذه الآيات تناقش المشركين في عقيدتهم لإبطال صورة من صور الشرك التي استقرت في نفوسهم فجاءت الآيات "باستفهام إنكاري وتعجبي من جرأتهم وقولهم بلا علم"(٢) ، فترك العطف بين الآيتين يحقق انسجاماً في دلالة تلك الآيات على إنكار ماوقع فيه المشركون من أنواع الكفر بداية من استفتائهم ووصولاً إلى إبطال مانسبوه إلى الله من الولد.

النمط الثاني:جملة البيان:

بمعنى"أن تكون الثانية بياناً للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء، مع اقتضاء إزالته"(٣).

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾) "فعلى تقدير قوله (وَحِفۡظٗا) مصدراً نائباً مناب فعله يجوز جعل جملة (لَّا يَسَّمَّعُونَ) بياناً لكيفية الحفظ فتكون الجملة في موقع عطف البيان من جملة (حِفۡظٗا)"(٤).

فكيف أسهم الفصل في تماسك الآيات وربطها بمحور السورة؟

إن سورة الصافات كغيرها من السور المكية تناقش موضوع التوحيد وتؤكد وحدانية الله، ولهذا فإن هذه الآيات جاءت بمظهر من مظاهر خلق الله لتؤكد وتثبت قدرة الله"فقد جمّل الدنيا وزينها بالكواكب،.....كما يتجلى فيها قوة الحفظ والحرز من الشيطان الخارج عن الطاعة"(٥). ولأن الحفظ يتطلب توضيحاً وبياناً جاءت الآيات التالية

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٨٢.

٢ نفسه،ج٢٣، ص ١٨١.

٣ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٢٣.

٤ نفسه، ص٩١.

٥ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦،ص٣٤٨.

لتبين كيفية الحفظ بدون عطف، ففي العطف إشراك في الحكم، وهذه الآيات لا يحتمل معناها الإشراك في الحكم، وإنما تربطها علاقة دلالية جعلت تلك الجمل منسجمة مع بعضها حيث حقق الفصل مزيداً من الربط.

النمط الثالث:جملة البدل:

وهذا النمط أكثر وروداً في سورة الصافات والمقصود بجملة البدل"أن تأتي الجملة الثانية بدلاً من الأولى، كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، وهو ضربان[١]:

الأول: أن تنزل الثانية من الأولى، بدل البعض من متبوعه[٢].

الثاني: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه[٣].

أما الضرب الأول فلم يرد في سورة الصافات، ومن أمثلة الثاني قوله تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾)، ففي هذه الآيات موضعان للفصل:

الأول / في قوله تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴿٥١﴾)

والثاني / بين قوله تعالى: (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ) و(قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾).

ففي الموضع الأول صورت الآيات حال أهل الجنة وهو ينعمون بألوان المتاع ويتذاكرون حالهم في الدنيا "وجملة (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴿٥١﴾) بدل اشتمال من جملة (يَتَسَآءَلُونَ)، أي قال أحدهم في جواب

---

١ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،ص١٢٢.

٢بمعنى: أن يكون البدل جزء من متبوعه.

٣ بمعنى: أن يشتمل البدل على معنى في متبوعه.

سؤال بعضهم، فإن معنى التساؤل يشتمل على معنى الجواب، فلذلك جعلناه بدل اشتمال لا بدل بعض من كل ولا عطف بيان"[١].

وفي الموضع الثاني تعد "جملة (قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤) بدل اشتمال من جملة (قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ)؛ لأن قوله (هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ) المحكي بها، هو مما اشتمل عليه قول الأول إذ هو تكملة للقول الأول"[٢]. هذه الحكاية المصورة بين أهل الجنة والتي حكاها القرآن في آيات متتاليات لم يعطف بينها بعاطف، مما يدل على اتصال دلالة تلك الآيات التي صورت الموقف من خلال تلك الوشائج المتصلة بين الآيات في الموضعين، ويتجلى الانسجام في الموضع الثاني عندما لا تأتي الجملة الثانية بعد الأولى مباشرة بل تفصلها آيات فتحقق علاقة الفصل كمال الاتصال بين الآيتين من خلال البدل الذي اشتملت عليه الآية الثانية.

ومن أمثلة البدل ما جاء في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: (إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ۝٨٥)، "فجملة (إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ) بدل اشتمال من (إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ)؛ لأن قوله هذا نشأ عن امتلاء قلبه بالتوحيد والغضب لله على المشركين كان كالشيء المشتمل عليه قلبه السليم فصدر منه"[٣]، ولهذا نجد بين الآيتين فصل تام بترك العطف نتيجة الانسجام الدلالي بين الآيتين والتي يتجلى من خلالها إيمان إبراهيم –عليه السلام– وإخلاصه لله، فكان قوله ناتجاً عن سلامة قلبه من الشرك.

وحقق هذا المعنى ارتباط الآيتين بمعاني السورة التي تدعو إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله في آيات عديدة، لتحقيق وحدة الدعوة لدى الرسل جميعاً، وأن أنبياء الله –عليهم السلام– من عباد الله المؤمنين المخلصين المحسنين، وبهذه الثلاثة يكتمل الدين.

١ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج٢٣، ص١١٦.

٢ نفسه، ج٢٣، ص١١٧.

٣ نفسه، ج٢٣، ص١٣٨.

ومن كمال الاتصال في جملة البدل ما جاء في قوله تعالى: (أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝١٥٤)، حيث تناقش هذه الآيات صورة من صورة الشرك التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك وقد اختصت سورة الصافات بذكرها، حيث نسب المشركون الولد لله، وجعلوا الملائكة بنات الله، واستأثروا هم بالبنين، فكيف يجعلون لله مايكرهون ولهم ما يحبون!

وكانت البداية لعرض هذه الصورة الشركية بقوله تعالى: (فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝١٤٩)،ثم استمرت الآيات في حجاج المشركين لإبطال دعاويهم، وقد اتصلت الآيات فيما بينها بروابط عديدة سبق ذكرها[١]، هذه الروابط أسهمت في إخراج هذه الصورة الشركية والاهتمام بتفاصيل دقيقة فيها وسوق الحجج لإبطالها. ومنها ماجاء في الاستفهام الإنكاري (أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ)، والمعنى "لو سلمنا أن الله اتخذ ولداً فلماذا اصطفى البنات دون الذكور، أي اختار الله لذاته البنات دون البنين والبنون أفضل عندكم.....،وجملة (مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ) بدل اشتمال من جملة (أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ)، فإن إنكار اصطفاء البنات يقتضي عدم الدليل في حكمهم ذلك، فأبدل (مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ) من إنكار ادعائهم اصطفاء الله البنات لنفسه "[٢]، فتحقق الفصل بين الآيتين بطريقة البدل وازدادت الآية الأولى إيضاحاً ووفاءً بالمعنى بعد مجيء الثانية بدلاً عنها.

ثانياً: كمال الانقطاع[٣]:

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام في الشكل والمعنى مما يوجب الفصل، أما الشكل فاختلافهما خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى أو معنى فقط، وأما المعنى فغياب الجامع بينهما وإن اتفقتا في الخبر والإنشاء.

ومما جاء في السورة من مواضع كمال الانقطاع لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى، قوله تعالى: (هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ

---

١ وقد ورد هذا الموضع في مباحث عديدة من هذه الدراسة: التكرار،الإجمال والتفصيل،التوكيد من كمال الاتصال.

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٨٢ / السكاكي:مفتاح العلوم،تعليق نعيم زرزور، ط٢: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص٢٥٤.

٣ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٢٠.

﴿٢٢﴾)، عرضت الآيات حال المشركين عند قيام الساعة، حيث يوجه الكلام لهم (هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ) والخبر مستعمل في التعريض بالوعيد[١]، لتأتي الآية التالية مباشرة بأمر (ٱحۡشُرُواْ)، فهذا اليوم الذي تكذبون به واقع أمامكم، فترك العطف بين الآيتين لتمام الاتحاد والاتصال في المعنى، وإن كان بينهما انقطاع كامل في الأسلوب أو نوع الجملة.

أما اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً لا معنى، فقد جاء في مواضع عديدة، حيث تكررت نفس الآية مع اختلاف المخاطَب، وذلك في قصص الأنبياء الواردة في السورة:

- (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٧٩﴾)
- (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾).
- (و وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾).
- (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾).

فالجملة الأولى في الآيات خبرية (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ) والمقصود بها "تركنا له ثناء وأنعمنا عليه"[٢]، والثانية (سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ.....) خبرية لفظاً إنشائية معنى تدل على الدعاء "والمقصود إنشاء ثناء له ومعناه لازم التحية وهو الرضى والتقريب"[٣]، والمناسبة واضحة بين الآيتين من جانبين:

- الأول: أن الآية الأولى تحمل معنى الثناء فجاءت (سَلَٰمٌ) لتوضح ذلك الثناء.
- الثاني: لأن في الآية الأولى معنى الإنعام والتفضيل لهؤلاء الأنبياء، وكان هذا الإنعام والتفضيل بإثبات التحية والذكر الحسن لهم، والقرب من الله عزوجل.

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٠١.

٢ نفسه، ج٢٣، ص١٣٣.

٣ نفسه، ج٢٣، ص١٣٣.

ثالثاً: شبه كمال الاتصال:

ويجيء هذا النوع من الفصل بين تركيبين "بحيث تكون الثانية جواباً عن سؤال اقتضته الأولى، فتنزَّل منزلته، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال "[١]، ويسمى بـ(الاستئناف البياني)[٢].

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ)، فجملة (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ) مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن معنى الآية يشير في نفس السامع أن يسأل: (من هو الإله الواحد؟)، والإجابة تكون (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ)، فكان في الاتصال الشديد بين الآتين من خلال هذا التساؤل مايوجب ترك العطف "فالقسم وحده لايقنع المخاطبين لأنهم مكذبون من بلغ إليهم القسم، فالقسم استئناف بياني لبيان الإله الواحد مع إدماج الاستدلال على تعيينه بذكر ما هو من خصائصه المقتضي تفرده بالإلهية"[٣]، وقد أسهم هذا الاتصال في بلورة موضوعات السورة وتمركزها حول هذا المعنى وهو إفراد الله بالألوهية والربوبية وحده.

ومن أمثلة الاستئناف البياني ماجاء في قوله تعالى: (قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦)، "فجملة (قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦) مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن وصف هذه الحالة يثير في نفس السامع أن يسأل فماذا حصل حين اطلع؟ فيجاب بأنه حين رأى قرينه أخذ يوبخه على ما كان يحاوله منه حتى كاد أن يلقيه في النار مثله. وهذا التوبيخ يتضمن تنديمه على محاولة إرجاعه عن الإسلام"[٤]، والفصل بين الآيتين لا يعود إلى هذا السبب فحسب، فما بين الجملتين من ائتلاف وتلاحم ساهم في تعلق مضمون الثانية بمضمون الأولى رغم فصل الآيتين بآية (فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ).

---

١ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،ص١٢٤.

٢ ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص٤٤١.

٣ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٨٦.

٤ نفسه، ج٢٣، ص١١٧.

وفي قوله تعالى: (فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾)، حيث أقبل القوم مسرعين نتيجة مافعله إبراهيم عليه السلام بأصنامهم فقال لهم (قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ) وهذه الجملة "استئناف بياني لأن إقبال القوم إلى إبراهيم بحالة تنذر بحنقهم وإرادة البطش به يثير في نفس السامع تساؤلاً عن حال إبراهيم في تلقيه بأولئك وهو فاقد للنصير معرّض للنكال فيكون (قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ) جواباً وبياناً لما يسأل عنه"[١]، فجاء الفصل بين الآيتين لأن الجملة الثانية مبينة على الأولى في تصوير ردة فعل المتلقي وهو إبراهيم عليه السلام، كما أنها تحمل دلالة الثبات على الحق وقوة الإيمان والعقيدة الصحيحة الراسخة في نفسه.

ثانياً: الوصل:

بما أن الفصل يدل على ارتباط الجمل والألفاظ مع بعضها بدون أداة العطف، فالوصل يعني: عطف الألفاظ أو الجمل بعضها مع بعض باستخدام حرف العطف الواو فقط. وهذا ما اتفق عليه النحاة والبلاغيون لأن الواو تفيد الإشراك في الحكم مطلقاً بخلاف بقية حروف العطف فهي تفيد مع الإشراك معاني أخرى[٢] . وكما ذكرنا آنفاً أن الأصل هو الوصل بين الجمل ولذا فإن لم يكن بين الجمل شيء من أحوال الفصل تعين الوصل —وهذا ما ذكره القزويني—[٣].

—مواضع الوصل وتطبيقاتها:

تمثل الوصل في سورة الصافات في ثلاثة أنماط:

النمط الأول: الاتفاق خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً [٤]:

يتم الوصل بين الجمل نتيجة الاتفاق في الأسلوب والمعنى، وهذا الموضع يقع خلاف موضع كمال الانقطاع في الفصل.

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص.١٤٥

٢ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص٢٢٤.

٣ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٢٦.

٤ نفسه، ص١٢٧.

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾)، ففي هذه الآيات تتابعت ثلاث جمل خبرية لفظاً و معنى معطوفة على بعضها بالواو؛ لأن هذه الأفعال صادرة من مصدر واحد وهم المشركون، فتعين ربطها بالواو، فضلاً عما بينها من المناسبة فجميعها يحمل معنى الشرط، لذا زاد الربط العطفي بالواو الدلالة قوة وظهوراً معبراً عن إصرارهم على إنكار البعث على الرغم من وجود الأدلة العقلية والنقلية.

أما الموضع الثاني فهو في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾)، إن الآيات تفصل ما امتن الله به على موسى وهارون عليهما السلام، حيث نصرهما الله على فرعون وقومه وآتاهما التوراة وهداهما إلى طريق الحق، وترك ذكرهما الحسن بين الناس، فكان للعطف بالواو دور في ربط تفصيلات المنة التي امتن الله بها على موسى وهارون عليها السلام بما ورد مجملاً في الفعل (مَنَنَّا).

النمط الثاني: كمال الانقطاع مع الإيهام:

"ويتعين الوصل لدفع إيهام خلاف المقصود..، وهذا عكس الفصل للقطع"[١]، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾)، إن هذه الآية جاءت جواباً لما ورد قبلها من استفهام المشركين عن إمكانية عودتهم أحياء للبعث بعد أن صاروا عظاماً وتراباً"فكان مجرد قول نعم دليلاً قاطعاً على الوقوع"[٢]، وعطف عليها بـ(وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ) حتى لا يتوهم السامع بالفصل أن (نعم) ترتبط بـ(وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ)، وكأنها تقرر أنهم سيكونون في ذلك الوقت أذلاء صاغرين، والمعنى المراد من الآية كما اتضح لا يتحقق بدون واو العطف، لأن (نعم) جواباً لما سبق وليست تقريراً لما بعدها.

---

١ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٢٦.

٢ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٢٨.

النمط الثالث:القصد إلى إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي[١]:

وذلك عندما يكون للجملة الأولى محل من الإعراب ويقصد من العطف إشراك الثاني في الحكم الإعرابي للأولى مع ضرورة المناسبة بينهما في المفرد فيكون كعطف المفرد على المفرد.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾) وقوله تعالى: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴿٥٣﴾)، "حيث وقعت جملة (مِتْنَا) في محل جر بإضافة الظرف (إذا) إليها، و(إذا) ظرف متضمن معنى الشرط"[٢]، فجاء العطف بالواو في جملة (وكنا تراباً) والقصد من ذلك إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي مع وجود مناسبة في المعنى بينهما، إذ إن الثانية سبباً عن الأولى، فلا يكون الإنسان تراباً إلا بعد موته، فيرجع إلى أصله ويكون تراباً.

وفي قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾) حيث وقع الوصل بواو العطف بين (أَسْلَمَا)و(تَلَّهُ)و(نَـٰدَيْنَـٰهُ)، وتعرب (أسلما) بأنها جملة واقعة في محل جر بالإضافة لأن "لما حينية أورابطة"[٣]، وعلى اعتبار أنها حينية تكون متضمنة لمعنى الشرط، فوقع العطف بين الجمل بقصد الإشراك في الحكم الإعرابي إضافة إلى مابينهم من المناسبة في المعنى.

صورت لنا الآية لحظة استسلام إبراهيم عليه السلام وابنه الذبيح لأمر الله فكانت النتيجة أن تله للجبين "فبذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه"[٤]، فجاء النداء الرباني (وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ) لما ظهر "من كمال طاعة إبراهيم لتكاليف الله تعالى، فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد قال قد صدقت الرؤيا"[٥].

---

١ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ص٢٢٢-٢٢٣.

٢ محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن وبيانه، ج١، ص٢٥٥.

٣ نفسه، ج١، ص ٢٩٥.

٤ الزمخشري: الكشاف، ص٩١٢.

٥ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٥٧.

إن الوصل ساهم في الجمع بين الأفعال المحققة لكمال الطاعة، كما أنتج لنا صورة منسجمة مكتملة التفاصيل بداية بالاستسلام القلبي والتنفيذ الفعلي والجزاء الرباني من المولى عزوجل نتيجة لذلك.

المبحث الرابع: الإطلاق والتقييد

المطلق:

هو مادل على حقيقة بلا قيد فهو يتناول واحداً ما بدون تعيين[١]، وقيل في حده: هو مادل على الماهية بلا قيد من حيث هي هي[٢].

والمقيد:

مادل على الحقيقة بقيد[٣]، والتقييد يقع بثلاثة أشياء: الغاية والشرط والصفة[٤].ونجد هذا المبحث في كتب أصول الفقه لارتباط المطلق والمقيد بتحديد بعض الأحكام الشرعية، ولكن هذه الدراسة تبحث في دور المطلق والمقيد في تماسك النص القرآني وبالأخص سورة الصافات.

ومن أمثلة المطلق والمقيد في السورة، قوله تعالى: (وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ)، فقد لازمت كلمة(مستقيم) كلمة (الصراط) في عموم الاستعمال القرآني[٥]، فالمعنى اللغوي للصراط: السبيل أو الطريق[٦]، وعلى هذا فإن اللفظة تدل على أي طريق بلا قيد يوضح ماهية هذا الطريق، فجاءتقييد (الصراط) بصفة الاستقامة (المستقيم)لتحديد الدلالة بطريق الهداية فقط، فالله عزوجل هدى موسى و هارون عليهما السلام إلى طريق واحد، وهو طريق الاستقامة، ويتأكد هذا المعنى من خلال ارتباط الكلمتين بسياق الفعل (وهديناهما)؛ لأن الفعل (هدى) ليس بالضرورة يدل على طريق الهداية، حيث ورد في نفس السورة دالّاً على طريق الجحيم (فاهدوهم..). إذن، حقق

---

١ محمد أحمد معبد: نفحات من علوم القرآن، ط١: مكتبة طيبة، المدينة المنورة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٠٣.

٢ الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير عبد القادر العاني، مراجعة عمر الأشقر، ط٢: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ج٣،ص٤١٣.

٣ محمد أحمد معبد: نفحات من علوم القرآن، ص١٠٣.

٤ سليمان بن خلف الباجي: الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، تحقيق محمد علي فركوس، ط: المكتبة المكية – دار البشائر الإسلامية، (د.ت)، ص٢١٥.

٥على سبيل المثال: الفاتحة ٦، البقرة ١٤٢، آل عمران٥١، المائدة ١٦، الأنعام ٣٩، يونس ٢٥، النحل ٧٦.

٦ ابن منظور: لسان العرب، مادة (صرط)، ص٢٤٣٢.

هذا التقييد لكلمة (الصراط) سبكاً نصياً متفقاً مع سياق الآيات بأن طريق الحق والرشاد والهداية والاستقامة هو سبيل الأنبياء ومنهم موسى وهارون عليهما السلام.

ومن ذلك ماورد في وصف الآيات لإسماعيل عليه السلام بأنه حليم في قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ)، فجاءت البشارة لإبراهيم عليه السلام في البداية بغلام على إطلاق ماهيته ثم قيدت الآيات هذا الغلام بصفة الحلم (حَلِيمٍ)"فالحلم اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق"[١]، ومعنى حليم "أن يكون حليماً عند كبره، فكأنما بُشّر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حليماً؛ لأن الصغير لايوصف بالحلم"[٢] وتقييد الغلام بصفة الحلم جاء في هذه الآية على اعتبار ما سيكون. فهذا الغلام الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام ليس كأي غلام وإنما يحمل صفة لزمته وقلما نعت الأنبياء بها، حتى قيل:"لم يوصف بالحلم غير إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام"[٣]، وقد جاء ذكر هذه الصفة لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: "إن إبراهيم لحليم أواه منيب"، كما قيل: "ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم"[٤]، فتحديداً هذا المعنى يتفق بل ويرتبط بالأحداث التي عاشها إسماعيل عليه السلام والتي حكتها الآيات تباعاً بعد هذه البشارة "وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فاستسلم لذلك"[٥].

أما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾)، فكان الإطلاق والتقييد وارداً في موضعين:

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٤٩.

٢ الشوكاني:فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص١٢٤٥.

٣ البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تقديم محمد المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ت)، ص١٥٤

٤ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٤٩.

٥ سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨، ص٤٧١٤.

الأول: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾).

الثاني: (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾).

والتولي في الموضع الأول مختلف عن التولي في الموضع الثاني، من المفسرين من ذهب إلى أن الثاني تكرار للموضع الأول للمبالغة في التأكيد والتهديد والتهويل [١]، و منهم من ذهب إلى أن الأمر بالتولي في الآية الأولى ذكر لأحوالهم في الدنيا، وفي الثانية ذكر لأحوالهم في الآخرة، فلا تكرار [٢]. ولكنه جاء مطلقاً في الموضعين ثم قُيِّد بالغاية (حتى حين)، "والتولي حقيقته: المفارقة..، واستعمل هنا مجازاً في عدم الاهتمام بما يقولونه وترك النكد من إعراضهم. والحين: الوقت"[٣] "واختلف أهل التأويل في هذا الحين؛ فقال بعضهم، معناه: إلى الموت..، وقال آخرون: إلى يوم بدر.....، وقال آخرون: معنى ذلك: إلى يوم القيامة "[٤]، ومع ما ورد من اختلاف في معنى (حين)، فإن في تقييد التولي بهذه الغاية ينسجم مع ما ورد في الآيات السابقة (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾)، فكان في تولي النبي – صلى الله عليه وسلم- ومفارقتهم إلى وقت مؤجل، تحقيق لوعد الله المذكور في الآيات بأن الغلبة والنصرة والظفر لعباد الله المؤمنين ولرسله الموحدين. أما الموضع الثاني فالتولي جاء بعد آيات العذاب التي حلت بالمكذبين (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾) "والظاهر أن التولي عمن يبقى من المشركين بعد حلول العذاب الذي استعجلوه ، أما (الحين) فيحتمل أن يكون حيناً من أوقات الدنيا فهو إنذار بفتح مكة، ويحتمل أن يكون إلى حين من أحيان

---

١ قال بهذا القول: (ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٧،ص٤٥ / الزمخشري: الكشاف، ص٩١٦/ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص١١٧/السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٣٣).

٢ قال بهذا القول : (الرازي: مفاتيح الغيب،ج٢٦، ص ١٧٣/الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٩، ص٦٥٧-٦٦٠ / ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٩٥-١٩٨).

٣نفسه، ج٢٣،ص١٩٦.

٤ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٩،ص٦٥٨.

الآخرة "[١]،وهذا الأرجح؛ لأن الآيات تناولت وقت نزول العذاب بهم فجاء الأمر بالتولي بعد نزول العذاب بهم في الآخرة، فأسهم التقييد في تحديد دلالة الآية نتيجة ربطها بما قبلها مما حقق انسجاماً أسهم في تماسك الآيات.

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٩٨.

الفصل الثالث: الخطاب

المبحث الأول: تحديد موضوع الخطاب

المبحث الثاني :ترتيب الخطاب

المبحث الأول: تحديد موضوع الخطاب

أكد كينن وشيفلن أن موضوع الخطاب ليس مجرد مركب اسمي بسيط ، بل هو القضية التي تحظى بالاهتمام المباشر [١]. ويحدد (فان دايكVan dijk) مهمة موضوع الخطاب في "إيراد المعلومات السيمانطيقية (الدلالية) وتنظيمها وترتيبها في تراكيب متوالية ككل شامل"[٢]، أي البحث عن البؤرة المركزية للخطاب من خلال تنظيم وترتيب محتوياته، وبعبارة أخرى فإن أي "بنية تصورية أو مفهومية لقضية ما قد تصبح موضوع الخطاب إذا نظمت بنية تصورية متوالية تنظيماً وترتيباً"[٣].

ويرى محمد خطابي "أن مفهوم موضوع الخطاب يقترب من البنية الكلية عند (فان دايكVan dijk)،فوصف موضوع الخطاب (أوجزء من الخطاب) متطابق مع وصف البنيات الكلية. أي أن بنية كلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي من نوع ما بمعنى أن كلّاً من موضوعات الخطاب والبنية الكلية تمثيل دلالي إما لقضية ما، أو مجموعة من القضايا، أو لخطاب بأكمله"[٤].

ونحدد الفرق بينهما عن طريق معرفة العمليات التي من خلال نصل إلى البنية الكبرى أو موضوع الخطاب ، فيرى خطابي أن "تأسيس البنية الكلية يتم عبر عمليات أساسها الحذف والاختزال، بينما موضوع الخطاب يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخص هذا الموضوع على أن نفس العمليات يمكن أن تنفذ للوصول إلى موضوع الخطاب ما دامت النتيجة واحدة "[٥]. ولكن يبقى النص هو الأساس في تحديد نوع العمليات التي تمكن الباحثة من الوصول إلى موضوع الخطاب. ولأن النص موضع الدراسة (نص قرآني) يحظر فيها استخدام عمليات الحذف والاختزال والدمج والتعميم؛ لذا فإن الباحثة اعتمد على أداتين لتحديد موضوع الخطاب، هما:

---

١ ج.ب.براون، ج.يول: تحليل الخطاب، ص٨٧.

٢فان دايك: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة عبد القادر قنيني، ط: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠١٣م، ص ٢٣٦

٣نفسه، ص٢٣٩.

٤ انظر (فان دايك: النص والسياق ، ص٢٤٥ / محمد خطابي : لسانيات النص، ص٤٤).

٥ محمد خطابي : لسانيات النص، ص٢٧٧.

- العنوان
- الاعتماد على النواحي الكمية من خلال رصد نسبة تكرار الموضوع في السورة.

أ- العنوان:

للعنوان دور كبير في تأويل النص؛ إذ يمثل نقطة البداية فيه، كما أنه يعد مدخلاً من خلاله نستطيع تحديد موضوع الخطاب، حيث "يهيء القارئ أو السامع لأن يبني التفسير الأكبرالصحيح للنص،...كما أنه جزء من البنية الكبرى (موضوع الخطاب) بحيث ندرك ما ينبغي أن يتحدث عنه الخبر بوجه عام"[١].

وعنوان السورة "الصافات"، ومن خلال هذا العنوان نستطيع تحديد موضوع الخطاب في السورة. فحين ننظر في العنوان نجده مكوناً من كلمة واحدة (الصافات)، وتسعفنا الدلالة المعجمية أولاً في تحديد مدلولها ، إذ تدل مشتقات الجذر (ص.ف.ف) على السطر المستوي من كل شيء[٢]، وهذه دلالة (الصافات) فهم الملائكة –أو البشر- مصطفين بشكل مستوٍ؛ امتثالاً لأمر الله لهم. إذن، يحمل العنوان دلالة الانقياد والاستسلام والطاعة والخضوع. ومن خلال هذه المعاني نصل إلى تحديد موضوع الخطاب في السورة.

إن استواء الملائكة واصطفاف صفوفهم للعبادة أو انتظار أمر الله، دليل على استسلامهم لأمر الله . وفي وصف الله عزوجل للملائكة بـ(الصافات) تنبيه السامع، بأن الملائكة خلق من خلقه أوجدهم لعبادته، وليس بينهم وبين الله نسب. مما يحدد موضوع الخطاب في: الاستسلام التام لأمر الله، وهذا الاستسلام يستوجب على كل مستسلم لأمر الله أن يقوم بتخليص النفس من الشرك، والإقرار بألوهية الله، وأنه واحد وهو المستحق بالعبادة.

ب- التكرار:

لا يكرر المرسل شيئاً في النص إلا لتأكيد أو ترسيخ مفهوم معين؛ و في سورة الصافات تكرار لجملة من المعاني والألفاظ والجمل، التي أسهمت في توجيه دلالة السورة نحو موضوع واحد.

١فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، ط١: دار القاهرة للكتاب، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م، ص٨٨.

٢ ابن منظور: لسان العرب، مادة (صفف) ص٢٤٦٢.

من ذلك تكرار قضية الموت وما يعقبه من البعث والحشر، وهي من القضايا المرتبطة بالإيمان، بل هي ركن من أركان الإيمان التي بها يكتمل إيمان المرء، كما أنها من القضايا التي يثيرها المشركون ويقابلونها بالإنكار، فجاء تكرار هذه القضية في سياقات عديدة، منها:

- سياق الاستفهام الذي يحمل معنى الاستفتاء في خطاب موجه إلى رسول الله، محمد –صلى الله عليه وسلم– ، يشتمل على سؤال محاجة وتغليظ على إنكار المشركين للبعث بعد الموت (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ۝١١)، ثم الإضراب الانتقالي بـ(بل) من التقرير التوبيخي إلى العجب من حالهم (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ۝ ١٣ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ۝١٥)، لينتهي السياق بالاستفهام الإنكاري (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ ١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ ١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ) "على طريقة الأسلوب الحكيم بصرف قصدهم من الاستفهام إلى ظاهر الاستفهام فجعلوا كالسائلين: أيبعثون ؟ فقيل لهم: نعم"(١).
- سياق تذاكر أهل الجنة ما مرّ بهم من أحداث الدنيا، وتذكر قرين السوء المستهزء بالبعث، في استفهام إنكاري (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ ٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ ٥٢)، وبينت الآيات بعدها الإنكار المجمل في هذه الآية "بإنكار مفصل وهو إنكار أن يبعث الناس بعد تفرق أجزائها وتحولها تراباً بعد الموت ثم يجازَوا"(٢). فارتبط السياق الأول بالبعث والثاني بما يعقب هذا البعث من الحساب و الجزاء، وكلا السياقين يصبان في منبع واحد، وهي قضية الإيمان باليوم الآخر.
- السياق التفصيلي لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، في قوله تعالى:(إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ٤٠ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ۝٤١فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ۝٤٢ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ۝٤٤يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ۝٤٥بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ۝٤٦لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ۝٤٧وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ۝٤٨كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ۝٤٩فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ٩٩.

٢نفسه، ج٢٣،ص١١٦.

عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ٥١)، وقوله تعالى: (أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨)، فقد فصلت السورة في جزاء المؤمن والكافر، لتقرر قاعدة العدل الإلهي بأن الجزء من جنس العمل، وهذا التفصيل جزء من عقيدة الإيمان لأنها ترتبط بالإيمان باليوم الآخر، وما يتضمنه ذلك اليوم من حساب وجزاء

كما أن الإيمان بالرسل، من مقتضيات الإيمان بالله وتوحيده، لذا جاء في سورة الصافات تفصيلٌ لقصص الأنبياء مع أقوامهم وارتباطها بتحديد البؤرة المركزية للسورة وذلك من جانبين:

الأول: التأكيد على أن ما جاء به رسولنا، محمد – صلى الله عليه وسلم –، تصديق لشرائع الأنبياء السابقين، (بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧)، وهذا يدل على وحدة دعوة الرسل، وأن الدعوة المحمدية استكمالاً لما جاء به الأنبياء قبله، مما يستلزم الإيمان بهم جميعاً؛ ليتحقق الإيمان الكامل عند الفرد.

الثاني: تكرار الآيات الدالة على إيمان الرسل وإحسانهم وإخلاصهم، ووصف الله لهم بـ(العباد) المؤمنين المخلصين المحسنين، وهذا ما نلحظه في التعقيب المتكرر لتقرير نوع الجزاء الذي يلقاه المحسنون، وقيمة الإيمان الذي يكرم من أجله المؤمنون [١]. كما أن الإيمان بهم جميعاً جزء من كمال العقيدة وسلامتها.

- إن "من مقتضيات الإيمان الصحيح بالله، الإنجاء من المهالك، والإسعاد في الدنيا والآخرة، وعلى عكس ذلك فمن مقتضيات الكفر بالله الإيقاع في أنواع العذاب، والشقاء في الدنيا والآخرة "[٢]، (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣)، ونلحظ تكرار هذه الدلالة في آيات عديدة من سورة الصافات، وخاصة في قصص الأنبياء.

---

١ سيد قطب: في ظلال القرآن، م٥، ص ٢٩٩٧.

٢ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٨٢.

- "ناقشت السورة المشركين قضية التوحيد الكبرى، لتقرر بعد الحوار والمناقشة تنزيه الله تعالى عن كل ما لايليق بذاته سبحانه من ألوان الشرك والكفر؛ كنسبة الولد إليه، ووصف الملائكة ببناته"[١]، حيث جاء المقطع الأخير في السورة يحمل بين طياته هذه الدلالات ، والتي نجدها في أول السورة (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤).

إن هذه الدلالات وجهت السورة نحو موضوع خطاب واحد، فسورة الصافات سورة مكية عالجت موضوع العقيدة والاستسلام التام لأمر الله ، من خلال جملة من القضايا-المذكورة آنفاً- و التي ارتبطت بتلك العقيدة ، كما أسهمت في توجيه الخطاب نحو موضوع محدد. ولأن سورة الصافات تبني العقيدة الصحيحة في نفوس البشر فهي في المقابل تنبذ الشرك، وتنكره. واختصت السورة بصورة من صور الشرك، وهي نسبة الولد إلى الله، ووصف الملائكة بأنهم بنات الله، فجاء عنوان السورة بـ(الصافات) وختامها بـ(تنزيه الله) (سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠)، وبين هذا العنوان وتلك الخاتمة، امتزاج لجملة من الدلالات المرتبط بقضية التوحيد الكبرى (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤).

١نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦،ص٤٢٥.

المبحث الثاني: ترتيب الخطاب

يقصد بترتيب الخطاب: ترتيب محتوى الخطاب القرآني في السورة، والذي يسميه (فان دايكVan dijk) الترتيب العادي للوقائع في الخطاب،"فإذا كانت الجمل تدل على الأحداث في عالم ممكن، فإن انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدل على مجموع منظم من الأحداث"[١]. "ويمكن أن نميز بين نوعين من الترتيب، أولهما حر، والثاني مقيد، ويكون الترتيب حرّاً إن لم يحدث فيه التغيير أي أثر دلالي أو تداولي، ويكون مقيداً إن أحدث فيه التغيير أحد هذين الأثرين، أو أدى إلى عدم انسجام الخطاب بعدما كان منسجماً"[٢].

والخطاب في القرآن الكريم يكون مقيداً، فلا نستطيع أن نحدث أي تغيير في ترتيبه، ولكننا قد نجد بعض النماذج الخطابية يتجه فيها الخطاب القرآني اتجاهاً مغايراً للمألوف؛ والسبب في ذلك أن هذا التغيير يعطي قيمة إخبارية أكثر من الترتيب العادي للخطاب.

كما يحكم ترتيب الخطاب جملة من العلاقات، ومن تلك العلاقات: العموم والخصوص، الإجمال والتفصيل، التضاد، السبب والنتيجة، وغيرها. و لزمن الفعل دور في توجيه الخطاب، فيتم تحديده من خلال معرفة الزمن النحوي للفعل، والزمن الصرفي له."ويقصد بالزمن الصرفي الزمن الذي تدل عليه الصيغ الفعلية في حالتها الإفرادية خارج السياق، وتعد دلالة هذه الصيغ على الزمن دلالة لا نهائية ، أما الزمن النحوي، فهو الزمن الذي يدل عليه السياق؛ وذلك من خلال الصيغ المفردة والمركبة، ذلك مع ما يصاحبها من ضمائر وقرائن لفظية وحالية "[٣].

١فان دايك: النص والسياق، ص١٩٣.

٢محمد خطابي: لسانيات الخطاب، ص٣٨

٣الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري) ، جامعة محمد خيضر، بسكرة – الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٢م، ص٧٦.

ترتيب الخطاب في سورة الصافات:

إذا عدنا إلى سورة الصافات لنفحص ترتيب الأحداث فيها، نجد الخطاب في مقدمة السورة مرتباً ترتيباً تصاعدياً؛ إذ يكون الحدث المتقدم سبباً في حصول المتأخر، والمتأخر نتيجة عن المتقدم. انقسمت المقدمة إلى قسمين، الأول منهما خصص للقسم وجوابه، وبيان دلائل وحدانية الله، في حين خصص القسم الثاني في استفتاء المشركين عن سبب إنكارهم للبعث بعد الموت.

جاء بناء الخطاب في هذه الوحدة النصية بناء تصاعدياً، فالجزء الأول منها، وهو: (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠)، يسير وفق ترتيب تصاعدي للأحداث؛ فلا يمكن تقديم حدث على آخر. تبدأ السورة بالقسم، يتلوه الجواب (إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤)، فالإقرار بوحدانية الله، نتيجة عن القسم المتقدم؛ "لأن المخاطبين لا ينكرون أن الله تعالى هوالرب العظيم ولكنهم جعلوا له شركاء، فحصل التعدد في مفهوم الإله، فإذا بطل التعدد تعين انحصار الإلهية في رب واحد هو الله "[١]، كما أن القسم وحده لا يقنع المخاطبين؛ لذا جاء الخطاب "بجملة الاستئناف البياني لبيان الإله الواحد، مع إدماج الاستدلال على تعيينه بذكر ماهو من خصائصه المقتضي تفرده بالإلهية"[٢]، فالإله الواحد هو (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥)، ومن الدلائل على ألوهيته أنه خلق الكواكب وجعلها زينة وحفظاً للسماء(إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧)،ثم توضح الآيات كيفية الحفظ في قوله تعالى:

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ٨٦.

٢ نفسه، ج٢٣، ص٨٦

(لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ۝٨دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ۝٩إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ۝١٠).

فإذا انتقلنا إلى الجزء الثاني من هذه الوحدة، وهو المخصص للحديث عن قضية البعث التي يثيرها المشركون والرد عليهم، سنجد الخطاب في الآيات رتب ترتيباً منطقياً تصاعدياً، وذلك في انتقال الخطاب من سؤال المحاجة والتغليظ (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ۝١١) إلى العجب من حالهم، باستخدام (بل)، (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢)، فالفعل الماضي (عجبت) استعمل في معنى الأمر وهو خطاب موجه إلى رسولنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، أي: اعجب لهم، "ودلالة استعمال الخبر في معنى الطلب للمبالغة في العجب من حالهم"[١] ، فدلالة الزمن النحوي أسهمت في توجيه دلالة الخطاب في الآيات ليتحقق الترتيب التصاعدي فالعجب يكون بعد الاستفتاء، أي استفتهم ثم اعجب من استسخارهم بك في استفتائك لهم.

ويتطلب إقناع المخاطَب سوق الأدلة على صدق ما جاء به المخاطِب؛ لذا ساقت الآيات تلك الأدلة في ترتيب منطقي شرطي فرصدت الآيات ردة الفعل لكل فعل، بدءاً بالتذكير (وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣) ثم رؤية الدلائل (وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ۝١٤ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ۝١٥) لتصل في النهاية إلى السبب"الذي يحملهم على الاستهزاء بالقول بالبعث، وعلى عدم الالتفات إلى الدلائل الدالة على صحة القول، وعلى الاستهزاء بجميع المعجزات، هو قولهم: (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ۝١٦أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ۝١٧)،فهذا الكلام هو الذي يحملهم على تلك الأحوال الثلاثة المتقدمة "[٢]. ثم يأتي الجواب عن الاستفهام الإنكاري "على طريقة الأسلوب الحكيم بصرف قصدهم من الاستفهام إلى ظاهر الاستفهام فجعلوا كالسائلين: أيبعثون ؟ فقيل لهم: نعم "[٣]. وقد ذكر الرازي أن هذه الآيات وردت على أحسن وجوه الترتيب؛ ذلك لأنه بيّن الإمكان بالدليل العقلي، وبيّن

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٩٦. وذكرابن عاشور أنه يجوز أن يكون الخبر مستعملاً في حقيقته، أي في زمن المضي، ويجوز أن يكون اللام على تقدير همزة الاستفهام، أي بل عجبت لهم.

٢ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص ١٢٨

٣ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٩٩.

ذلك الممكن بالدليل السمعي [١]. ثم أردفه ببعض تفاصيل ذلك اليوم (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾)، فقضية البعث هي المرجع الإشاري الذي ترتبط به أحداث هذه الوحدة، مما يمكن إرجاع الأحداث إليها؛ ليبقى النص وحدة متماسكة.

إذن، فالموضوع الذي تحدثت عنه الوحدة الأولى هو إثبات وحدانية الله، والتذكير بمشاهد يوم القيامة؛ لذا جاءت الوحدة الثانية تتابع في سياقها الحديث عن أحوال المشركين خاصة في ذلك اليوم، فكان التخصيص للعموم رابطاً للوحدة النصية الثانية بما سبقها.

أما عن الخطاب في هذه الوحدة فنلحظ أنه خطاباً حجاجياً بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة اعتمد على استراتيجية الإقناع، حيث أسهمت آليات هذه الاسترتيجية في تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج.

صورت لنا مقدمة هذه الوحدة كيفية حشر المشركين إلى طريق جهنم، وموقفهم للحساب على أعمالهم، ثم دخولهم النار، لتبدأ مرحلة الحجاج بين الأتباع والمتبوعين، بإلقاء المتبوعين اللائمة على أتباعهم أنهم كانوا السبب في كفرهم (قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾)، ثم تتوالى الحجج التي ساقها الأتباع رداً على متبوعيهم في سلم حجاجي أسهمت في انتظامه جملة من الآليات. وأول هذه الحجج كانت في قوله تعالى: (قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾)، حيث دلت (بل) "على إضراب إبطال لزعم الأتباع أنهم الذين صدوهم عن طريق الخير، أي: بل هم لم يكونوا ممن يقبل الإيمان؛ لأن تسليط النفي على فعل الكون دون أن يقال: بل تؤمنوا، مشعر بأن الإيمان لم يكن من شأنهم، أي بل كنتم أنتم الآبين قبول الإيمان "[٢]. وحين أراد الأتباع الانتقال من درجة دنيا إلى درجة أعلى في بناء خطابهم الإقناعي، جاءت (ما) النافية، قبل (بل) (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴿٣٠﴾)، وصولاً إلى النتيجة (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾)، التي ارتبطت بالسلم الحجاجي من خلال العطف بالفاء (فحق)، والوصف باسم الفاعل (ذائقون)، كما أسهم الالتفات في "زيادة

١ الرازي: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص ١٢٨

٢ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٠٥.

التنصيص على المعنيّ بذوق العذاب"[١]، يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية ": (فَحَقَّ عَلَيْنَا) فلزمنا (قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ)، يعني: وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا، واستحقاقنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو، لقال إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم؛لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم"[٢]. وقد أسهم الوصل السببي "في الربط بين أحداث متتابعة..، فأصبحت النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى "[٣]، فنتيجة كفر المتبوعين وطغيانهم أنهم استحقوا العذاب ، وهذه النتيجة جاءت مقدمة لقوله تعالى: (فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾)، أي: فأيدناكم في غواياتكم لأنا كنا غاوين فسولنا لكم ما اخترناه لأنفسنا، فكانت النتيجة (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾). إن استحقاق المتبوعين للعذاب نتيجة غوايتهم، واشتراك الأتباع لمتبوعيهم في العذاب نتيجة تأييدهم لمتبوعيهم في الغواية.

وإذا انتقلنا إلى الجزء الثاني من هذه الوحدة النصية، نجد الخطاب فيه مرتباً ترتيباً تصاعدياً، فالمتأخر نتيجة عن المتقدم، والمتقدم سبب في حدوث المتأخر، "فجملة (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾)، تعليل لما اقتضته جملة (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴿٣٣﴾) "[٤]، ثم تفصل الآيات أن اشتراكهم في العذاب سببه (إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴿٣٦﴾) في "استئناف بياني أفاد تعليل جزائهم وبيان إجرامهم بذكر ما كانوا عليه من التكبر عن الاعتراف بالوحدانية لله، ومن وصف الرسول –صلى الله عليه وسلم– بما هو منزه عنه"[٥]، وتختم هذه الوحدة بإضراب إبطال ما ذكره المشركون عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وإثبات أن ما جاء به هو الحق الذي صدّق به الأنبياء المرسلين قبله (بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾)، وقد ارتبطت هذه الخاتمة بموضوع السورة؛ لأن الإيمان بالرسل جميعاً وأن ما جاؤا به صدقاً وحقاً، من مقتضيات كمال الإيمان.

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٠٥.

٢الزمخشري: الكشاف، ص٩٠٥-٩٠٦.

٣عبد الهادي الشهري: استرتيجيات تحليل الخطاب، ص ٤٨٠.

٤ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٠٧.

٥ نفسه، والصفحة نفسها.

وفي الوحدة الثالثة، انتقل الخطاب من الغيبة إلى الحضور عن طريق الالتفات (إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾)، وقد أكدت هذه الانتقالة في زمن الخطاب على "عدم الفائدة من حوار دعاة الضلال وأتباعهم، فقد شملهم العذاب جميعاً بمقتضى قانون العدل الإلهي المطلق، فالجزاء من جنس العمل"[١]. والخطاب في هذه الوحدة مبني على جملة من العلاقات التي أسهمت في ترتيب المفهوم الدلالي لها، فعندما تحكم الآيات على المشركين بأنهم في العذاب الأليم، نلحظ أنه حكم عام، يخرج من هذا الحكم (إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾)، في استثناء منقطع فيه معنى الاستدراك، ولم يقصد من الاستدراك رفع التوهم، وإنما إخراج هذه الفئة المخلصة لله من حكم العذاب؛ لأن حرف الاستثناء في المنقطع قائم مقام لكن؛ لذا أردف الخطاب القرآني هذا الاستدراك بجملة تبين محل الاستدراك (أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾)[٢]، وقد ارتبطت هذه الجملة بما بعدها من خلال علاقة الإجمال والتفصيل؛ "لأننا عادة ندرك الموضوع قبل إدراك أجزائه "[٣]. وهذا التفصيل جاء بترتيب منطقي يرتبط في نهاية الأمر باللفظ المجمل. ويبين أبو حيان في بحره أن مظاهر الرزق المعلوم فصلت على نحو معين، أسهم في ترتيبها تكوين صورة مكتملة عن الرزق الذي يحظى بها عباد الله المخلصين في الجنة، يقول: "ذكر أولاً الرزق، وهو ما تتلذذ به الأجسام، وثانياً الإكرام، وهو ماتتلذذ به النفوس..، ثم ذكر المحل الذي هم فيه وهو جنات النعيم، ثم أشرف المحل وهو السرر، ثم لذة التآنس بأن بعضهم يقابل بعضاً وهو أتم السرور وآنسه، ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم، بل يطاف عليهم بالكؤوس، ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد، ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية،فختم بها كما بدأ...، وهي التآنس بالنساء "[٤]،فهذا التفصيل جعل الوحدة النصية تشتمل على بنى متعددة؛ مما حول الوحدة النصية إلى دوائر من التفصيل متشابكة، تعود كلها إلى العنصر المجمل (الرزق المعلوم)."ولأن شأن المتجالسين في مسرة أن يشرعوا في الحديث، فإن الحديث مع الأصحاب والمنتدمين لذة"[٥]، أعقبت الآيات ذلك النعيم، بقوله تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾)، من خلال العطف بـ(الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب؛ أي أن

---

١ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٦٥.

٢ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١١٠.

٣فان دايك: النص والسياق، ص١٩٨.

٤أبوحيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج٧، ص٣٤٣.

٥ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١١٥.

فعل الإقبال جاء تالياً للنعيم الجسماني والنفسي الذي فاز به عباد الله المخلصين، وقد دلّ الفعل (أقبل) على المضي في زمنه الصرفي، ولكن الزمن النحوي للفعل داخل السياق يدل على الاستقبال؛ "لإفادة تحقيق وقوع ذلك حتى كأنه وقع "[١]، فانتقل زمن الخطاب بترتيب متسلسل من الحضور إلى الاستقبال. كما أن فعل التساؤل بين أهل الجنة جاء في آخر الوحدة النصية؛ لأن في تذاكر أهل الجنة أحوالهم في الدنيا تحقيقاً للمتعة النفسية، والتي بها يكتمل النعيم.

ترتبط الوحدة النصية الثالثة بسابقتها من خلال علاقة التضاد، وهذه العلاقة تسهم في إقامة المقارنة بين الفريقين، والمبالغة في تقريعهم، حيث بدأت هذه الوحدة النصية بقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢﴾، بعد أن انتهت الآيات في الوحدة النصية السابقة بتصوير اكتمال نعيم أهل الجنة، أعقبت تلك المتع الجسمية والنفسية بتصوير جانب من عذاب أهل النار من الكفرة والمشركين؛ والقصد من ذلك "التنبيه على البون الشاسع بين حال المؤمن والكافر، حيث جرى على عادة القرآن في تعقيب القصص والأمثال بالتنبيه إلى مغازيها ومواعظها"[٢]، وقد أسهمت الإحالة بـ(ذلك) على تحقيق تلك المقارنة بين الحالين، والربط بينهما.

جاء الخطاب القرآني في هذه الوحدة مرتباً ترتيباً منطقياً تصاعدياً ، يصور شجرة الزقوم كما يمكن أن تتمثل في الذهن. فشجرة الزقوم من الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل البشري تصورها [٣]؛ لذا تدرجت الآيات في توضيح ما يتعلق بوصف تلك الشجرة، فيبدأ الخطاب بتوضيح ماهية هذه الشجرة ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣﴾ قال ابن كثير: "ومعنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم؛ اختباراً تختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب"[٤]،

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١١٥.

٢نفسه، ج٢٣، ص١٢١.

٣ لأن مفهومها عند المشركين يختلف عما هو في الآيات "عن ابن سيده: بلغنا أنه لما نزلت (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) –أي في سورة الدخان– لم يعرفها قريش. فقال أبو جهل:ياجارية هاتي لنا تمراً وزبداً نزدقمه، فجعلوا يأكلون ويقولون: أفبهذا يخوفنا محمد في الآخرة "ويقول ابن عاشور في ذلك: "والمناسب أن يكون قولهم هذا عندما سمعو آية سورة الواقعة لا آية سورة الدخان وقد جاءت فيها نكرة "(**ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٢**) أي: أنها جاءت في سورة الواقعة نكرة مجملة (ثم إنكم أيها الضآلون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم) والواقعة نزلت قبل الصافات؛ ولذا فإن شجرة الزقوم لم تكن معروفة عنهم، فجاء تفصيلها في الصافات أولاً ثم الدخان.

٤ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٢٠

وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجر والنار تحرق الشجر؟[١]، واستأنف الخطاب في وصفها بـ(إن) وإحالة ضميرية بـ(ضمير الغائب) العائدة على شجرة الزقوم التي جعلها الله فتنة، (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴿٦٤﴾)، رداً على من قال: كيف يكون في النار شجر والنار تحرق الشجر؟.

إذن، صورت الآيات ماهية الشجرة، وأصلها، وهذا هو الترتيب المنطقي في وصف الشيء إذا لم يكن معروفاً. بعدها تصف الآيات أبرز أجزاء الشجر وهو الثمر، وسماه طلعاً، على وجه الاستعارة تشبيهاً له بطلع النخيل ، وكأن الخطاب القرآني أراد أن يجعل الكافر يتصور ضخامة تلك الشجرة بأنه ثمره طلعاً مرتفعاً كطلع النخيل، وصورذلك الطلع بأنه كرؤوس الشياطين (طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾)، "حيث شبهه بما اشتهر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها، وإن كانت غير مرئية"[٢].

ثم ينتقل الخطاب في وصف حال أهل النار مع هذه الشجرة (فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبَا مِّنْ حَمِيمِ﴿٦٧﴾)، إن الترتيب في هاتين الآيتين جاء ترتيباً تصاعدياً؛ لأن الشرب عادة يعقب الأكل كما أن "في الفاء معنى التعقيب، أي لا يلبثون أن تمتلئ بطونهم من سرعة الالتقام.....، وثم في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبَا مِّنْ حَمِيمِ﴿٦٧﴾) وقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) للتراخي الرتبي؛.... وليس للتراخي في الإخبار معنى إلا إفادة أن ما بعد حرف التراخي أهم وأعجب مما قبله "[٣]، بمعنى أن الشرب أشد عذاباً وكراهة من امتلاء بطونهم بالأكل، ورجعوهم إلى الجحيم أشد عذاباً من امتلاء بطونهم بطلع الزقوم، وشرابهم من الحميم[٤].

ويستمر الترتيب التصاعدي للخطاب بعد اكتمال صورة العذاب لهؤلاء الظالمين، بذكر أسباب استحقاقهم لهذا العذاب بسبب اتباعهم لآباءهم، فهم يسيرون على آثارهم، تقليداً بلا وعي ولا فهم، فقوله تعالى: (إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ

١سعيد حوى: الأساس في التفسير، م٨، ص٤٧٠٣.

٢أبوحيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج٧، ص٣٤٨

٣ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٥-١٢٦

٤الحميم: القيح السائل من الدُّمَّل (ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٦).

ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾) جاء سبباً عما قبله؛ لأن "موقع (إن موقع فاء السببية، ومعناها معنى التعليل، وهي لذلك مفيدة في ربط الجملة بالتي قبلها، كما أن الفاء في (فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾) للتفرع والتسبب، أي متفرع على إلفائهم آباءهم أن اقتفوا آثارهم "[1]. ولم تكن ردة الفعل هذه قصراً على المشركين في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم –، بل إننا نجد لهم نظيراً لهم في الأمم السابقة (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾)، فضلال المشركين نظير لضلال الأولين؛ "فهذه الجملة معطوفة على مضمون الجملة التي قبلها إكمالاً للتعليل، أي اتبعوا آثار آبائهم واقتدوا بالأمم أشياعهم"[2]، ولذا جاءت الإحالات الضميرية للغائب تعود في مجملها إلى (الظالمين) المذكورين في قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾)، والخطاب في هذه الآيات جاء تمثيلاً لكون دعوة الرسل واحدة (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾)، كما أن ردة الفعل من دعوة الرسل واحدة (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾) فضلالهم يماثل ضلال أكثر الأولين قبلهم الذين أرسل الله فيهم رسلاً منذرين فكذبوهم، فاستحقوا عذاب الله إلا المخلصين منهم.

فالأحداث جاءت متسلسة وفق ترتيب تصاعدي حيث كان الحدث الأول مؤسِساً للثاني والثاني معتمداً على الأول، ولا يكون الحدث الأول بمعزل عن الثاني، ويمكن تخطيط الأحداث في هذه الوحدة النصية كما يلي:

اختيار الكافرين للطريق الموصل إلى العذاب ← تصوير العذاب في شجرة الزقوم ←

بيان ماهية الشجرة ← الأكل من الشجرة ← الشرب من الحميم ←

السبب في استحقاقهم العذاب ← دعوة الرسل واحدة ← تماثل ردة الفعل عند جميع الأمم ← العذاب للكفرة والنجاة للمخلصين.

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٧

٢نفسه، ج٢٣، ص١٢٨.

أما الوحدة النصية الرابعة تبدأ بتفصيل ماأجمل في نهاية الوحدة السابقة، والتي تختص بسرد قصص الرسل المنذِرين لأقوامهم. إن علاقة التفصيل بعد الإجمال ربطت هاتين الوحدتين؛ مما حقق تماسكاً دلالياً قائماً على إدراك هذه العلاقة.

اشتملت هذه الوحدة على ست قصص لستة رسل، وهم: نوح، وإبراهيم، و موسى وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس، عليهم السلام. ولترتيب الخطاب في قصص الأنبياء دور في توجيه المعنى، وتحقيق الترابط المعنوي بين الآيات.

ابتدأت الوحدة بقصة نوح عليه السلام؛ "فهو أول رسول بعثه الله إلى الناس وهو الأسوة الأولى والقدوة المثلى "[١]، و الخطاب في هذه الوحدة جاء تصاعدياً، فالنداء يتبعه الإجابة (وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾)، كما أن الإنعام على نوح عليه السلام عامّاً تندرج تحته أصناف كثيرة؛ لذا فإن الآيات خصصت المراد من الإنعام، فكانت أول هذه النعم نجاته وأهله من الغرق، والثانية الحكم بالبقاء لذريته، ولا يمكن لذريته التناسل والبقاء إلا بعد النجاة، فالثانية وهي البقاء لا تتحقق إلا بتحقق النجاة، والثالثة هي بقاء الذكر الحسن والثناء على نوح بين الناس، وهذا الثناء وضحته الآية التالية (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ)، يقول الزمخشري:"(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ)، من الأمم هذه الكلمة وهي (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾)"[٢]، والسبب في مجازاة الله لنوح-عليه السلام- بهذه النعم أنه كان من المحسنين (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) "فثبت لنوح بهذا وصف الإحسان، وثبت له أنه مَثَل للمحسنين في جزائهم على إحسانهم..، وجملة (إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ) تعليل لاستحقاقه المجازاة الموصوفة بقوله: (كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ)، فاختلف معلول هذه العلة ومعلول العلة التي قبلها"[٣]، وبعد تعداد النعم التي أنعم الله بها على نوح عليه السلام، وربطها بالسبب لاستحقاقه هذه النعم، تأتي جملة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ)، معطوفة بـ(ثم) الدالة على التراخي الرتبي، فالآيات السابقة ذكرت خبر نجاة نوح وأهله، فجاءت هذه الآية متأخرة، لتؤكد هلاك قوم نوح جميعاً بالغرق، كما حددت نوع العذاب الذي لحق بهم بعد نجاة نوح عليه السلام وأهله، كما

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٣٠.

٢الزمخشري: الكشاف، ص٩٠٨.

٣ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٣٤

يحقق التراخي الرتبي معنى آخر، وهو أن "إغراق الذين كذبوه مع نجاته ونجاة أهله، أعظم رتبة في الانتصار له والدلالة على وجاهته عند الله تعالى، وعلى عظيم قدرة الله تعالى ولطفه"(١).

وإذا تتبعنا الوحدات النصية لوجدنا أن كل وحدة تختص بذكر قصة من قصص الأنبياء وترتبط مع سابقتها بروابط مختلفة فالوحدة الخامسة، والتي تبدأ بقوله تعالى: (۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾)، ارتبطت بسابقتها من خلال الإحالة الضميرية، فالهاء تعود إلى نوح عليه السلام "فكلاهما رسول دعا إلى التوحيد ونبذ الشرك "(٢).

أما الوحدة النصية السادسة، فاختصت بما منَّ الله به على موسى وهارون عليهما السلام؛ للربط بين ما منَّ الله به على إبراهيم عليه السلام من النجاة من النار، وفداء ابنه إسماعيل، وما منّ الله به على موسى عليه السلام من نعم كثيرة ، جاءت مجملة في أول الوحدة (وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾)، ثم فصلتها الآيات بعد ذلك في ترتيب تصاعدي، فالنصرة تأتي بعد النجاة، وبعد تحقق النصرة والغلبة وتمكين الله عزوجل لموسى عليه أنزل التوراة، الذي تحققت به الهداية والإرشاد إلى الدين القويم. كما تكرر قوله تعالى: (وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) والخطاب في هذه الآيات –كما ذكرنا سابقاً– مرتباً ترتيباً تصاعدياً ، فكل حدث منهم يعتمد على سابقه، وقد تكررت هذه الآيات في قصص الأنبياء المذكورة في السورة باستثناء يونس عليه السلام.

تبدأ الوحدات النصية الثلاثة التالية بـ(إن)، (وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾)، (وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴿١٣٣﴾)، (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾)؛ للتأكيد على أن ما جاء به الرسل عليهم السلام، موافق لشرائع الأنبياء السابقين نوح، وإبراهيم، وموسى عليهم السلام،كما أن بناء الوحدات جاء تصاعدياً، فالقضية الثانية متحققة بعد الأولى. كما أن الربط بين هذه الأسباب والنتائج من خلال جملة من العلاقات، أسلفنا الحديث عنها في فصول سابقة من هذه الدراسة.

---

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٣٥.

٢ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦، ص٣٨٣

تنتهي السورة باستفتاء كما بدأت في أولها، ولكن الاستفتاء في هذه الوحدة النصية اعتمد على استراتيجية الإقناع بالحجاج ، حيث أسهمت جملة من التقنيات في ترتيب الحجج ووصل بعضها مع بعض، وقد تناولت هذه الوحدة صورتين من الصور الشركية التي جاء بها المشركون، الأولى: الادعاء أن لله البنات، ولهم الذكور. والثانية: الادعاء بالنسب بين الله وبين الجنة.

وتبدأ الوحدة بقوله تعالى: (فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾)، خطاب من الله عزوجل إلى رسوله الكريم- صلى الله عليه وسلم- ، أن يستفتي المشركين عن أقوالهم الشركية، وقد جاء ترتيب الحجج للرد على هذه الصورة الشركية في سلم حجاجي فكانت كل حجة تفضي إلى آخر أقوى منها لنصل في النهاية إلى بطلان أقوالهم، والاستفهام في (أَلِرَبِّكَ) إنكاري تعجبي، حيث جعلوا لله ما يكرهون من الإناث، واستأثروا الذكور لأنفسهم، لتأتي الآية بعدها بحجة أقوى (أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴿١٥٠﴾)، إذ حقق الالتفات من الغيبة إلى التكلم دلالة الحضور، ونقل زمن الفعل من الماضي إلى الحاضر، مما أضفى على الحجة قوة في دلالتها على بطلان أقوال المشركين،، فهم لم يكونوا حاضرين وقت خلق الله للملائكة حتى يشهدوا بأنهم إناث، كما ختمت الآية باسم الفاعل (شاهدون) لتأكيد الدلالة بعدم الحضور. ويستمر "الارتقاء في تجهيلهم، بأنهم يقولون المستحيل فضلاً على القول بلا دليل (أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾)...، ولو سلمنا أن الله اتخذ ولداً فلما اصطفى البنات دون الذكور (أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾)"[1].

كما أسهمت (أم) والتي جاءت بمعنى (بل) في ترتيب الحجج،حيث دلت على الإضراب الانتقالي من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة أعلى؛ "ليكون آخر الجدل معهم هو الدليل الذي يجرف جميع ما بنوه، وهو قوله: (أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴿١٥٦﴾فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿١٥٧﴾)، ولم تنفصل الصورة الشركية الأولى عن الثانية ، فجاء عطف قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾)على جملة (لَيَقُولُونَ) متأخراً؛ لأن الحجج جاءت متوالية؛ لتفحم المشركين، وترد على أقوالهم. حيث أسهم العطف بـ(الواو)

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٨١ -١٨٢.

في توضيح "كيف حصلت تلك الولادة بأن جعلوا بين الله تعالى وبين الجنة نسباً"[١]، فمن يقرأ قوله تعالى (أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾) يحتاج تفسيراً للحكم المتقدم في قوله تعالى:(أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾). ثم نصل إلى النتيجة (سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾)، وهي بطلان أقوال المشركين، فكل الحجج والدلائل أثبتت افتراءهم على الله فجاءت النتيجة بتنزيه الله عما يصفونه له من الشريك والنسب والصاحبة والولد. ويمكننا أن نمثل هذا السلم الحجاجي بالشكل التالي:

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٨٦.

ثم تتوالى الجمل الاعتراضية (سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾) والتي كان لها دور في الوصول إلى حقائق عديدة، هي بالترتيب كالآتي:

١- تنزيه الله عن الشريك والنسب والصاحبة والولد.

٢- براءة عبادة الله المخلصين من أقواله المشركين، وما استحقوه من العذاب.

وعندما تقرر الآيات استحقاق العذاب لمن قال بوجود النسب بين الله والجِنّة، تستمر الآيات في "تحدي المشركين وإثبات مدى عجزهم عن إضلال أحد أو فتنته، إلا من هو داخل في أهل الجحيم ممن سبق في علم الله "[١]. "وعقب قولهم في الملائكة والجن بهذا؛ لأن قولهم دعاهم إلى عبادة الجن وعبادة الأصنام التي سولها لهم الشيطان...، فعقب ذلك بتأييس المشركين من إدخال الفتنة على المؤمنين "[٢]، وقد أسهمت علاقة العموم والخصوص في ترتيب الخطاب، حيث بدأت الآيات بتعميم الحكم في عدم إضلالهم لأحد (فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾)، ثم يأتي التخصيص وتضييق دائرة العموم (إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) "أي إذا علمتم أن عباد الله المخلصين منزهون عن مثل قولكم، فإنكم لا تفتنون إلا من هو صالي الجحيم"[٣].

نصل في نهاية السلم الحجاجي إلى النتيجة، وتتلخص في: أن للملائكة مقاماً معلوماً، وهو مقام العبودية لله، فهم الصافون لعبادة الله، المسبحون له، فهذه الأسباب تدل بمجموعها على بطلان أقوال المشركين بوجود النسب بين الله والملائكة، وكل سبب منها يدحض أقوالهم. والمقام المعلوم—وهو مقام العبودية-، يرتبط بقوله تعالى: (إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾)، أي: "نقف صفوفاً لله طائعين عابدين له، لأنه العابد لله يستلزم منه الطاعة ، وأما قوله تعالى (وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾)، فالتسبيح جزء من الصلاة والطاعة؛ لذا جاء تالياً للاصطفاف.

وفي ختام هذه الوحدة النصية يستمر حجاج المشركين في أعذارهم التي جعلتهم يقعون في الكفر والشرك المذكور في أول الوحدة النصية، فينطلق الخطاب من مقدمة الخصم غير الصحيحة، وهي نزول كتاب يذكرهم بما يحبه

---

١ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي،م٦، ص٤٢٣.

٢ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٨٩.

٣ نفسه، ج٢٣،ص١٨٩.

الله، ويحذرهم مما يبغضه الله (وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴿١٦٨﴾، مروراً بالنتيجة (لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾)، للوصول إلى مقدمة صحيحة (فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾)، ويسمى هذا النوع من القياس في الحجاج بـ(دليل التمانع) [١]، "فالفاء في قوله (فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ) للتعقيب على فعل(لَيَقُولُونَ) أي استمر قولهم حتى جاءهم الكتاب فكفروا به "[٢]، واستمرار القول يشمل الشرط وجوابه (لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴿١٦٨﴾لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾)، لذا جاء التعقيب بالفاء تالياً للشرط وجوابه؛ حتى تقام الحجة على هؤلاء المشركين، بأنه لا سبيل إلى نجاتهم من عذاب الله (فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ).

أما الوحدة الأخيرة فارتبطت بسابقتها من خلال علاقة التضاد، فبعد موقف التقريع الذي والوعيد للمشركين الذين ادعوا هذه الافتراءات على الله، يأتي الخطاب في الوحدة التالية يصف وعد الله لعباده المرسلين بالنصرة والغلبة (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾).

تبدأ الوحدة النصية بقوله تعالى: (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾) ، وهذه الكلمة تعد المرجع الإشاري في هذه الوحدة، مما يمكن من إرجاع الأحداث المذكورة إليها، وبذلك يبقى النص وحدة متماسكة في الذهن. وارتبط الخطاب بهذا المرجع الإشاري من خلال جملة من العلاقات، الأولى: التفصيل الذي جاء في تفسير معنى (الكلمة) التي سبقت لعباد الله المرسلين (إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾)، "أي الكلام المتضمن وعدهم بأن ينصرهم الله على الذين كذبوهم وعادوهم وهذه بشارة للرسول –صلى الله عليه وسلم –؛ لأنه داخل في عموم المرسلين..،وعطف (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾) بشارة للمؤمنين، فإن المؤمنين جند

١إيمان درنوني: الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء أنموذجاً)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة –الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص١٤٥.

٢ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٩٤.

الله"[١]، ثم جاء الأمر بالتولي وعدم الاهتمام من أمر المشركين حتى وقت نزول العذاب بهم، وتأمل أحوالهم، بعد وعد الله لرسوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)، حيث أعقب الخبر بالنتيجة.

ثم تفصل الآيات بعدها في استفهام تعجبي إنكاري موقف المشركين من وعيد الله لهم بنزول العذاب المذكور في (حَتَّىٰ حِينٍ)، (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾)، "والفاء في (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِم) فاء الفصيحة، أي: إذا كانوا يستعجلون بالعذاب فبئس وقت نزوله "[٢]، ثم يتكرر التولي والإبصار للتأكيد، ولكن "هذا التولي غير الأول وإلى حين آخر وإبصار آخر، فالظاهر أنه تولٍّ عمن يبقى من المشركين بعد حلول العذاب الذي استعجلوه "[٣].

إن الخطاب في هذه الوحدة مرتباً ترتيباً تصاعدياً، فالحدث السابق هو سبب في حصول الحدث اللاحق، و اللاحق هو نتيجة لحصول السابق، مما يجعل الأحداث متماسكة، لا يمكن فك بعضها عن بعض أو تقديم حدث على آخر، أو غير ذلك. كما أنها ارتبطت بالمرجع الإشاري في السورة فالأحداث كلها ترجع إليه وترتبط به.

أما خاتمة السورة فقد جاءت جامعة ترتبط بالوحدات النصية في السورة كاملة، "وملخصة للقضايا التي عالجتها؛ فاختتم الكلام بالتنزيه والتسبيح لذات رب العالمين، والمدح والتسليم على جميع الأنبياء والمرسلين، والثناء والحمد لله رب العالمين "[٤]، "وفي الانتقال من الآيات السابقة إلى التسبيح والتسليم إيذان بانتهاء السورة على طريقة براعة الختم مع كونها من جوامع الكلم"[٥].وجاء ترتيب هذه الخاتمة على نحو معين بدءاً بالتنزيه، ثم السلام، وأخيراً الحمد؛ لأن الآيات قبلها ناقشت الادعاءات الشركية بنسبة الولد إلى الله، فناسب أن تبدأ هذه الخاتمة بالتنزيه (سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾)، ثم يأتي السلام على الأنبياء تالياً له؛ لأن قضية وحدة الرسل من القضايا الرئيسة التي ناقشتها السورة، بينما يكون ختام السورة بالحمد والثناء؛"لأن الحمد يقتضي اتصاف المحمود

١ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٩٥.

٢نفسه، ج٢٣، ص١٩٨.

٣نفسه، ج٢٣، ص١٩٨.

٤ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن: التفسير الموضوعي، م٦،ص٤٣٣.

٥ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٩٩.

بالفضائل وإنعامه بالفواضل ، وأعظمها نعمة الهداية بواسطة الرسل فهم المبلغون إرشاد الله إلى الخلق "[١].

١ ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣،ص١٩٩.

الخَاتِمة

تناولت هذه الدراسة موضوع (التماسك النصي في سورة الصافات)، وهو من الاتجاهات المهمة في دراسة النص القرآني، وقامت هذه الدراسة على مقدمة، تناولت الباحثة فيها اتجاه هذه الدراسة، وتحديد رغبة الباحثة من اختيار سورة الصافات لتكون مجالاً لتطبيق التماسك، كما أكدت الباحثة على أن التماسك في السورة أمر محسوم وهذه الدراسة لا تثبت ذلك للسورة، وإنما تكشف عن الوسائل التي حققت الترابط فيها . كما عرضت في المقدمة الصعوبات التي اعترضتها في مسيرتها البحثية ، والمنهج المتبع في هذه الدراسة، واستعرضت جملة من الدراسات السابقة، وكذلك بعض المصادر والمراجع التي قامت عليها هذه الدراسة. ويأتي بعد هذه المقدمة تمهيد يتضمن مفهوم النص وأهميته، ومفهوم التماسك النصي عند القدامى والمحدثين، وتحديد معايير النصية ووسائلها. وتبدأ الدراسة بالباب الأول وعنوانه: (التماسك الشكلي) وضم ثلاثة فصول، الأول، بعنوان: التحليل السياقي، ودرست الباحثة فيه أسباب النزول وتسمية السورة، وبنيتها عند المفسرين، تحديد السياقات الواردة فيها.

أما الفصل الثاني، فعنوانه: التماسك النحوي، درست الباحثة فيه أهم الظواهر النحوية التي حققت التماسك في السورة، وهي: الإحالة، والحذف، والشرط.

وجعلت الفصل الثالث من هذا الباب، تحت عنوان: التماسك الصوتي، حيث كشفت الباحثة عن الروابط الصوتية التي تحقق للسورة تماسكها، وجعلتها في ظاهرتي الفاصلة القرآنية، والتكرار.

أما الباب الثاني، فعنوانه: (التماسك الدلالي)، وضم ثلاثة فصول: الأول بعنوان: المناسبة، ودرست فيه الباحثة المناسبة على مستوى السورة، وعلى مستوى آيات السورة. وفي الفصل الثاني تناولت الباحثة العلاقات الدلالية، وختارت منها أربعاً، هي الأبرز في السورة. وهذه العلاقات هي: الإجمال والتفصيل، والاستبدال، اولفصل والوصل، والإطلاق والتقييد.

واختص الفصل الثالث بالخطاب، وتناولت فيه الباحثة تحديد موضوع الخطاب، وترتيب الخطاب في السورة.

وبعد انتهاء البحث النظري و التطبيقي، استطاعت الباحثة أن تقف على نتائج عديدة، هي:

١- اتفاق أغلب الباحثين –بعيداً عن اختلاف المصطلح– على تقسيم (التماسك) إلى: (تماسك شكلي) و (تماسك دلالي)، حيث يهتم الأول بعلاقات التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص أما

الثاني فيهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وما يحيط بها من سياقات من ناحية أخرى.

٢- ارتباط علم النص بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً، بل نستطيع القول بأن البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص—كما وصفها فان دايك Van dijk- [١].

٣- إن مهمة علم النص هي وصف بنية النص، والوقوف على مظاهر الترابط فيها، وهي نفسها مهمة البلاغة، وإن كانت البلاغة حالياً ترتبط في أذهان بعض الدراسين بأشكال أسلوبية خاصة، ولهذا آثرت الباحثة استخدام مصطلح (علم النص).

٤- تتوجه البلاغة إلى تكوين علاقة بين النص والمتلقي، ولهذه العلاقة خصوصية في البحث النصي.

٥- اهتمام التراث العربي بمختلف النظريات والآراء، والذي ظهر من خلال وعيهم بخصائص النص، دون أن يضعوا له تعريفاً محدداً، سواءً كان ذلك في ما جاء من معاني النص في المعاجم، أو من الكتابات اللغوية والبلاغية.

٦- حدد الباحثون المحدثون في علم النص،جملة من المعايير التي من خلالها يتم إثبات النصية لأي نص، وجعلوا الترابط النصي محوراً لها.

٧- يتحقق التماسك النصي من خلال معياري السبك والحبك، حيث يهتم السبك بربط الأفكار من خلال بنية النص الشكلية، أما الحبك فيهتم بالبنية الدلالية الكامنة داخل النص، والتي تسهم في توجيهها جملة من العلاقات الخفية.

٨- أكدت الدراسة التطبيقية لسورة الصافات أهمية دور السياق في تحليل النص، وإضفاء المعنى عليه، والمساهمة في ترابطه وانسجامه.

٩- إن التماسك النصي يسير في اتجاهين،هما: الاتجاه الأفقي، حيث يرتبط كل حدث في السورة بما يسبقه، وما يلحقه من أحداث، ويظهر ذلك جلياً في وسائل التماسك الشكلي والصوتي. أما الاتجاه الآخر للتماسك، فهو الاتجاه العمودي، حيث يدرس التقنيات الرابطة للوحدات النصية الكبرى المكونة للسورة، كتحديد موضوع الخطاب، وترتيب محتوى الخطاب، والعلاقات الدلالية التي تسهم في توجيه الخطاب.

١٠- تعد الإحالة بالضمير من أقوى الروابط في النص القرآني، وأكثرها حضوراً وكثافة فيه.

١فان دايك: علم النص، ص٢٣.

١١- لم يشر كثير من الباحثين في علم النص إلى أثر أدوات الشرط في سبك النص، من هؤلاء (هاليداي ورقية حسنHalliday and Ruqaiya Hasan)، في حين أن الباحثة وجدت لها أثراً كبيراً في تماسك النص.

١٢- أسهمت العلاقات الدلالية في بناء موضوع السورة، كما أسهم زمن الفعل في توجيه تلك الدلالة، مما حقق للسورة تماسكها، وكان ذلك من خلال جملة من الآليات، منها:

- المناسبة بين الآيات في السورة، والتي أسهمت في الربط بين الأجزاء والوحدات المختلفة في السورة.
- العلاقة بين العنوان وموضوعات السورة.

١٣- تبيّن للباحثة أن الخطاب القرآني له عناصر سياقية خاصة تقوم عليها دراسة الخطاب في أي نص قرآني، تتمثل في تحديد المخاطَب، والمخاطِب، وموضوع الخطاب، ومكانه وزمانه وسبب نزوله، وهذا مايميز النص القرآني عن غيره من النصوص الإبداعية الشعرية في طريقة تحليله.

كما توصي الباحثة بضرورة الاهتمام بتأصيل الاتجاهات والمناهج الحديثة، وربطها بالنصوص القرآنية والتي يتجلى فيها تمام البلاغة والإعجاز اللغوي، مما يسهم وبشكل واضح في الكشف عن وسائل التماسك في سور القرآن، وصولاً إلى إظهار نصية النص القرآني.

وختاماً، فقد بذلت قصارى جهدي في دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية التي تحمل أبعاداً لغوية وبلاغية وأدبية متعددة، وحاولت رصدها في السورة، والتطبيق عليها قدر استطاعتي، فإن كنت قد وفقتُ فهذا من فضل ربي، وإن كانت الأخرى فقد حاولت، وتعلمت كثيراً خلال هذه الرحلة الطويلة بين يدي السورة، وماتوفيقي إلا بالله.

الملاحق والجداول

الجداول الإحصائية لمظاهر التماسك الشكلي في سورة الصافات

١- بنية الضمائر الشخصية

نوع الضمير	نوع الإحالة	رقم الآية
متصل	قبلية	٥(٢)،٦(٢)،٨(٢)،٩، ١١،١٠(٢)،٢١،٢٢(٣)،٢٤،٢٣(٢)،٢٥، ٢٦،٢٧(٢)،٢٨(٤)، ٢٩(٢)، ٣٠ (٣)،٣١(٢)، ٣٢ (٤)،٣٥،٣٤،٣٣ (٤)،٣٦، ٣٨ (٢)، ٣٩ (٣)، ٤٩،٤٨،٤١، ٥٠ (٢)،٥١(٣)،٥٣،٥٢ (٣)،٥٦،٥٥(٢)،٥٧(٢)،٦٤،٦٣، ٦٥، ٦٦(٥)،٦٧(٢)، ٦٩،٦٨، ٧٠(٢)،٧٢،٧١(٢)،٧٦،٧٥(٢)،٧٧(٢)، ٧٨(٢)، ٨٠، ٨١(٢)،٨٢، ٨٣، ٨٥،٨٤(٣)،٨٦، ٨٩، ٩٠ (٢)، ٩١(٢)، ٩٢ (٢)، ٩٣، ٩٤ (٣)،٩٥ (٢)،٩٦(٢)،٩٧(٤)،٩٨ (٤)، ٩٩(٣)،١٠٠، ١٠١(٢)،١٠٢ (٦)، ١٠٣ (٢)، ١٠٤، ١٠٥(٢)، ١٠٧، ١٠٨ (٢)، ١١٢،١١١(٢)، ١١٣(٤)،١١٤، ١١٥(٢)،١١٦(٢)،١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥،١٢٤(٢)، ١٢٦، ١٢٧(٢)،١٢٩ (٢)، ١٣١،،١٣٢(٢)، ١٣٤(٢)،١٣٦، ١٣٧(٢)،١٤٣،١٤٢، ١٤٤(٢)، ١٤٥(٢)، ١٤٦(٢)، ١٤٧(٣)، ١٤٨(٢)، ١٥٨،١٥٠(٢)، ١٦٢، ١٦٤(٢)،١٦٥، ١٦٦، ١٦٧(٢)،١٦٨، ١٦٩، ١٧٠(٣)،١٧١ (٢)، ١٧٢(٢)، ١٧٣(٢)، ١٧٤، ١٧٥(٢)،١٧٦(٢)،١٧٨،١٧٧،،١٨٠
	مقامية	٤، ١١(٤)،١٢ (٢)، ١٣(٢)، ١٤(٢)،١٦،١٥(٣)،٢٠،١٩،١٧ (٢)،٢١(٢)،١٤٩،١٣٧،٢٢(٣)ن١٥١(٣)،١٥٤،١٥٢، ١٥٧،١٥٦،١٥٥(٣)،١٥٨، ١٥٩، ١٦١(٢)،١٨٠
	بعدية	٦٥

مستتر	مقامية	٧٣،١٧٤،١٧٥،١٧٨،١٧٩ ،(٢)١٨،٣٧
	قبلية	٩٣،٩٥،٩٩،١٠٠ ،(٢) ٩١ ،٨٩ ،٨٨ ،٥٢،٥٤،٥٥،٥٦،٥٨،٥٩،٨٤،٨٥ ١٠٢(٥)،١٠٥ ، ١٤١،١٤٠،١٢٤(٢)،١٧٧،١٥٣،١٤٤
منفصل	مقامية	١٨،١٩،٧٠،١٥٠،١٦٢
	بعدية	١٩،١٦٣
	قبلية	٧٧،١٠٦،١١٦،١٤٢،١٤٥،١٦٤ ،٢٦،٤٢،٥٤،٦٠ ١٦٥

٢- بنية ضمائر الإشارة:

ضمير الإشارة	نوع الإحالة	الآية
هذا	قبلية	١٥-٢٠-٢١-٦٠-٦١-١٠٦
كذلك	قبلية	٨٠-١٥٠-١١٠-١٢١-١٣١
ذلك	قبلية	٦٢

٣- بنية الحذف:

نوع المحذوف	الآية	موضع الحذف	المحذوف	الدليل	المرجعية

اسم	٥	↓رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	الضمير (هو)	إلهكم	قبلية
اسم	٥	وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ↓	المغارب	الاكتفاء بالمشارق	قبلية
حرف	٦	إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ↓ ٱلۡكَوَاكِبِ	من	تنوين التنكير	قبلية
فعل	٧	↓وَحِفۡظَا ِمن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ	حفظناها	حفظاً	بعدية
جملة	١٣	وَإِذَا ذُكِّرُواْ↓لَا يَذۡكُرُونَ	بما جاء في القرآن من أمر البعث	سياق المقام	مقامية
فعل	١٨	قُلۡ نَعَمۡ↓وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ	تبعثون	لمبعوثون	قبلية
جملة	٢١	↓هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ	يقول بعضهم لبعض	قالوا	بعدية
جملة	٢٢	↓ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ	قال الله للملائكة	سياق المقام	مقامية
جملة	٣٠	وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ↓ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ	كي نكرهكم على رفض الإيمان	سياق المقام	قبلية
اسم	٣١	فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ↓	عذابه (فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣)	سياق المقام	قبلية

جملة	٥٠	فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ	حال المشركين بعد البعث	سياق المقام البعدي	مقامية
جملة	٥٢	يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ	لي قريني	لي قرين	قبلية
شبه جملة	٥٢	يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ	للبعث	أإذا متنا وكنا تراباً أإنا لمدينون	بعدية
اسم	٥٤	قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ	على أهل النار	(فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ)	بعدية
شبه جملة	٥٧	وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ	إلى الجحيم	سواء الجحيم	قبلية
جملة	٦٠	إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ	القائل من أهل الجنة/الله /أهل الجنة	سياق المقام	مقامية
اسم	٦١	لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ	الفوز العظيم	الفوز العظيم	قبلية
اسم	٦٢	أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ	الرزق المعلوم	الرزق المعلوم *فواكه وهم.....	قبلية
اسم	٦٢	أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ	منزل/نزل	خير نزلاً	قبلية

جملة	٦٨	ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ	بعد شرب الحميم	شوباً من حميم	قبلية
اسم	٧٣	فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ	الضالين	سياق المقام	قبلية
جملة	٧٥	وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ	فأجبناه	نعم المجيبون	بعدية
اسم	٧٥	وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ	نحن	المجيبون	قبلية
جملة	٧٨	وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ	ثناء حسناً عليه / ثناء وأنعمنا عليه	وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧/ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ	قبلية / بعدية
جملة	٨٨	فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ	متفكراً فيما يلهيهم/ ليدبر حجة	سياق المقام	مقامية
جملة	٩٩	وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ	حيث أعبد ربي	سياق المقام	مقامية
اسم	١٠٠	رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ	ولداً	هب	قبلية
جملة	١٠٢	فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ	فولد له ولد ويفع	سياق المقام البعدي	مقامية
شبه جملة	١٠٢	قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ	به من الامتثال	سياق المقام	مقامية

جملة	١٠٣	فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ	لأمر الله	افعل ما تؤمر	قبلية
جملة	١٢٠	سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ	فأمري		
جملة	١٣٠	سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ	فأمري		
فعل	١٣٨	وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ	تمرون	لتمرون عليهم مصبحين	قبلية
جملة	١٤١	فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ	فهال البحر وخاف الراكبون الغرق	سياق المقام	مقامية
اسم	١٤٧	وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ	ثانية	سياق المقام	مقامية
جملة	١٥٠	أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثَا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ	على خلق الملائكة	خلقنا الملائكة	قبلية
جملة	١٥٤	مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ	هذا الحكم	الاستفهامين السابقين	قبلية
جملة	١٦٠	إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ	لايصفونه بذلك/ لا يجعلون له ذلك	سياق المقام	مقامية
جملة	١٦٤	وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ	ويقولون	سياق المقام	مقامية
اسم	١٦٤	وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ	أحد	منا	بعدية
شبه جملة	١٦٥	وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ	لعبادته	(مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ	قبلية

				بِفَٰتِنِينَ)	
شبه جملة	١٦٦	وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ	له	(مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ)	قبلية
جملة	١٧٠	فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ	كان عندهم ذكر	لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ	قبلية
جملة	١٧٧	فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ	إن كانوا يستعجلون العذاب فإذا نزل بساحتهم فبئس وقت نزوله	أفبعذابنا	قبلية

٤- بنية التكرار:

نوع التكرار	اللفظ أو العبارة	الآية
تكرار مباشر (كلمة)	الله	٢٣، ٣٥، ٤٠،٧٤،٩٦، ١٠٢،١٢٦،١٢٨، ١٥٢، ١٦٠،١٦٩، ١٨٢
	رب	٥(٢)،٨٧،٨٤،٣١، ٩٩، ١٠٠، ١٢٦(٢)،١٤٩، ١٨٠(٢)
	إله	٤،٣٥
	الجحيم	٢٣، ٥٥،٦٤،٦٨،٩٧،١٦٣.
تكرار مباشر	أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابَا وَعِظَٰماً	١٥، ٥٣.

(عبارة)	إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ	٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠
	إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ[١]	٨٠، ١١٠، ١٢١، ١٣١.
	إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ[٢]	٨١، ١٣٢،١٢٢،١١١.
	سَلَٰمٌ عَلَىٰ.....[٣]	٧٩، ١٣٠،١٢٠،١٠٩، ١٨١.
تكرار مباشر (اشتراك لفظي)	فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾	
تكرار جزئي	مادة (عبد)	٢٢،٤٠، ١٢٢،١٢٨،١٣٢، ١١١،٩٥،٨٥،٧٤، ١٦٠، ١٦٩،١٧١
	مادة (صفّ)	١، ١٦٥
	مادة (قول)	١٥، ٢٠، ٣٦،٥١، ٢٨،٢٩،٣٥(٢)،٥٦،٥٤،٥٢، ٥٨، ٨٩،٩١،٩٥،٩٧، ١٠٢ (٢)،١٦٧،١٢٤

١ باستثناء موضع واحد في الآية (١١٠)، جاءت بدون (إن).

٢ اختلف الخطاب في الآية (١٢٢)فجاء مثنى لأنه كان موجهاً إلى موسى وهارون عليهما السلام ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

٣ تكررت نفس العبارة مع اختلاف الخطاب بحسب الأنبياء المذكورين.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً:

- القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع [١]:

١- **ابن الأثير**، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ط: دار نهضة مصر، الفجالة –القاهرة، (د.ت).

٢- **الألوسي**، شهاب الدين السيد محمود : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، (د.ت).

٣- **الآمدي**، الحسن بن بشر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: أحمد صقر، ط٤: دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٤- **الأنصاري**، عبدالله جمال الدين ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩١م.

٥- **أنيس**، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط: مكتبة نهضة مصر، مصر، (د.ت).

٦- **الباجي** ، سليمان بن خلف: الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل، تحقيق محمد علي فركوس، ط: المكتبة المكية –دار البشائر الإسلامية، (د.ت).

٧- **الباقلاني**، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف، مصر، (د.ت).

٨- **بحيري**، سعيد: دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط١: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٩- **البخاري**، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محب الدين الخطيب، ط١: المكطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٠- **بدوي**، أحمد: من بلاغة القرآن، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

١١- **براون**، ج.ب – ج.يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني، منير التريكي، ط: جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

---

١ ترتيب المصادر والمراجع بدون اعتبار (ابن) و (أبو) و(أل) التعريف..

١٢- **البقاعي**، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر : مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق عبد السميع محمد أحمد حسنين، ط١: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٣- **البقاعي**، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر : نظم الدرر في تناسب السور، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

١٤- **البقاعي**، محمد خير: دراسات في النص والتناصية، ط١: مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٨م.

١٥- **البيضاوي**، عبد الله بن عمر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تقديم محمد المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (د.ت).

١٦- **التهانوي**، محمد علي: كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج،ط١: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ١٩٩٤م.

١٧- **الجاحظ**، أبو عثمان عمر و بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٧: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٨- **الجاحظ**، أبو عثمان عمر و بن بحر: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢: مكتبة مصفى اليابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.

١٩- **الجرجاني**، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

٢٠- **حسان**، تمام: اجتهادات لغوية، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

٢١- **حسان**، تمام: مقالات في اللغة والأدب، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٢- **الحسناوي**، محمد: الفاصلة في القرآن، ط٢: دار عمار، عمّان – الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٣- **حمودة**، طاهر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط: الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م.

٢٤- **حوى**، سعيد: الأساس في التفسير، ط١: دار السلام، القاهرة – حلب – بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٥- **أبو حيان الأندلسي**، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.

٢٦- **أبو خرمة**، عمر: نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، ط١: عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٧- **خطابي**، محمد: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النص)، ط١: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

٢٨- **الخفاجي**، عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان: سر الفصاحة، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ.

٢٩- **خليل**، حلمي: الكلمة (دراسة لغوية معجمية)، ط٢: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٣٠- **خليل**، خليل أحمد: معجم المصطلحات اللغوية، ط: دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م.

٣١- **الداني**، أبو عمرو : البيان في عد آي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، ط١: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

٣٢- **دايك**، فان: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة عبد القادر قنيني، ط: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠١٣م.

٣٣- **دايك**، فان: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، ط١: دار القاهرة للكتاب، القاهرة – مصر، ٢٠٠١م.

٣٤- **دراز**، محمد عبدالله: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ط: دار الثقافة للنشر والتوزيع، قطر-الدوحة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٥- **الدرويش**، محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، ط٣: دارالإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

٣٦- **دي بوجراند**، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة محمد حسان، ط١: عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٣٧- **الدينوري**، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرح السيد احمد صقر، ط٢: مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

٣٨- **ابن ذريل**، عدنان: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ط: اتحاد كتاب العرب،دمشق، ٢٠٠٠م.

٣٩- **الرازي**، محمد بن عمر بن الحسن: مفاتيح الغيب، ط١: دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٤٠- **الرضي**، محمد بن الحسن: : شرح الرضي لكافية ابن حاجب،تحقيق يحي بشير مصري، ط١: الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م.

٤١- **الرضي**، محمد بن الحسن: شرح الرضي لكافية ابن حاجب، تحقيق حسن الحفظي ،جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٤٢- **الرماني**، علي بن عيسى بن علي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط٣: دار المعارف، القاهرة – مصر،(د.ت).

٤٣- **الرماني**، علي بن عيسى بن علي ، الحدود في النحو، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط: دار الفكر، عمان، ٢٠١٠م.

٤٤- **الزبيدي**، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ط: مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٤٥- **الزبيدي**، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، ط٢: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧هـ.

٤٦- **الزركشي**، محمد بن عبدالله: البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير عبد القادر العاني، مراجعة عمر الأشقر، ط٢: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٤٧- **الزركشي**، محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

٤٨- **الزمخشري**،جار الله محمود بن عمر: الكشاف، تعليق خليل مأمون شيحا، ط٣: دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م.

٤٩- **الزناد**، الأزهر: نسيج النص (بحث ما يكون به الملفوظ نصّاً)، ط١: المركز الثقافي، الدار البيضاء، ١٩٩٣م.

٥٠- **السجلماسي**، أبو محمد القاسم بن محمد: المنزع البديع، تحقيق علال الغازي، ط١: مكتبة المعارف، الرباط – المغرب، ١٤٠١هـ /١٩٨٠م.

٥١- **السعدي**، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط٢: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٥٢- **السكاكي**، يوسف بن أبي بكر : مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، ط١: مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٥٣- **السكاكي**، يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، ط٢: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٥٤- **سيبويه**، عمرو بن عثمان : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

٥٥- **السيوطي**، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٥٦- **السيوطي**، جلال الدين: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٥٧- **السيوطي**، جلال الدين: معترك الأقران في إعجار القرآن، ضبط أحمد شمس الدين، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥٨- **الشافعي**، محمد بن إدريس: الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).

٥٩- **الشاوش**، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط١: المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٦٠- **الشريف الجرجاني**، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط: دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

٦١- **الشنقيطي**، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، إعداد سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط١: دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٦٢- **الشهري**، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط١: دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٤م.

٦٣- **الشوكاني**، محمد بن علي بن محمد : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مراجعة يوسف الغوش، ط٤: دار المعرفة، بيروت –لبنان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٦٤- **الصابوني**، محمد علي: مختصر تفسير ابن كثير، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ.

٦٥- **صدقة**، إبراهيم: النص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي، ط١: عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م.

٦٦- **الطبري**، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبدالله التركي، ط١: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٦٧- **ابن عاشور**، محمد الطاهر: التحرير والتوير، ط: الدار التونسية للنشر، (د.ت).

٦٨- **عبد المجيد**، جميل: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٦٩- **العبد،** محمد: اللغة والإبداع الأدبي، ط٢: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة – مصر، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م.

٧٠- **عبداللطيف،** محمد حماسة: الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر) ، ط: دار غريب، القاهرة،٢٠٠١م.

٧١- **العسكري،** أبو هلال الحسن بن عبدالله: الصناعتين، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١: دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.

٧٢- **العسكري،** أبو هلال الحسن بن عبدالله:الصناعتين، ط١: مطبعة الآستانة، ١٣١٩هـ.

٧٣- **عفيفي،** أحمد: نحو اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط: مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧٤- **عقيل،** بهاء الدين : المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق محمد كامل بركات، ط: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكةالمكرمة، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.

٧٥- **العلوي،** محمد بن أحمد بن طباطبا: عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، ط٢: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٧٦- **العموش،** خلود: الخطاب القرآني (دراسة بين النص والسياق)، ط١: عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠٠٥م.

٧٧- **أبو غزالة،**إلهام –علي خليل حمد : مدخل إلى علم النص، ط١: مطبعة دار الكاتب، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

٧٨- **ابن فارس،** أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط: دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت).

٧٩- **الفاكهي،**عبد الله بن أحمد: شرح الحدود في النحو، تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، ط٢: مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٨٠- **فجال،** أنس: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ط١: نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٨١- **الفراهيدي،** الخليل بن أحمد: العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط ١: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٨٢- **فرج،** حسام: نظرية علم النص، ط٢: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٨٣- **فضل،** صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط: سلسة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.

٨٤- **الفقي،** صبحي: علم اللغة النصي، ط١: دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٠م.

٨٥- **الفيروزآبادي**، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتبة تحقيق التراث، ط٨: مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٨٦- **القرطاجني**، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، ط٤: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧ م.

٨٧- **القزويني**، محمد بن عبدالرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

٨٨- **قطب**، سيد: في ظلال القرآن،ط٣٢: دار الشروق، القاهرة – بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٨٩- **القيرواني**، أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥: دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٩٠- **ابن القيم**، محمد بن أبي بكر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، صححه محمد بدر الدين النعساني، ط١: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣٧هـ.

٩١- **ابن كثير**، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، ط٢: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

٩٢- **ابن مالك**، محمد بن عبدالله: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، ط: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٩٣- **المبرد**، محمد بن يزيد : المقتضب، تحقيق محمد عضيمة،ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٩٤- **مجمع اللغة العربية**: المعجم الوسيط، ط٤: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٩٥- **محمد**، عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط٢: مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩هـ.

٩٦- **مداس**، أحمد:لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب، ط٢: عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ٢٠٠٩م.

٩٧- **المدني**، السيد علي صدر الدين ابن معصوم: أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، ط١: مطبعة النعمان، النجف –العراق، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م.

٩٨- **المصري**، ابن أبي الأصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، ط: لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، (د.ت).

٩٩- **مصلوح**، سعد: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ط١: لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م.

١٠٠- **معبد**، محمد أحمد: نفحات من علوم القرآن، ط١: مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

١٠١- **أبو المكارم**، علي: الحذف والتقدير في النحو العربي، ط١: دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٠٢- **الملائكة**، نازك : قضايا الشعر المعاصر، ط٣: منشورات مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م.

١٠٣- **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط: دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

١٠٤- **ابن منقذ**، أسامة: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ت).

١٠٥- **منير**، وليد: النص القرآني من الجملة إلى العالم، ط: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٠٦- **النبهان**، محمد فاروق: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، ط١: دار عالم القرآن، حلب، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٠٧- **النجار**، نادية: علم لغة النص والأسلوب، ط١: مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٣م.

١٠٨- **نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن**: التفسير الموضوعي، ط١: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

١٠٩- **النسائي**، أحمد بن شعيب بن علي: المجتبى من السنن، ط: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض،(د.ت).

١١٠- **النيسابوري**، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ط١: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.

١١١- **ابن يعيش**، يعيش بن علي: شرح المفصل للزمخشري، تقديم إيميل بديع يعقوب، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

١- **الجنابي**، سيروان عبد الزهرة هاشم: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني (دراسة في الدلالة القرآنية)،رسالة دكتوراة،إشراف: عبد الكاظم محسن الياسري، جامعة الكوفة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦.

٢- **درنوني**، إيمان: الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء أنموذجاً)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة –الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١٣م.

رابعاً: البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية:

١- **إبرير**، بشير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٣، العدد ١، ٢٠٠٧م.

٢- **زروقي**، أبوبكر: دلالات الارتباط في أسلوب الشرط –دراسة في نصوص صحيح البخاري–، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد٦، جامعة خيضر، بسكرة–الجزائر، ٢٠١٠م.

٣- **عباس**، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها،ط: منشورات اتحاد الكتاب،١٩٩٨م.

٤- **العبد**، محمد: حبك النص (منظورات من التراث العربي)، مجلة فصول،العدد ٥٩، ٢٠٠٢م.

٥- **علي**، محمد محمد يونس: الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، مدونة تخاطب، ١٢ يونيو، ٢٠٠٩م.

٦- **عياشي**، منذر: النص ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٩٦-١٩٩٢،٩٧.

٧- **قواوة**، الطيب العزالي: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري) ، جامعة محمد خيضر، بسكرة –الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٢م.

السيرة الذاتية

- الاسم : سارة بنت أحمد بن إبراهيم بوحيمد.
- مواليد الهفوف عام ١٤٠٦/١٢/٥هـ -١٩٨٦/٨/١٠م.
- خريجة ثانوية تحفيظ القرآن الكريم بالهفوف.
- بكالوريوس لغة عربية من كلية التربية في جامعة الملك فيصل بالهفوف.
- ماجستير بلاغة ونقد من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الملك فيصل.
- عضو هيئة تدريس في كلية الآداب بجامعة الملك فيصل بالهفوف منذ عام ١٤٣٠هـ وحتى الآن.